

العدد الثاني والعشرون

1983

ألفية ابن الجزار

تونس



مجلة للبحث العلمي
تصدرها كلية الآداب والعلوم الانسانية

الاشتراك :

- تونس وبلاد المغرب العربي وفرنسا .... 1د،000
- غير البلاد المذكورة .... 1د،200
- ثمن العدد الواحد .... 1د،000

المراسلات المتصلة بالتحرير تكون بالعنوان التالي :

مدير حوليات الجامعة التونسية

كلية الآداب والعلوم الانسانية ـ 94 شارع 9 افريل 1938 ـ تونس

الطلبيات والاشتراكات ومطالب المبادلات تكون بالعنوان التالي :

مصلحة النشر والمبادلات

كلية الآداب والعلوم الانسانية ـ 94 شارع 9 افريل 1938 ـ تونس

المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية

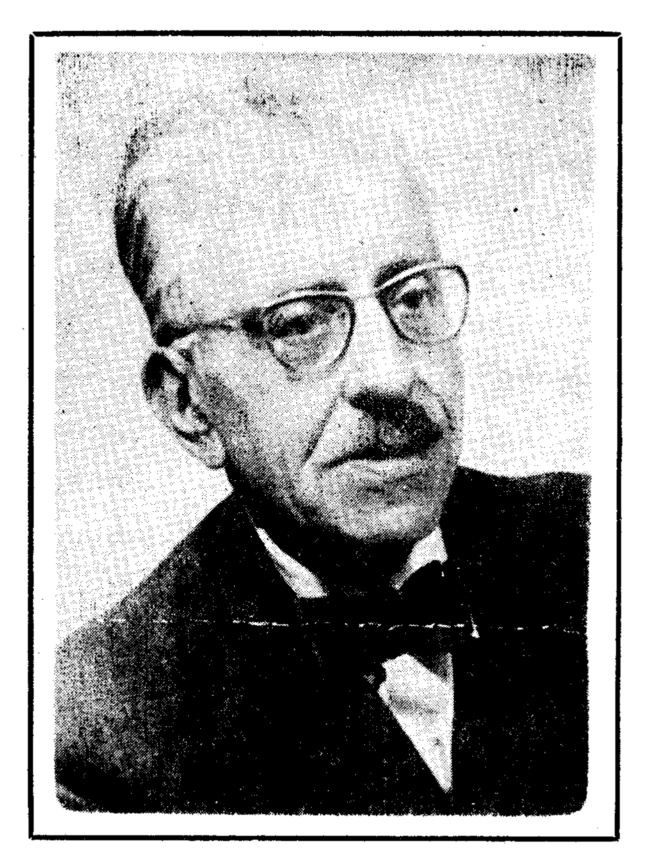
الفهرس

الصفحة

تقديم الكتب

—•—

1 ـ **الأصول** : دراسة ابيستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي : النحو ـ فقه اللغة ـ البلاغة ـ للدكتور تمام حسان (المنصف عاشور) . 2 ـ **خير الدين التونسي** : مقدمة كتاب أقوم المسالك ، تحقيق الدكتور معن زيادة (محمد الهادي عيسى) ـ 3 ـ **دراسات في الادوات النحوية** للدكتور مصطفى النحاس (المنصف عاشور) ـ 4 ـ **قراءة ألسنية للتراث اللغوي العربي الاسلامي** لميخائيل ج. كارتر M.C. CARTER (محمد رشاد الحمزاوي) 5 ـ **عشر سنوات من البحث الجامعي الفرنسي حول العالم العربي الاسلامي** ـ منشورات « بحوث في الحضارات » (محمد الهادي عيسى) ـ 6 ـ **كتاب الاشارة الى أدب الامارة** للمرادي ، تحقيق الدكتور رضوان السيد (يوسف الحناشي) 7 ـ **الحشيشية** : الارهاب والسياسة في الاسلام الوسيط لبرنار لويس (الصادق الميساوي) .



الصادق الزمرلي (1885 ـ 1983)
الاديب والسياسي والمؤرخ

بقلم : حمادي الساحلي

في أوّل شهر فيفري المنصرم ، انتقل إلى جوار ربّه المرحوم الصادق الزمرلي . وبوفاته فقدت تونس آخر ممثّل للحركة الوطنية التونسية الأولى التي ظهرت للوجود في مطلع هذا القرن . ولئن كنّا لا نعرف بالضبط تاريخ ميلاد الفقيد ، فالغالب على الظن أنه ولد بمدينة تونس في حيّ « دار الباشا » بعد انتصاب الحماية بحوالي ثلاث أو أربع سنوات ، أي في سنة 1884 أو

1885 . وبعد إتمام دراسته الابتدائية ، التحق بالمعهد الصادقي ، في مقـرّه القديم الكائن بنهج جامع الزيتونة (حسبما أكّده لنا الفقيد شفهيا) ، ونحن نعرف أن المقر الجديد للمعهد الصادقي بالقصبة قد تمّ تدشينه في شهر أكتوبر 1897 (1) . ثم غادر الصادقية قبل إنهاء دراسته الثانوية ، مثلما هو الشأن بالنسبة للكثيرين من أبناء عصره . ولكنه تمكّن مع ذلك من اكتساب زاد لا بأس به من الثقافة الأساسية باللغتين العربية والفرنسية . وما أن دخل معترك الحياة العملية ، حتى انخرط في جمعية قدماء المدرسة الصادقية التي أسّسها في سنة 1905 جمع من المثقفين التونسيين وعلى رأسهم صديقه علي باش حانبة . كما انضمّ إلى « النادي التونسي » الذي كان آنذاك ملتقى رجال الفكر والأدب والسياسة . وعندما أصدر علي باش حانبة في سنة 1907 جريدة « التـونسـي » النّاطقة بلسان حركة « الشباب التونسي » ، كان الصادق الزمرلي من أوّل المحرّرين فيها ، رغم صغر سنّه ، « وكانت مقالاته حول الشرق محلّ تقدير كبير » (2) .

وفي شهر أكتوبر 1908 شارك في « مؤتمر افريقيا الشمالية » المنعقـد بباريس ، ضمن وفد تونسي يضم بالاضافة إليه البشير صفر ومحمد الاصرم ومحمّد بلخوجة وعبد الجليل الزاوش وخير الله بن مصطفى والطاهر الأسود .

وألقى في المؤتمـر محاضرة حـول « تعليـم البنت المسلمة » ركّزها على ضرورة إحداث مدارس للبنات المسلمات بتونس على غرار المدارس الموجودة بتركيا ومصر ووجوب تدريس جميع الموادّ باللغة العربية « لأن المسلم حريص أولا وبالـذات على المحافظـة على تقاليـده وعاداتـه وعلى لغتـه التي هي قوام شخصيته » .

(1) أحمد عبد السلام « الصادقية والصادقيون » (Sadiki et les Sadikiens) ص 39 منشورات سيريس (Cérès) تونس 1975 .

(2) شارل اندري جوليان « المعرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي » ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة – تونس – الشركة التونسية للتوزيع (بلا تاريخ) .

« ولأن الأم هي القادرة وحدها على غرس حب اللغة القومية في نفوس أطفالها . فهي في حاجة إلى حذق تلك اللغة » (3) .

وبعد رجوع الوفد من باريس وإحرازه على نجاح باهر ، نشطت الحركة الوطنيّة وازداد نطاقها اتّساعًا . فأصدرت جريدة « التونسي » الناطقة بالفرنسية في شهر أكتوبر 1909 نشرة عربية « اشترك في تحريرها الشيخ عبد العزيز الثعالبي والأستاذ الصادق الزمرلي . فكان أوّلهما ينشىء المقالات بالعربية ابتداء وكان ثانيهما مع ما يكتب من المقالات بالعربية يعرّب مقالات باش حانبة والزاوش وقلاتي عن النشرة الفرنسية ، وينقل عن الصحف الأجنبية الأفكار والأخبار . فأصبحت جريدة « التونسي » مقرّ القيادة الوطنية في الميدان الصحفي » (4) .

وبمناسبة الإضراب الذي شنه طلبة جامع الزيتونة في 15 مارس 1910 للمطالبة باصلاح التعليم ، تمّ التلاحم بين حركة « الشباب التونسي » وبين الحركة الزيتونية الاصلاحية ، وانعقد اجتماع عام بالقصبة أمام المدرسة الصادقية يوم 13 ماي 1910 ، للاحتفال بنجاح الاضراب والإفراج عن الطلبة الموقوفين . وقد تناول الكلمة عدد من قادة ا لحركة الوطنية للتعبير عن تضامنهم مع الطلبة . وكان من بين الخطباء الصادق الزمرلي « الذي أشار إلى هذه الفرصة المتاحة للشبيبة المدرسية وتلامذة الجامع الأعظم ليؤكدوا — رغم الصائدين في الماء العكر — على روابط التضامن والتعاطف المتبادل والتفاهم التام فيما بينهم . كيف لا وهم ينتمون إلى بلد واحد ويتكلمون لغة واحدة ويسعون إلى غاية واحدة » (5). ومن النشاط الذي قام به الفقيد في تلك الفترة مساهمته في النهوض

(3) الشاذلي خير الله « حركة الشباب التونسي »(Mouvement Jeune Tunisien) ص 149 — بونيشي (Bonici) تونس (بلا تاريخ) .

(4) محمد الفاضل بن عاشور « الحركة الأدبية والفكرية في تونس » ص 111 الدار التونسية للنشر — تونس — 1972 .

(5) الشاذلي خير الله «الحركة التطويرية التونسية»(Mouvement évolutionniste tunisien) الجزء الثالث ص 28 — مارك غارو (Marc Garrot) تونس 1938 .

بالمسرح التونسي ، حيث كان من مؤسّسي « جمعية الآداب العربية » التي تكوّنت في سنة 1911 وقدّمت روايتها الأولى « صلاح الدين الأيوبـي » بالمسرح البلدي بالعاصمة يوم 7 أفريل من تلك السنة .

« وبعد انتهاء الفصل الثاني من الرواية ونزول الستار ، ظهر الأديب الصادق الزمرلي على المسرح وألقى خطابا مسهبا بليغا أتى فيه على تاريخ وضع التشخيص وأطواره وفوائده وطلب من الحاضرين تعضيد (هكذا) الجـوق التونسي الذي سيقوم (هكذا) بفوائد عظمى من حيث تهذيب الاخلاق وتربية الأمة وبعث اللغة العربية » (6) .

ولقد بلغت حركة « الشباب التونسي » أوجها في سنة 1912 وشملت جميع الميادين ، السياسية منها والثقافية والاجتماعية . فاستغلّت السلطة الفرنسية التي كانت تتربّص بها الدوائر ، قضية « مقاطعة الترامواي » (9 فيفري 1912) ، لتقضي على الحركة القضاء المبرم .

وفي فجر يوم 13 مارس 1912 ألقي القبض على سبعة مس قادة « الشباب التونسي » وهم : علي باش حانبة وعبد العزيز الثعالبـي ومحمد نعمان وحسان قلاتي والصادق الزمرلي والمنوبـي درغوث والمختار كاهية .

أما الأربعة الأولون فقد تمّ إبعادهم خارج تراب المملكة بدون محاكمة ، وأما الصادق الزمرلي والمنوبـي درغوث فقد أبعدا إلى الجنوب . واقتصرت السلطة في خصوص المختار كاهية على سجنه قرب عائلته بالعاصمة لقرابته بالأسرة المالكة .

وقد أوحت هذه الاجراءات التعسفية إلى أمير الشعراء الشاذلي خزنه دار قصيدته الشهيرة التي يقول في مطلعها :

(6) المنصف شرف الدين « المسرح التونسي » ص 30 — تونس 1972 .

أبكي لفرقتهـم وهـم أحيـاء سبعا بكتهم تونس الخضراء
ما كان في كفي الحسام وإنما من تحت فكّي حيّة رقطاء
أرسلتها حصبا على مغتالهم فتريه ماذا يفعل الشعراء (7)

وبعد أشهر قليلة رُفِع قرار الإبعاد فرجع المنفيّون إلى العاصمة باستثناء الزعيم علي بـاش حانبـة الذي رفض العـودة وقـرّر الاستقرار نهائيا بتركيـا لمقاومة الاستعمار الفرنسي من الخارج . وقد التحق به الصادق الزمرلي بالأستانة (8) ولم يرجع إلى تونس إلا بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى .

ولقد ركدت الحركة الوطنية طوال مدة الحرب ولم تستعد نشاطها إلا بعد أن وضعت الحرب أوزارها وأعلِن عن مبادىء الرئيس الأمريكي ويلسن الأربعة عشر ، وخـاصة المبدإ المعترف بحق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها . فأخذ الوطنيون التونسيون آنذاك في إعادة تنظيم صفوفهم وجمع شملهم وضبط مطالبهم . وفي شهر جويلية 1919 أوفدوا إلى باريس الشيخ عبد العزيز الثعالبـي لتعريف الرأي العام العالمي والفرنسي على وجه الخصوص بالقضية التونسية وعرض مطالب الحركة الوطنية على الحكومة الفرنسية . وكان أوّل عمل قام به الشيخ بباريس نشره لكتاب « تونس الشهيدة » باللغة الفرنسية في ديسمبر 1919 .

والجدير بالملاحظة أن هذا الكتاب الخالي من ذكر اسم مؤلفه ، كثيرا ما كان ينسب إلى الشيخ عبد العزيز الثعالبـي نفسه . إلى أن ظهرت فيما بعد بعض الوثائق التي أثبتت أن كتاب « تونس الشهيدة » هو عمل جماعي ، قد ساهـم في تأليفـه إلى جانب الشيخ عبد العزيـز الثعالبـي كلّ من علي كاهية وحمودة المستيري والصادق الزمرلي ، ونقله إلى اللغة الفرنسية أحمد السقا (9) .

---

(7) ديوان الشاذلي خزنة دار . الدار التونسية للنشر 1972 ج 1 ص 55 .

(8) صلاح الدين التلاتلي : « الصادق الزمرلي يلتحق بالاسرة الكبرى للشخصيات التونسيـة البارزة » جريدة لابراس (La Presse) تونس 1983 – 2 – 6 .

(9) تقرير بارون (Baron) المجلة التاريخية المغربية العدد 27 – 28 ديسمبر 1983 ، ص 314 .

كما ساهم الزمرلي مساهمة فعالة في جميع الاجتماعات والمشاورات والمناقشات التي جرت بين الوطنيين في تونس طوال سنتي 1919 و1920 إلى أن أفضت إلى الإعلان عن تأسيس « الحزب الحر الدستوري التونسي » في شهر جوان 1920 .

ولكن ما أن تأسّس الحزب وشرع في تركيز هياكله حتى بدأت الخلافات تدبّ بين القادة حول طرق العمل الواجب اتباعها لبلوغ الأهداف المرسومة في كتاب « تونس الشهيدة » . فبينما ترى الأغلبية الملتفّة حول الشيخ الثعالبي ضرورة المطالبة بالدستور والحكم الذاتي في العاجل والاستقلال في الآجل ، يدعو الشق المعتدل الذي يتزعمه حسّان قلاتي إلى قبول الاصلاحات التي وعدت بها الحكومة الفرنسية في نطاق نظام الحماية . وانتهى الأمر بهذا الشق إلى الانفصال عن الحزب الدستوري في سنة 1921 وتكوين حزب جديد أطلق عليه اسم « الحزب الاصلاحي » .

ووجد الصادق الزمرلي نفسه مضطرّا للاختيار بين الحزبين . ومال بطبيعته إلى الحزب الاصلاحي ، بناء على ما كان يَربطه من علاقات متينة بقادة ذلك الحزب ، وعلى رأسهم صديقه القديم حسان قلاتي . وتركّز نشاطه بالخصوص على التحرير في الجريدة الأسبوعية التي أصدرها الحزب في سنة 1921 وهي جريدة « البرهان » .

ولكنّ الحزب الاصلاحي لم يستطع جلب الجماهير إلى صفوفه ، فانقلب إلى مجرّد مجمع يضم عددا قليلا من المثقفين الذين لا صلة لهم بالشعب .

وبعد مدة قليلة توقفت جريدة « البرهان » عن الصدور بمحض إرادتها وبقي الحزب الاصلاحي يعمل على نطاق ضيّق ، إلى أن انحلّ تماما على إثر فشل زعيمه حسّان قلاتي في انتخابات المجلس الكبير (10) .

---

(10) عمر بن قفصية « اضواء على الصحافة التونسية » ص 26 – منشورات بوسلامة 1972 .

ولقد تأثّر الصادق الزمرلي بالغ التأثر بما تسبّب فيه ذلك الانشقاق من تشتّت في صفوف الوطنيّين المخلصين . فانقطع عن كل نشاط سياسي وتفرّغ للقيام بمهامّه الإدارية بوزارة العدل التي أحدثت في سنة 1921 وأصبح من أعضاد الوزير الجديد الطاهر خير الدين الذي بقي على رأس وزارة العدل إلى سنة 1934 .

وإلى جانب عمله الإداري تولّى تدريس التاريخ والترجمة بالمدرسة العليا للغة والآداب العربية التي يشرف عليها آنذاك المستشرق ويليام مرسي(W. Marçais)

كما عاوده الحنين إلى الكتابة عن القضايا الشرقية التي كانت محلّ اهتمامه ضمن أسرة جريدة « التونسي » ، فنقل إلى اللغة العربية ، بالاشتراك مع الاستاذ محمّد بورقيبة ، تصنيف الكاتب التركي أحمد رضا باي :

« الافلاس الأدبي للسياسة الغربية بالمشرق » (11) .

وأبت الظروف إلاّ أن تجرّه لاقتحام الميدان السياسي من جديد خلال الحرب العالمية الثانية . ذلك أن صديقه القديم المغفور له محمد المنصف باي الذي ارتقى إلى العرش في شهر جوان 1942 قد عيّنه مديرا للمراسم ومنحه لقب « أمير أمراء » . فأصبح منذ ذلك التاريخ يعرف لدى الخاصّ والعام باسم « الجنرال الزمرلي » .

ولم يقتصر دوره على تنظيم المراسم الملكية ، بل أصبح المتكلّمَ الرسميَّ باسم الباي والواسطة بينه وبين المقيم العام الفرنسي من جهة ، وبينه وبين السلط الألمانية والايطالية من جهة أخرى بعد احتلال قوات المحور للبلاد التونسية في شهر نوفمبر 1942 . كما عيّنه الباي عضوا في مجلسه الخاص الذي كان يضم بالخصوص الأمير حسين باي شقيق الملك والوزير الأكبر محمد شنيق وبقية

---

(11) « La faillite morale de la politique occidentale en Orient) الطبعة الأولى : باريس 1922 – الطبعة الثانية منشورات بوسلامة تونس 1979 .

الوزراء الدكتور محمود الماطري وصالح فرحات ومحمد العزيز الجلولي . ولقد قام الفقيد بكل المهام المنوطة بعهدته في مثل تلك الظروف الحرجة ، على أحسن وجه ممكن ، ووجد فيه المنصف باي المستشار المخلص والعضد الوفيّ .

وبقي مخلصًا له بعد إقصائه عن العرش في 14 ماي 1943 وحتى بعد وفاته في أول سبتمبر 1948 . وقد نشر كتابا (12) سلّط فيه الأضواء على الأحداث التي عاشتها بلادنا في عهد المنصف باي وما بذله الملك الشهيد من جهود للدفاع عن السيادة التونسية . ويعتبر ذلك الكتاب المرجع الأساسي لدراسة تلك الفترة الحاسمة من تاريخ البلاد التونسيّة .

وعاد الجنرال الزمرلي بعد انتهاء الحرب إلى العمل بوزارة العدل إلى أن أحيل على المعاش في سنة 1955 ، وقد بدأت تتحقق الآمال التي ناضل من أجل تحقيقها منذ شبابه الباكر : ألا وهي حرية تونس واستقلالها .

ولكنه لم يركن إلى الراحة كغيره من المتقاعدين ، بل شمّر عن ساعد الجدّ وأخذ في البحث والتنقيب في خبايا التاريخ التونسي ، حتى أخرج لنا سلسلة من الكتب المخصّصة لتراجم نحو الخمسين شخصية من « الشخصيات التونسية البارزة » التي لعبت دورا هاما في تاريخ تونس المعاصر ، على وجه الخصوص ، سواء في الميدان الإداري والسياسي أو في الميدان الفكري والثقافي .

وهكذا فقد أصدر الكتاب الأول « الروّاد » (13) في سنة 1966 والكتاب الثاني « التابعون » (14) في سنة 1967 والجزء الأول من الكتاب الثالث

(12) « 1942 — 1943 » « Espoirs et Déceptions en Tunisie » الدار التونسية للنشر — تونس 1971 .

(13) « les Précurseurs » منشورات بوسلامة — تونس 1966 .

(14) « Les Successeurs » الدار التونسية للنشر — تونس 1967 .

« المعاصرون » (15) في سنة 1972 والجزء الثاني في سنة 1976 ، وهو آخر كتاب يصدره ، وقد ناهز التسعين من عمره .

ويا حبّذا لو تنقل تلك الكتب إلى اللغة العربية حتى تعمّ فائدتها وتتحقق آمال الفقيد الذي تمنّى منذ صدور الكتاب الأول « أن يجد فيه الشباب التونسي المتعلق شديد التعلق بماضيه ، ما يدعوه إلى الاعتزاز بمن بذلوا قصارى جهدهم ليضمنوا له احتلال المكانة المرموقة التي تبوّأها السلف في الميدان الثقافي والأدبي في إفريقيّة الاسلامية » (16) .

حمّـادي الساحلي

(15) « Les Contemporains et les autres » الدار التونسية للنشر – تونس الجزء الأول : 1972 – الجزء الثاني : 1976 .

(16) الغلاف الخلفي لكتاب « الرواد »

ألفيــة ابـن الجــزار

بقلم : محمـد سويســي

إنّما المرء حديث بعده ....

وصار من سنن النّاس أن يحتفلوا بمرور أحقاب معيّنة من الزمن على ولادة أعلامهم أو وفاتهم ، وأن يذكروا ما سجّلوه من أياد لصالح بني جلدتهم خاصّة أو البشر عامّة ...

وتلك سنة كريمة ، سنة وفاء وسنة ترابط وتعاضد بين الاجيال ... سنة تشعر البشرية بها أنّ الأعلام زينة لها جميعا وأن أعمالهم لها تراث مشترك ... إلاّ أنّه قتل الانسان ما أكفره ! فكم علـَم ضاع ذكره ونسيت آثاره ! وهذا ابن الجزّار الطبيب العربي التونسي مرّت ألفية وفاته فلم يهبّ أطبّاء العرب لاحياء ذكراه ، بل لم يشعر بألفيته العلماء الاساتذة في الطب بالبلاد التونسية ...

وقديما قال الامام الشافعي : (والعود في أرضه نوع من الحطب) ومن باب البرّ والوفاء نسجّل في ما يلي بعض التأمّلات حول آثار ابن الجزّار وحول « مجرّباته » .

ونترك لغيرنا عرض ظروف حياته ووصف الفترة التاريخية التي عاش فيها ... وسنكتفي بالاشارة إلى بعض مواطن الطرافة في عمله العلمي وإلى أعمال كان له فيها فضل السّبق ، في حقل الطب والصيدلة .

* **طرافة ابن الجزّار :**

يقول أبو العبّاس أحمد الخميري الشهير بالمغازلي (القرن 10هـ) في مقدمة كتابه « تحفة القادم » الذي أهداه أبا يحيى زكرياء بن أبي العبّاس أحمد الحفصي :

« ولتعلموا أعزّكم الله ورضي عنكم أن من الواجب الذي لا تغفلونه كما في كريم علمكم ، انّ المصنفات الكبار التي تنظر في علم الطب مصنفوها من غير هذا الاقليم ، كابن سينا ، إنّما هو بخاريّ والمجوسي صاحب الكامل ، إنّما هو من مجوسة من أرض العراق ، وكذلك سائر التصانيف ، فإنها من غير هذا الاقليم .

والمناسب للنظر بهذا الاقليم تصانيف ابن الجزّار لأنّه إفريقي ؛ وأمّا سائر المصنفات فلا ينبغي لغير الطبيب الماهر المداواة بنصّها على ما هي عليه إلاّ بعد مراعاة قدر اختلاف الطبائع ، باعتبار القطر وتأثير الأدوية في قطر دون قطر بحسب عروض الاقاليم والعادات .... » .

وممّا يؤيد رأي الخميري ما نجد في كتاب « الاعتماد في الأدوية المفردة » من تحقيق لأشخاص النباتات وضبط لأسمائها بالعربيّة أو بلهجة إفريقية وإشارة إلى منابتها في البلاد التونسية ... ومن ذلك ان « الغافث يسمّى بإفريقية شجرة البراغيث ، وهي شجرة صغيرة طولها أرجح من ذراع ، ذات أغصان وورق يتدبّق ويلتصق إذا مسّ ورقها ، أخضر ، أحرش ، فيه طول على طول الابهام وعرضه ، وأغصانه صفر لها قشر ، ولها نوار أصفر ، فإذا جفّ ابيضّ ؛ وقد ينبت في أرض تونس وفي الجبالات والأودية .... » وكذلك « الأنجرة وتسمّى بالعربية (1) القريصة .... منبتها في الخرابات ، **وقد تنبت بسوسة** ... » .

(1) يقصد ابن الجزار بلفظ العربية لهجة أهل تونس .

وكذلك « البابونج وهو البابوش وهو بالرومية خماميـي (2) ، وتفسيره تفّاح الأرض ، وهو حشيشـة ذات ورق صغير دقيـق أخضر إلى **الصفورة** (3) وذات أغصـان رقـاق خضر إلى **الصفورة** (2) ، ولهـا نـوار أزرق ما بين **الخضورة** (3) إلى **الصفورة** (3) .... » و« الاسفيداج بالفارسية ، هو **الباروق** بالعربية (1) ، وهو شيء أبيض شديد البياض يعمل من الرصاص والخـلّ ، وذلك أن يحلّ الرصاص بالخلّ الحاذق فيكون اسفيداج » و« من الرصاص الاسرب وهو الآنك بالفارسية ، وهو **القزدير** بالعربية (1) » .

وتجدر الاشارة أن أحمد الخميري نحا عين المنحى فنجد في « تحفة القادم » الكثير من مسمّيات اللهجة التونسية والعديد من التعابير الخاصّة بها . من ذلك : لحم « حوالي » الضّأن ولحم « الفلالس » و« حبة حلاوة » واللحم المشوي و« المطجّن » و« القلايا » ؛ ومن الملابس الثياب من رفيع « الملف » و« الشاشية » ؛ ومن الأواني « طاجين الفخّار » و« البرمة » ، ومن المكاييل « القفيز » الخ ...

ولم تكن هذه الصفة الاقليمية التي تميّزت بها أعمال ابن الجزّار مجرّد نزعة جهوية وانغلاقا على البيئة التي كان يعيش فيها . بل ان الباعث عليها كان أساسا سعيا دائبا إلى الوقوف على عين الأدوية والاعشاب الموصوفة في كتب الاقدمين وإلى إعلام الناس بها حتى يعمّ الانتفاع بها ويتجنب المريض الخلط بينها .

فمن المعلوم أنّ كتابا من أهمّ الكتب المعتمدة في الأدوية المفردة كتاب ديوسقوريدس ، وقد نقله اصطفن بن باسيل من اليونانية إلى العربية في أيّام المتوكّل العبّاسي ؛ وصحّح ترجمته حنين بن اسحاق ؛ إلاّ أنّه « ما لم يعلم اصطفن له اسما في اللسان العربي تركه في الكتاب على اسمه اليوناني » .

---

(2) (Camomille) نقل حرفي .

(3) يلاحظ استعمال صيغة فعولة (لا فعلة) بضم الفاء للدلالة على اللون ، وهو استعمال تونسي .

وتنبّه ابن الجزّار إلى هذا العيب وحاول تداركه في كتاب « الاعتماد » ؛ وهو يبرّر بذلك إقدامه على تحرير كتابه ، وذلك « انّ كثيرا من الأدوية التي ألقاها (ديوسقوريدس وجالينوس) في كتبهما مجهول غير معروف في اللسان العربي ؛ وكثير منها معلوم غير موجود » .

فكانت تلك إذن مرحلة في سبيل تصحيح ما كان يجب أن يصحّح من أسماء العقاقير وتعيين أشخاصه ، إلى أن أمر عبد الرحمان الناصر جماعة من الاخصّائيين المتكلمين « بالاغريقي واللاطيني » بتصحيح هذه الاسماء « تصحيح الوقوف على أشخاصها بمدينة قرطبة خاصة بناحية الاندلس، ... ، وتصحيح النطق بأسمائها بلا تصحيف ... » (4) .

وكان من بين هذه الجماعة التي أعادت النظر في ترجمة كتاب الادوية المفردة لديوسقوريدس الطبيب القرطبي الشهير عبد الرحمان بن اسحاق ابن الهيثم ؛ ومن جملة مصنفات هذا الطبيب نجد كتاب « الاقتصار والايجاد في خطأ ابن الجزّار في الاعتماد » .

ولئن اهتمّت شخصية مبرّزة كهذه بتعقّب كتب ابن الجزّار فذاك يدلّ على ما نال ابن الجزّار من شهرة في بلاد الاندلس .

ونحن لا نستغرب ذلك إذا ما ذكرنا أنّ عمر بن حفص بن بريق كان له رحلة إلى القيروان إلى أبي جعفر بن الجزّار ولزمه مدّة وأخذ عنه الصناعة وروى عنه تآليفه . ثم عاد إلى الاندلس ؛ وهو الذي أدخل كتاب « زاد المسافر » إليها ، وخدم بالطب عبد الرحمان الناصر ؛ وممن تلقّى تاليف ابن الجزّار عن ابن بريق أبو داود سليمان بن حسّان المعروف بابن جلجل (5) ، وعنه نقل ابن أبي أصيبعة في « عيون الانباء » .

---

(4) عيون الانباء ، ج 3 ، ص 77 .

(5) وله كتاب تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديوسقوريدس ، ألفه سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة/981م ، عيون الانباء ، ج 3 ص 77 .

على أنّ شهرة ابن الجزّار لم تقتصر على الجناح الغربي من دار الاسلام ، بل انها امتدّت أيضا نحو المشرق ، بالرغم عن كون ابن الجزّار لم يفارق إفريقية ولم يتوجّه إلى الشرق قصد الحجّ أو بغية الاجتماع بأيمة الطبّ فيه . فهذا الشاعر كشاجم ، من أهل الرملة بفلسطين ، المتوفّى سنة 360هـ/ 970م (6) ، — وهو لم يدخل قطّ القطر الافريقي ، — يقول في مدح أبي جعفر ، واصفا كتابه « زاد المسافر » :

أبا جعفر أبقيت حيّا وميّتا (7) مفاخر في ظهر الزمان عظاما
رأيت على زاد المسافر عندنا من الناظرين العارفين زحاما
فأيقنت أن لو كان حيّا لوقته يُحنّا (8) لما سمّى التمام تماما
سأحمد أفعالا لأحمد لم تزل مواقعها عند الكرام كراما » (9)
(الطويل)

وإن تغافل أصحاب الطبقات من المالكيين الافارقة خاصة ، عن الاعتناء بترجمة ابن الجزّار ، فقد يكون السبب في ذلك ، على رأي المنعّم ح. ح. عبد الوهاب ، أن أبا جعفر كان من وجوه رجال الشيعة .

ونخرج ممّا سبق بنتيجة هي ان « النّاظرين العارفين » في صناعة الطب — رغم انتشار كتب الرّازي وغيره من الشخصيات العلمية بالمشرق — قد وجدوا في مصنفات ابن الجزّار فوائد جمّة وتدقيقات مهمّة وتجارب جديدة ونهجا شخصيا بديعا ...

ولعلّ أبرز وجوه الطّرافة التي أعجب بها المتصفحون لكتب ابن الجزّار ما اتّصف به من ميل إلى التقسيم والتفريع ، الأمر الذي تميّز به

(6) محمود بن الحسين ، من شعراء سيف الدولة ؛ انظر شذرات الذهب ج 3 ، 37 — 38 .
(7) هل يفيد هذا أن ابن الجزار توفي قبل سنة 360هـ ، وهي السنة التي توفي فيها كشاجم ؟
(8) يريد : يوحنا بن ماسويه طبيب شهير من النصف الثاني من القرن الثالث ، في عهد الواثق ، وله كتاب سماه « التمام » .
(9) عيون الانباء ، ج. 3 ، ص 61 .

المغرب العربـي في الكثير من الميادين .... وحسبنا أن نستشهد بمثال آخر من هذا القبيل ، هو ما قام به الامام سحنون بالقيروان من تمييز وفصل بين خطتي القضاء والحسبة ...

فاعتنى ابن الجزّار باختصاصات عدّة من الحقل الطبـي وصنّف في كل منهـا كتبـا متميّـزة يقتصـر كل منهـا على اختصـاص واحد من هذه الاختصاصات ؛ ومن هذه المؤلفـات نذكر ما يلي :

ـ طبّ المشايخ :

وهي رسالة يقول عنها ح. ح. عبد الوهّاب إنه « عالج فيها الحالات التي تعتري المسنّين والمعمّرين وما يجب عليهم اتباعه للمحافظة على العافية واستدامة صحتهم .... » كما يذكر أنّه وجد أصلها « في مجموع طبّـي محفوظ في مكتبة أحمد بك خيري ، من أعيان البحيرة في مصر » وانه استنسخها وجلبها إلى تونس . ويعلّق على ذلك الحكيم أحمد بن ميلاد بأنه « يظهر أن هذا الكتاب مقتبس من كتاب « العدة لطول المدة » الذي ذكره ابن أبـي أصيبعة ، وهو مفقـود » .

وقدم السيد اسماعيل بوضربة أطروحة دكتورا حول هذا الكتاب ناقشها أمام جامعة الجزائر سنة 1952 .

ـ « سياسة الصبيان وتدبيرهم » حققه الاستاذ محمد الحبيب الهيلـة (ط. تونس 1968) .

وسيكون لنا عودة إلى هذا الكتاب .

ـ « طب الفقـراء والمساكين » « وهو غـريب في بابه » منه مخطوط بمكتبة غوطة والاسكوريال .

وأبرز ما تلـوح الطّـرافة في عمل ابن الجزّار في تفطّنه إلى الفصل بين الطب والصيدلة أي بين الامراض والأدواء وتشخيصها ووصف علاجها من

جهة ، وبين طبائع الأدوية المفردة أو المركّبة وكيفية تركيب الأدوية والمقادير النسبية اللازمة فيها ، من جهة أخرى .

وسنورد في نهاية البحث لوحات توضّح مدى اهتمامه بذلك .

ولعلّه يشير إلى هذا الأمر عند تعرّضه لديوسقوريدس وجالينوس بالنقد فيقول : « الأوّل ذكر منافع الأدوية ومضارّها ومناسبها والمختار منها ، ولم يذكر طبائعها ولا كميتها وقوة كل واحد منها الخ » وأمّا الثاني : « فإنه ذكر قوى أكثرها ولم يبالغ في ذكر منافعها ومضارّها وخواصّها المخصوصة بها » (10) ...

وينفّذ ابن الجزّار رأيه بالتفريق المادّي بين محلّ المعالجة ومحلّ بيع الدواء .

فينقل ابن أبي أصيبعة عن ابن جلجل ما يلي : « وكان (أبو جعفر) قد وضع على باب داره سقيفة أقعد فيها غلاما له يسمّى برشيق ، أعدّ بين يديه جميع المعجونات والأشربة والأدوية ؛ فإذا رأى القوارير (11) بالغداة أمر بالجواز إلى الغلام وأخذ الأدوية منه ... » (12) .

*** عودة إلى كتاب « سياسة الصبيان وتدبيرهم » — أسبقية ابن الجزّار في ميدان طبّ الصبيـان :**

لابدّ لنا — قبل كلّ شيء — أن نعود إلى بعض المعلومات المتعلقة بمولد ابن الجزّار وبوفاته ، لتفنيد مقالة للدكتور محمد الحاج قاسم محمد الموصلي

(10) من مقدمة كتاب « الاعتماد » خ. تونس رقم 20327 حقق المقدمة الأستاذ ابراهيم بن مراد ؛ الحياة الثقافية ، السنة الخامسة عدد 8 مارس أفريل 1980 ص 132 .

(11) أي بعد النظر في بول المرضى ، وهو ما كان يسمى بالتفسرة .

(12) عيون الانباء ؛ ج. 3 ص 60 .

إذ يقدّم مخطوطة في طب الأطفال لأبـي الحسن أحمد بن محمد الطبري (13) (الذي كان يعيش بين 320هـ و366هـ) فيعلّق بقوله : « تتجلّى أهميـة هذا الكتاب :

أوّلا : من حيث كونه أقدم ما وصل إلينا من كتابات الأطباء العرب المسلمين في موضوع طب الأطفال باللغة العربية ؛ وأمّا كتاب الرّازي في طب الأطفال الذي يعتبر أوّل مؤلف في هذا الحقل ، فلا يوجد منه نسخة باللغة العربية .

ثانيا : يؤكّد المؤلف في مقدمته بأنه لم يتكلم أحد قبله في علاج الأطفال كلاما شافيا الخ ... » (14) .

نقول : أوّلا إن ابن الجزّار ولد بالقيروان حوالي سنة 284هـ/898م والقول الراجح إنه توفّي سنة 369هـ/980 ، اعتمادا على رواية ابن عذاري في البيان المغرب . على أنّنا نكاد نوقن أنّه توفّي قبل السنة التي توفّي فيها كشاجم ، أي سنة 360 ، إذ هو يقول في مدح أبـي جعفر :

أبا جعفر أبقيت حيّا وميّتا   مفاخر في ظهر الزمان عظاما

وبذلك تكون الأسبقية لابن الجزّار على الطبري : على أن أبا جعفر لم يقتصر على علاج البدن في « تدبير الصبيان » ، بل هو تجاوزه « إلى سياستهم » وتدبير نفوسهم .

ولا غرابة فان ذلك كان متداولا في ذلك العصر بافريقية ؛ فهذا محمد ابن سحنون ، من قبل أبـي جعفر ، (توفي ابن سحنون سنة 256هـ/869م) يتطرّق إلى عين الموضوع في كتابه «آداب المعلّمين» (15) ؛ وكذلك بعده

(13) كتاب المعالجات البقراطية في علل الأطفال وتدبيرهم ومداواتهم حين يتولد (كذا) وآداب المرضعة الخ ... خ. دار الكتب المصرية رقم 141 .

(14) انظر مجلة المورد العراقية ج 6 ؛ 1977/1398 ص 486 .

(15) نيل الابتهاج ص 234 .

بقليل علي بن محمد بن خلف المعافري المعروف بأبي الحسن ابن القابسي (ت. 1012/403م) في « كتاب المعلمين والمتعلمين » (16) .

وأمّا المرجّح الذي يستند إليه الدكتور محمد الحاج الموصلي أي ما يؤكّده المؤلـف في مقدمتــه « بأنـه لم يتكلّـم أحـد قبلـه في علاج الأطفال كلاما شافيا الخ ... » فمردود بسهولة ، إذ نجد عين التّعبير في مقدمات كتب ابن الجزّار .

فهو يقول في مقدمة « الاعتماد في الأدوية المفردة » الذي أهـداه إلى القائم بأمر الله المهدي (322هـ/933م – 945/334م) ما نصّه : « ولم أر لأحد من الأوائل كتابا جامعا مرضيا ، ولا كلاما شافيا بحسب ما يجب أن يؤلف في هذا الباب الكريم المنفعة العظيم الفائدة لمعالجة الأسقام والأدواء الخ ... » .

كما يقول في مقدمة كتاب « سياسة الصبيان وتدبيرهم » بالذات « إن معرفة سياسة الصبيان وتدبيرهم باب عظيم الخطر ، جليل القدر ، ولم أر لأحد من الأوائل المتقدمين المرضيين في ذلك كتابا كاملا شافيا الخ ... » (17) :

وربّما كانت تلك طريقة عامة يتخذها الكتاب كي يبرّروا ما يقدمون عليه من تأليف في مواضيع سبق أن مارسها مصنّفون بارعون .... كأنّهم يريدون الرّدّ على من يتساءل : « هل غادر الشعراء من متردّم ؟ » ويقول : « هل أبقى السّابق للآحق مجالا للقول المفيد ؟ ! » .

ويصرّح ابن الجزّار أنه لم يكن سوى « جامع لعيون ما ذكره أفاضل الأطبّاء من مكنون علمهم وصحيح تجربتهم » ؛ على أنه في الواقع يردف استشهاداته من أقوال القدامى بنتائج « مجرّباته » الشخصية وثمرة ما أدّت

(16) نيل ص 201 .
(17) تحقيق الاستاذ الهيلة ص 57 .

إليه تحقيقاته فيؤيّد ما نقل أو يصلح ما جاء فيه من أخطاء ، ويحاول تعليل نجاعة الدواء أو عجزه عن العلاج .

فمن ذلك ما جاء في الباب العاشر من « سياسة الصبيان » وهو الباب المخصّص للصرع العارض للصبيان ويسمّى أبلمسيا :

« **وزعم** جالينوس أنّه رأى صبيّا ابن تمان سنين لم يصبه هذا الوجع والعرض البتّة ، وكان يعلّق عليه عقار (الفاوينا) ؛ فلمّا وقع من عنقه عرض **له هذا الـداء من ساعتـه .... قـال : فرأيـت من الـرأي أن أنزعـه عنه أيضا لأجرّ به** ، فلمّا نزعته منه وقع في عرضه أيضا ، ثم أعدته عليه فبرىء من ساعته ولم يقع بعد في هذا الدّاء .

قال ؛ وأنا أقول : إنّه قد تسيل من هذا الدواء أجزاء صغار فتستنشق في التنفّس فتبرأ المواضع السقيمة وإنّه يغيّر الهواء فيستنشقه الإنسان فينفعه **ذلك** » (18) .

وأهمّ المصادر التي يرجع إليها ابن الجزّار هي الآتية (ومعظمها من الاطبّاء القدامى) :

- كتب جالينوس ولاسيّما :

1) مقالة بولوس في تدبير الاصحّاء
2) كتاب السياسة
3) كتاب الصنعة الطبية
4) كتاب الأدوية المبسوطة .

- كتب بقراط ، ولاسيّما :

1) كتاب الفصول .

---

(18) سياسة الصبيان ص 99 .

— وينقل أيضا عن سابور (بن سهل ت. 255هـ) ويحيى بن ماسويه ، السرياني ، صاحب « التمام » ، وديوسقوريدس وروفس وأرسطاطاليس ...

— ومن الطريف أن نجد من بين مصادر أبي جعفر مقالات فيلسوف لاطيني ، هو الشاعر اوراس (64 — 8 قبل م) ، من عهد الامبراطور أغسطس ، ومن آرائه أنّ السعادة في القناعة أو « أن أكثر الناس إنّما أوتوا في سوء مذاهبهم من عادات الصبا إذا لم يتقدّمهم تأديب وإصلاح أخلاقهم وحسن سياستهم » (19) .

— وينقل ابن الجزّار أحيانا عن اسحاق بن عمران (ت. 907/294) ، طبيب زيادة الله الاغلبي .

— وممّا تجدر الاشارة إليه أنّ أبا جعفر لم يذكر أيّ نقل عن معاصره المشرقي أبي بكر محمد بن زكريا الرّازي (251هـ/805م — 313هـ/925م) ولعلّ السبب في ذلك انقطاع الصلة (أو على الأقلّ ضعفها) بين الخلافة العباسية في المشرق ودولة الفاطميين في المغرب. وبصفة عامة إنّ ابن الجزّار يفضّل الرجوع إلى المصادر القديمة ، إلى أصول الطب أي كتب جالينوس وبقراط وديوسقوريدس ؛ وإذا ما رجع إلى المحدثين فعن طريق الوساطة أو فيما أضافوه إلى مقالات الاقدمين .

ومن ذلك جملة وردت في مقدمة كتاب « الاعتماد » : « ومع ذلك فليكن عدّة للشيخوخة التي كان افلاطون يسمّيها أمّ النسيان » ؛ فيلاحظ الاستاذ إبراهيم بن مراد (20) أنها وردت قبل ذلك في مقدمة « الماليخوليا » لابن عمران ؛ والواقع ، في رأينا ، أن الكاتبين كليهما اقتبسا هذا التعبير من

(19) سياسة الصبيان ص 135 .

(20) مقال : المصادر التونسية في « الجامع » لابن البيطار ؛ الحياة الثقافية س 5 ؛ 8 ؛ مارس 1980 .

كتاب « حيلة البرء » لجالينوس إذ كانت مقالاته متداولة بين جمع الأطبّاء وكثيرا ما تردّد هذا المعنى ، بل وهذا التعبير ، في كتب أيمة الطب العربي .

فيقول ابن الهيثم (21) مثلا : « إني صيّرته ذخيرة وعدّة لزمان الشيخوخة وأوان الهرم .... فكنت في ذلك كما قال جالينوس في المقالة السابعة من كتابه « حيلة البرء » : إنّما قصدت وأقصد في وضع ما وضعته وأضعه من الكتب إلى أحد أمرين ، إمّا إلى نفع رجل أفيد إيّاه ، وإمّا أن أتعجّل أنا في ذلك رياضة أروض بها نفسي في وقت وضعي إيّاه ، وأجعله ذخيرة لوقت الشيخوخة الخ ... » (22) .

وبعدما قدّمنا من إشارات ترمي إلى إثبات الأسبقية لابن الجزّار في حقل طبّ الاطفال ، نحن نعود إلى عين الموضوع وإلى ما تعرّض إليه الدكتور محمود الحاج الموصلي في المقال المذكور « ممّا يخلص إليه الطبري من حقيقة علمية يسجّلها له بفخر ، ألا وهي ضرورة معالجة الطفل المريض نفسه وعدم الاكتفاء بعلاج المرضعة » ، وهو يعتبر ذلك « طفرة عظيمة في حقل معالجة الأطفال ، لم يسبقه بها أحد » .

ونحن، إذ نوافق الدكتور على الجزء الأوّل من قوله، وعلى هذه « الطفرة العظيمة في حقل معالجة الأطفال » ، نكون مرغمين بمخالفته في الجزء الثاني الخاصّ بأسبقية الطبري في هذا الميدان ....

وحسبنا ، للاقتناع بما نقدّم ، ان نتصفّح كتاب « سياسة الصبيان » وأن نحلّل أبوابه تحليلا سريعا ؛ فهذا ابن الجزّار يبتدىء « تدبير الأطفال » منذ خروجهم من الرّحم ، ويهتمّ باعتدال مزاجهم ، ويعنى بمضجعهم ، فيضع الطفل في الفراش « مستويا معتدلا » ويجعل « رأسه إذا نوّم أعلى من

---

(21) [354هـ/965م – 430/1039م] .

(22) عيون الانباء ، ج 3 ص 154 .

جميع بدنـه » ، ويصف ما يشترط في غسل الطفل وتنظيفه وكيفية إرضاعه وأوقات « طعمه » وكيفية إجلاسه وتكليفه بالمشي ... ويمرّ بعد ذلك إلى المرضعة وما تحتاج إليه كي تكون صالحة لارضاع الصبـي ... ثم يعود إلى الطفل نفسه وما يعرض له من أعراض في كل درجة من سنّه ، وما يعتريه من سهر وتفزّع في النوم وما قد يصاب به في أذنيه وعينيه ، وما يعرض له من أوجاع في حين نبات الأسنان ومن قروح في فمه الخ الخ ...

إذن كان المقصود بالعـلاج ، عند ابن الجـزّار ، الصبـي نفسـه أوّلا وبالذات ، وإذا ما تعرّض للمرضع وإصلاحها فما كان ذاك إلاّ وسيلـة في سبيل إصلاح الصبـي عينـه .

* **أسلوب ابن الجزّار في كتاب « سياسة الصبيان » :**

يكاد يكون الأسلوب الذي يتوخاه ابن الجزّار هو إيّاه في كل أبـواب الكتاب ؛ ولنأخذ نموذجا من ذلك ما جاء في الباب الحادي عشر المخصّص للسهر العارض للصبيان .

فتركيب النصّ منطقـي والعـرض متسلسـل ينطلـق من الأمـر الطبيعي المتعارف ثم يتدرّج إلى عرض الحالات التي يختلّ فيها هذا الوضع من سهر دائم واضطراب وتفزّع في النوم وتخييل هائل ويعلّل ابن الجزّار مظاهر هذا المرض العارض للصبيان ويستند في تعليله إلى آراء أبقراط وجالينوس فيرجع المرض إلى توتّـر عصبـيّ واضطراب بدني منشأهما رطوبة اللبن وفساد الطعام في المعـدة .

وعن ذلك ينتج العلاج ويتفرّع إلى وجهين :

1) يتوجه العلاج إلى إزالة توتّـر الأعصاب وبعثها على الاسترخاء ويكون ذلك بأدوية مختلفة :

– سعوط يسعط به الصبيّ

– دهن جبهة الصبيّ ، حيث تتجمع عروق الرأس والاعصاب المتّصلة بالمخ

– سقي الصبيّ شراب الخشخاش ، وهو مخدّر باعث على النّوم أي معين على إزالة المرض المتمثل في السهر الدائم

– تقديم أدوية متبخّرة إلى الصبي كي يستنشق رائحتها .

2) العمل على القضاء على أصل الدّاء (وهو رطوبة اللبن وثقل الطعام على المعدة) ويكون ذلك باصلاح لبن المرضع :

أولا : بأن ترتاض رياضة معتدلة تسهل خروج الرطوبة (عرق) فيكتسب اللبن لزوجة وقوة .

ثانيا : بأن تعتني بغذائها كي يكون الغذاء لائقا ملائما لحالة الرضيع .

وفي غالب الأحيان لا يقتصر ابن الجزّار على التوصية بالأدوية النافعة للمرض الذي يصفه بل يدقق وصفته بذكر المقادير النسبية للعقاقير الداخلة في تركيب الأدوية . ودونك نماذج من هذه الوصفات معبّرا عنها في شكل الوصفات الصيدلية العصرية .

ابن الجزّار الصيدلاني :

صفة أقراص ألّفها ابن الجزّار لانطلاق الصبيان والقعود عن الدم والزحير

التركيب :

صمغ عربي	مثقال	4،12 غ
طين أرميني................................	مثقال	4،12 غ
نشا حنطة................................	مثقال	4،12 غ

طباشير أبيـض	درهم	3،08 غ	(23)
بزر حمّـاض............................	درهم	3،08 غ	
بزر رجلة	درهم	3،08 غ	
جلّنـــار	درهم	3،08 غ	
أقاقيـــا	درهم	1،54 غ	
رامك	درهم	1،54 غ	
زعفـران	درهم	1،54 غ	

إحضار الدواء وعرضه :

يدق الكلّ وينخل ويعجن بماء قد أنقع فيه سمّاق أو بماء الريحان الاخضر .

يعمل منـه أقراص وزن الواحـد من نصف دانق أي 0،26 غ إلى دانقين 1،03 غ .

كيفية الاستعمال والمسوّغ والمقدار :

يسقى منه الصبيّ على قدر احتماله برُبّ سفرجل .

ملاحظـــة : مجـرّب نـــافع .

وصفة علاج الغشي والقيء والمشي
من تأليف ابن الجزّار (24)

تركيب الـدواء :

ورد أحمـر............................	4 دراهم	12،32 غ
طباشيـر أبيـض	4 دراهم	12،32 غ

(23) ابن الجزار : سياسة الصبيان وتدبيرهم ، ص 120 ؛ ما زالت الامهات تستعمل النشا حتى اليوم لانطلاق الصبيان .

(24) ابن الجزار : سياسة الصبيان وتدبيرهم ، ص 121 .

كثيراء بيضـاء..............................	درهمان 2	6،16 غ
سك	درهمان 2	6،16 غ
برز البقلة الحمقاء........................	مثقال	4،12 غ
برز حمّـاض..................................	مثقال	4،12 غ
كهربـان	مثقال	2،06 غ

إحضار الدواء وعرضه :

يدق الكلّ وينخل ويعجن بماء الورد أو بماء الرمّان ، ويقرص أقراصا وزن الواحد من درهم (3،08 غ) إلى مثقال (4،12 غ) ويشرب بالجـلاّب .

ملاحظة : مجرّب محمـود .

صفة برود عمله ابن الجزّار (25)
لعلاج البثور والسّلاق والقروح
العارضة في أفواه الصبيان

تركيب الدواء :

برز الورد	مثقال	4،12 غ
برز البقلة الحمقاء........................	مثقال	4،12 غ
كثيراء بيضاء................................	مثقال	4،12 غ
حلبـة..	مثقال	4،12 غ
سك	درهم	3،08 غ
محلب	درهم	3،08 غ
سكـر طبـرزد	درهمان 2	6،16 غ

(25) ابن الجزار ، عين المرجع ، ص 110 .

إحضار الدواء وعرضه :

يدق الكل وينخل في صفة ذرور .

استعمالـــه :

يذرّ على الموضع الذي فيه الحرّ والبشر والسّلاق .

ملاحظـــة : مجرّب ، محمود ، عجيب .

محمد سويسي
(ديسمبر 1981)

التداخل اللغوي والثقافي في كتاب « الاعتمــاد »
لأحمــد ابــن الجــزار القيروانــي
(مساهمة في احياء الذكرى الألف لوفاة ابن الجزار)

بقلم : ابراهيــم بن مــراد

يعتَبر أبو جعفر أحمد ابن الجزّار القيرواني (ت . 369هـ /979 — 980م) من أهم أعلام الثقافة الطبية والصيدلية العربية الإسلامية ، ولكنّ الاعتناءَ به — على أهميته — لا يزال ضئيلا . ولعلّ أهم ما يبرز قلة الاهتمام به بقاء آثاره الطبيةِ والصيدليّةِ مخطوطةً حتى الآن ، بل مجهولة في معظمها ، ولم يُحقَّقْ من كتبه — الكثيرة — حتى الآن غير كتابين إثنين هما : « سياسةُ الصبْيَانِ وتدبيرُهم » الذي ظهر في تونس سنة 1968 ، وكتاب « في المَعِدَةِ وَأمراضها ومُدَاواتها » الذي نُشِرَ في بغداد سنة 1980 . ومن مظاهر عدم الاهتمام بابن الجزّار أيضا إهمالُ الذكرى الألف لوفاته سنة 1980 ، في تونس خاصة . ولعلّ هذا الصمتَ الذي لا مبررَ له تصْديقٌ صريحٌ لما كان يُعبِّرُ عنه أدبَاءُ بلادِنا وعلماؤُها من شكوى لما يلقونه بين أهلهم وذَوِيهم من غَبْن .

وقد أردنا ببحثنا هذا أن نَنْضُوَ بعض الغبار عن شخصية ابن الجزّار ونُسْهِمَ في التعريف به بدراسة ظاهِرَتَيْ التداخلِ اللغويّ والثقافي في كتابه

« الاعتمادُ فـي الأدْوية المفْردَة » الذي لم نرَ أحداً قبلنا خصّهُ بالدرس أو حاول التعريفَ به التعريفَ الذي يستحقّه كتابٌ مثلُه ، فهو أول كتاب يُخصَّص في تاريخ الطب العربي لموضوع « الأدوية المفردَة » الذي كان قبل ابن الجزّار لا يُتَنَاوَلُ إلا باعتباره جُزءا ضعيفا ضئيلا من موضوع الطبّ العامّ ، وقد أراد ابنُ الجزّار بتخصيصه كتابا له ان يميِّزَه عن موضوع الطبّ العـامّ .

على أن أهميَّة كتاب « الاعتماد » ليست طبيَّةً محضًا ، ذلك أن ابن الجزَّار قـد تحدّثَ فيه عن « المفردات الطبيَّة » ، فكانت للكتاب — لذلك — أهميَّة لغوية وثقافيَّة أيضا . وقد أردْنا أن نتناولَه بالدّرس في جوانبه اللغويَّة ، خاصَّةً ، تاركين ما يتّصِل بالطبّ فيه إلى أصْحاب الاختصاص من الأطبَّاء .

وقد قسّمنا عملنا هذا إلى ثلاثة فصول :

الأوّل عرّفنا فيه بالمؤلّف وبكتابه « الاعتماد » .

والثاني بحثنا فيه ظاهرَتَيْ التداخُل اللغويّ والتداخُل الثقافيّ في الكتاب ، فدرسْنا ظاهرةَ الاقتراض اللغويّ فيه من اللغات الأعجميّة ، واقتـراض الثقافة الطبيّة العربيّة الإسلاميّة من الثقافات الأخرى .

والثالث جمعنـا فيه المصطلحـات الأعجميّة التي وردت مداخلَ في كتاب « الاعتماد » وقدمناها في مُعْجَـمٍ .

الفصـــل الأول

المؤلّف والكتاب

1 ـ المؤلّــف :

هو (1) أبو جعفر أحمد بن ابراهيم بن أحمد ابن أبي خالد ابن الجزّار، ولد في القيروان حواليْ سنة 285هـ/898م (2) في عائلة طبيّة قد اشتهرَ منها والده إبراهيم بن أحمد ابن أبي خالد (ت. 312هـ/924م) (3) وعمُّه أبو بكر

(1) انظر حوله خاصة : ابن جلجل : الطبقات ، ص ص 88 — 90 ؛ صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ، ص ص 61 — 62 ؛ ياقوت الحموي : معجم الأدباء (ط. مصر ، 1936 — 1939 في 20 جزءا) ، 136/2 — 137 ؛ ابن أبي أصيبعة : العيون ، 37/2 — 39 ؛ العمري : المسالك ، 578/5 — 579 ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ، 237/1 ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات (تحقيق جماعة من الباحثين العرب و المستشرقين، صدر منه 16 جزءا ، ط. جمعية المستشرقين الألمان فياسبادن 1962 — 1981) ، 208/6 — 209 ؛ دوقا : « زاد المسافر » ، ص ص 289 — 305 ؛ لكلرك : تاريخ الطب العربي ، 413/1 — 417 ؛ سارتون : المقدمة ، 682/1 ؛ بروكلمان : تاريخ ، 296/4 — 299 ؛

Ben Milad (Ah.) : L'Ecole Médicale de Kairouan (1ère éd., Paris 1933), pp. 26-31; Idris (H.R.) : La Berbérie Orientale sous les Zirides (1ère éd., Paris, 1962, 2 vol.), 1/XIII-XIV, 2/809; Idris (H.R.) : EI 2,3/777; Ammar (Sl.) : En Souvenir de la Médecine Arabe (1ère éd., Tunis, 1965), pp. 52-55;

عبد الوهاب : الورقات ، 306/1 — 322 ؛ سزكين : التراث العربي ، 304/3 — 307 و345/4 ؛ محمد الحبيب الهيلة : مقدمة تحقيق « سياسة الصبيان » لابن الجزار ص ص 27 — 35 ؛

Bouyahia (Ch.) : la Vie Littéraire en Ifriqiya sous les Zirides, (1ère éd., Tunis, 1972), pp. 31-32, (notice 31);

ابراهيم بن مراد : المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة (ط. 1 ، الدار العربية للكتاب تونس 1978) ص ص 47 — 50 ؛ ابراهيم بن مراد : المصادر التونسية ، 130/1 — 136 ؛ سليمان قطاية : ابن الجزار القيرواني ، ص ص 47 — 53 ؛ أحمد بن ميلاد : تاريخ الطب العربي التونسي (ط 1 ، تونس 1980) ص ص 48 — 74 .

(2) عبد الوهاب : الورقات ، 306/1 .

(3) انظر : العيون والحدائق لمؤلف مجهول (الجزء الرابع ، قسمان ، تحقيق عمر السعيدي ، ط 1 دمشق ، 1972) ، 228/1 — 229 والمؤلف فيه ينقل عن ابن الجزار نفسه ، وقد نقل عنه قوله في أبيه : « وكان ورعا ، ولقي محمد بن سحنون وأحمد بن يزيد ومحمد بن يحيى بن سلام وجماعة » .

محمد بن أحمد . ولاشك أن ابن الجزار قد بدأ دراسته الطبّ على والده وعمّه . ولكنّ الأستاذَ الذي كان له الأثر الكبير عليه هو إسحاق بن سليْمان (ت . بعد 341ھ/953م) (4) الذي استقدمَه من مصر إلى إفريقيّةَ آخر الأمراء الأغالبة زيادة الله الثالث سنة 293ھ/905م (5) .

قد شغلَ الطبُّ ابنَ الجزار ممارسةً وتدريسًا وتأليفًا ، فقد كان طبيبا معالجا يستقبل المرضى في عيادة له فتحها في منزله ، وكان صيْدلانيًّا يُعِدّ الأدوية بنفسه ، ويبدو أنّه كان يَبحث عن الأدوية النباتية في مواضِعها أثناءَ رحلات علميّة تعْشيبيّةٍ يقوم بها داخلَ البلاد التونسيّة (6) ، وكان أستاذا يدَرِّس الطب أيضا ، ولا نعرف من تلاميذه إلا واحدًا هو الطبيب الأندلسيُّ أبو حَفص عُمَر بن بُرَيْق الذي قال عنه ابن جُلجُل : « وكانت له رحلة إلى القيروان إلى أبي جعفر ابن الجزّار ، لزمَه ستةَ أشهر لا غير ، وهو أدخل الأندلس كتاب « زاد المسافر » [لابن الجزّار] » (7) .

إلا أن الشهرة الكبيرة التي حظِيَ بها ابن الجزّار في تاريخ الطبّ العربيّ الاسلاميّ — والطبّ الأوروبيّ أيضا — كانت بتآليفه الطبية والصيْدَليّة الكثيرة التي حاول أن يُحيطَ فيها بمختلف المعارف والتجارب الطبية المعروفة حتّى عصْرِه . فقد ألف في الأدوية المفردة (les simples) والأدوية المركّبَة (les composés) وطبّ الأطفال (la pédiatrie) وطبّ المشائخ

---

(4) انظر ترجمته وقائمة موسعة في مصادر ترجمته في : « المصادر التونسية » لابراهيم بن مراد ، 128/1 — 130 و142 (التعليق 28) .

(5) ابن عذاري : البيان المغرب ، 141/1 .

(6) ذلك ما نستنتجه على الأقل من بعض الإشارات المهمة الواردة في كتاب « الاعتماد » ، فقد ذكر وجود «الترنجبيل» في «قصطيلية» في منطقة الجريد (ص 121 و) ، و« الأنجرة » في « سوسة » (ص 158و)، و« الاذخر » في «قصفة وأسافل إفريقية » (ص 175ظ) و« القرطمانا » في « تونس وصطفورية » — في جهة جندوبة الآن — (ص 186و) و « الشبرم » في« باجة » (ص 207ظ) .

(7) ابن جلجل : الطبقات ، ص 107 . وابن بريق هذا عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، وقد خدم بالطب عبد الرحمان الناصر (300ھ/912م — 350ھ/961م) .

(la gérontologie) وإبدال الأدوية (les succédanés) ومنافع الحيوان ومنافع الأغذية ، وفي السموم ؛ على أن اهتمامه الأكبر كان بالأمراض في حد ذاتها وبطرق معالجتها والأدوية الصالحة لها ، وأهم كتاب له في ذلك يمثل خلاصة تجربته الطبية هو « زاد المسافر وقوت الحاضر » الذي تحدث فيه عما يصيب كل أعضاء البدن البشري من الأمراض وطرق علاجها (8) .

لقد كانت حياة ابن الجزار مثالا لحياة العالم الدؤوب بحثا وتجربة . ويبدو أنه قد قضى حياته كلها — وقد نيفت على الثمانين سنة (9) — في إفريقية فلم يغادرها ، وبها كانت وفاته سنة 369هـ/979 — 980م (10) .

(8) انظر وصفا مفصلا لهذا الكتاب عند « دوقا » في « زاد المسافر » ص ص 340 — 353 . وقد سبق لنا أن حققنا مقدمته عن مخطوطة باريس (رقم 2889 في الرصيد العربي لمكتبة باريس الوطنية) ونشرناها ضمن بحثنا « المصادر التونسية » 134/1 — 135 . على أنه لابد من ملاحظة أن ابن الجزار لم يؤلف في الطب فقط ، بل ألف أيضا في التاريخ والفلسفة والأدب والمغازي والجغرافية والتراجم والأحجار الكريمة . أنظر حول مؤلفات ابن الجزار : عبد الوهاب في الورقات 313/1 — 321 وقد بلغ عدد المؤلفات عنده 37 عنوانا ؛ ومحمد الحبيب الهيلة في مقدمة تحقيق « سياسة الصبيان » لابن الجزار ، ص ص 36 — 50 وقد بلغ عدد المؤلفات عنده 44 عنوانا قد نسب البعض منها خطأ أو وهما إلى ابن الجزار (انظر نقدنا لهذه القائمة في بحثنا « المصادر التونسية » 131/1). وقد عثرنا بدورنا على عنواني كتابين آخرين لابن الجزار ذكرهما هو نفسه في خاتمة كتابه « الاعتماد » ص 216و ، هما كتاب « في الحيوان » وكتاب « في مصالح الأغذية » ، ولم يشر إلى هذين الكتابين أحد قبلنا .

(9) ابن جلجل : الطبقات ، ص ص 89 — 90 .

(10) هو التاريخ الذي أثبته ابن عذاري في البيان المغرب ، 237/1 ، وقد أخذ به أغلب المحدثين ممن ترجم لابن الجزار ؛ على أنه لابد من ملاحظة أن تاريخ وفاة ابن الجزار كان محل اختلاف كبير . فقد أرخ البعض لوفاته بسنة 400هـ، وأرخ لها البعض الآخر بسنة 395هـ (انظر تفصيل ذلك الاختلاف عند عبد الوهاب في الورقات، 311/1 — 312، الهيلة : مقدمة «سياسة الصبيان» ص ص 33 — 35، قطاية : ابن الجزار القيرواني، ص ص 48 — 50) . والذي لاشك فيه عندنا هو أن ابن الجزار قد ولد قبل سنة 312هـ/924م وهي سنة وفاة والده ، فيكون التاريخ لوفاته بسنة 400هـ خطأ محضا لأنه عاش حسب قول ابن جلجل « نيفا وثمانين سنة» ، والنيف يعني لغة ما زاد على العقد من الواحد إلى الثلاثة (انظر اللسان، 744/3، مادة «نوف»). فيكون عمره على أقصى تقدير عند وفاته 83 سنة، ولو كان توفي سنة 400هـ لكانت سنة ولادته 317هـ ، وذلك غير ممكن ؛ ويكون التاريخ لوفاته بسنة 395هـ تعسفيا أيضا ، لأنه يجعل تاريخ ولادته سنة 312هـ . ثم إن من المؤكد أن وفاته كانت قبل سنة 377هـ وهي السنة التي وضع فيها ابن جلجل كتابه « طبقات الأطباء » ، وذلك ما يؤكد صحة التاريخ الذي أثبته ابن عذاري في بيانه ورجاحة التاريخ الذي وضعه عبد الوهاب لولادته . وبوفاة ابن الجزار سنة 369هـ (29 جويلية 979 — 16 جويلية 980م) يكون قد مر عليه سنة 1980م ألف سنة .

1 ـ 2 ـ كتاب « الاعتماد » :

ألف ابن الجزّار كتابه للأمير الفاطميّ القائم بن المهدي ، فقد قال في مقدمة الكتاب : « حملنا على العناية بتأليف كتاب أذكر فيه الأدوية التي عليها اعتماد الأطبّاء في معالجة الأدواء للرغبة في طاعة الله والحِرْص على مرضاته والتقرّب إليه بالمناصَحَة لأنْهَاءِ (11) دوْلَة الإمام التقيّ والخليفةِ المرضيّ القائم بأمر الله أمير المؤمنين » (12) ، فتكون فترة تأليف الكتاب إذن بين سَنَتَيْ 322هـ/933م و334هـ/945م ، وهي الفترة التي حكم فيها القائم بن المهدي العبيديّ إفريقيَّةَ .

والكتاب ـ في نظرنا ـ يُعْتَبَر فَتْحًا جليلا وبادرة لا سابقَ لها في تاريخ الطبّ العربيّ الاسلاميّ . ذلك أن موضوعَه ـ الأدوية المفردة ـ لم يكن قبلَ ابن الجزّار مستقلا عن الطب العام في التآليف الطبيّة العربيّة الإسلامية (13) ، وقد أشار ابن الجزّار نفسُه إلى ذلك في مقدمة كتابه بقوله : « إن معْرِفَةَ الأدوية المفردَة ومنافعِها بابٌ عظيم القدْر جليل الخَطر في صناعة الطبّ ، ولم أرَ لأحد من الأوائل المتقدّمين ولا لمن تشبَّهَ بهم وقفا آثارَهم من المتعقّبين في ذلك كتابا جَامعًا مرْضيًا ولا كَلاَمًا شافيًا بحسب ما يَجِب أن يُؤَلَّفَ في هذا البابِ الكريمِ المنفعةِ العظيم الفائدة في معالجَة الأسقام والأدواءِ إلاّ الرجلَ الذي يُسَمَّى دِيَاسْقُورِيدوسَ ، وجالينوسَ ،

(11) كذا في الأصل ، وفي القطعة التونسية الموجودة من كتاب « الاعتماد » في المكتبة الوطنية بتونس . والأنهاء جمع نهي بفتح النون وكسرها ، وهو الغدير وكل موضع يجتمع فيه الماء : انظر اللسان ، 734/3 (مادة نهى) والمعجم الوسيط (تأليف لجنة من مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ط 2 القاهرة ، 1972 ، جزآن) ، 969/2 .

(12) ابن الجزار : الاعتماد ، ص 114و .

(13) لا نعرف مؤلفا عربيا إسلاميا قد سبق ابن الجزار إلى تخصيص كتاب مستقل للأدوية المفردة . على أن ابن أبـي اصيبعة (العيون ، 36/2) قد نسبت إلى اسحاق بن عمران (ت . حوالي سنة 294هـ/907م) كتابا بعنوان « الأدوية المفردة » ولا نعرف عن محتوى هذا الكتاب وطريقة تأليفه شيئا يذكر ، ويبدو أن ابن الجزار قد تأثر بهذا الكتاب ونقل عنه (انظر في هذا البحث حديثنا عن مصادر ابن الجزار) .

فإنّ هذيْن الرجليْن لا نهايةَ وراءَهما ولا حجابةَ بعدهما فيما عانيَاه (14) من هذا الفنّ. غيرَ أنّا وجدْنَا ما عانيا (15) من ذَلك قد لحقَه التقصير (16) عنْ بلُوغ نهَاية (17) المدْح في ثلاَثَة أوجُه : أحد ها (18) أن دياسقوريدوسَ ذكر أكثر منافع الأدوية ومضَارّها ومُنَاسِبَهَا والمختار منها ولم يذكُر طبائِعَها ولا كميتها (19) وقوة كلّ واحد منها في أيّ درجة هو من حرارة أو برودة أو رطوبة أو يبوسة . فأما جالينوس فإنه ذكر قوى أكثرها ولم يبالغ في ذكر منافعها ومضارها وخواصها المخصوصة بها ...» (20) .

ويبدو أن الكتاب — لطرافة موضوعه وأهميته — قد حظي بمنزلة مهمة بين القدماء . فترجم ترجمتين إحدَاهما لاَتينيَّة أنجزَهَا راهب أندلسي يُدعَى اصطفن السرقسطي (Stephanus de Saragossa) سنة 631هـ/1233م (21) ، وثانيتهما عبرية أنجزها طبيب يهودي أندلسي يُدعى مُوسَى بن طِبّون (22) . كما لُخِّصَ الكتاب في اللغة العربية فوضَعَ لَهُ مؤلِّف مجهول مُلَخَّصًا بعنوان « صِفَةُ طبائع العقاقير على مذهب ابن الجزار في كتاب الاعتماد » (23) .

---

(14) في الأصل « عنوه » .

(15) في الأصل « عنوا » .

(16) في الأصل « التغيير » والاصلاح من نسخة (ع) .

(17) في نسخة (ع) « غاية » .

(18) في الأصل « أحدهما » ، وفي نسخة (ع) « الأول » .

(19) في الأصل « كمينها » .

(20) ابن الجزار : الاعتماد ، ص 113ظ. وانظر نص المقدمة كاملا محققا عن نسخة (ع) في بحثنا « المصادر التونسية » ، 132/1 — 133 .

(21) وعن هذه الترجمة اللاتينية نقل الكتاب إلى اللغة الألمانية في ترجمة قام بهال. فولجر (L. Volger) ونشرها في ألمانيا سنة 1941 ، انظر بروكلمان : تاريخ ، 298/4 .

(22) انظر حول ترجمتي الكتاب : بروكلمان : تاريخ ، 298/4 ، وعبد الوهاب : الورقات ، 313/1 — 314 .

(23) يوجد هذا المختصر في المكتبة الظاهرية بدمشق ، وهو قطعة خامسة (أخيرة) ضمن مجموع طبــي يحمل رقم 136ظ. م (رقمه القديم 3157 طب 32) وفي المجموع 81 ورقة ، مقاسه 18 × 13،5 سم ، يقع المختصر فيه من ص 76 وإلى ص 81ظ ، عدد الأسطر بالصفحة

على أن الكتاب رغم أهميته وشهرته في القديم لم يصلنا كاملا في أيّ من النسخ المخطوطة التي نعرفها له ، فهو يوجد مخطوطا في مكتبة ايا صوفيا بتركيا (رقم 3564) ، والمخطوطة تحتوي المقالات الثلاث الأولى كاملةً وجزءا من المقالة الرابعة ، وفي المتحف البريطاني (رقم 3832/4) ، والمخطوطة تحتوي المقالتين الأولى والثانية ، وفي مكتبة لورنس في فلورنسا بإيطاليا (رقم 256/374) ولا نعرف ما إذا كانت هذه المخطوطة منقوصة أو تامة ، وتوجد من الكتاب قطعة بتونس (رقم 20327 في رصيد مكتبة صفاقس بالمكتبة الوطنية بتونس) تحتوى بعضا من المقالة الأولى وآخر من المقالة الثانية (24) . ويبدو أن النسخة الأوفى والأكمل الباقية لكتاب « الاعتماد » هي مخطوطة المكتبة الوطنية بالجزائر ، وهذه المخطوطة هي التي نعتمد في هذا البحث وهي تقع خامسة (25) ضمن مجموع طبي يحمل رقم 1746 ، وقد مدنا بنسخة مصورة لكامل المجموع صديقنا الجزائري الأستاذ عبد الله الركيبي ، فله منا جزيل الشكر .

يتضمن المجموع ستة نصوص طبيَّة ، كتبت كلها بخط واحد يبدو أنه تونسي ، وهو واضح في الجملة لولا الأخطاء الكثيرة المليءُ بها المجموع

يتراوح بين 21 و23 سطرا ، وقد نسخه سنة 710هـ أمجد بن البخيت (أو النجيب) مفضل (أو مفصل) بن الصفي بولص ، وقد مدنا بنسخة من هذا المختصر الأستاذ السوري الباحث شكرى الفيصل ، فله الشكر الجزيل . والملاحظ أن الباحث السورى سامي خلف حمارنة في كتابه « فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية : الطب والصيدلية » (ط 1 دمشق ، 1969) ص ص 443 – 444 قد أخطأ إذ جعل من هذا المختصر جزءا من المقالة الرابعة من كتاب « الاعتماد » لابن الجزار ، وقد تابعه في هذا الخطا الباحث السورى سليمان قطاية في « ابن الجزار القيرواني » ص 54 . وقد عثرنا – وهذا البحث تحت الطبع – على مختصر ثان لكتاب « الاعتماد » مجهول المؤلف ايضا ، يوجد في الخزانة العامة بالرباط ضمن مجمـوع رقمـه (د 1121) من ص 154 ظ الى ص 161 و ، وهو في الحقيـقة منتخب لأن عدد المـواد فيه 68 مادة فقط من جملة 278 مـادة اصلية في « الاعتماد » وقد رتبها المؤلف على حروف المعجم .

(24) توجد هذه القطعة التونسية ضمن مجموع طبـي أيضا : انظر وصفا كاملا لهذا المجموع ولقطعة كتاب الاعتماد في بحثنا « المصادر التونسية » 121/2 .

(25) ذكر بروكلمان (تاريخ ، 297/4) وسزكين (التراث العربـي ، 304/3) والهيلة (مقدمة سياسة الصبيان، ص 39) وقطاية (ابن الجزار القيرواني، ص 54) ان نص « الاعتماد » يرد ثالثا ضمن هذا المجموع ، وقد اخطأوا في ذلك ، فهو خامس كما سنبين في وصفنا لهذا المجموع .

كلُّه ، لم يُذكرْ إسمُ الناسخ ولا تاريخُ النسخ ، والمجموع مبتور الأول والآخر ، مقاس المكتوب من الصفحة الواحدة 14 × 11سم ، وعدد الاسطر بالصفحة 22 سطرا ، وعدد أوراقه 225 ورقة قد توزعت فيها النصوص الستة كما يـلي :

1) قطعة من « زاد المسافر وقوت الحاضر » لابن الجزّار ، من وجه الورقة الأولى حتى ظهر الورقة 75 ، وتبْدأ هذه القطعة من وسط الباب العاشر من المقالة الخامسة (من مقالات الكتاب السبع) وتنتهي بنهاية الكتاب أي بآخر المقالة السابعة .

2) كتاب « ماء الشعير » لأبـي زكرياء يحيى بن ماسويه (ت. 243هـ/857م) (26) ، من وجه الورقة 76 إلى وجه الورقة 77 .

3) كتاب « الدكان في عمل الأشربة والمعاجين والمربيات والاكحال » لأبـي عثمان سعيد بن ابراهيم بن محمد بن عبد ربه (ت. 342هـ/953م) (27) وهو ابن أخي ابن عبد ربه صاحب « العقد الفريد » ، والموجود من الكتاب هنا قطعة فقط ، من ظهر الورقة 77 إلى وجه الورقة 105 ، تتخللها ثمـاني صفحات — من 82 وإلى 85ظ — من « زاد المسافر » لابن الجزار ، وعليها قسم من المقالة الخامسة من « زاد المسافر » يبدأ من الباب الرابع « في الـدم المستخرج من الكبد » وينتهي في وسط الباب العاشر « في اليرقان » ، وهو الباب الذي تبدأ به القطعة الأولى من المجموع ، وذلك يدل على اضطـراب في ترتيب المجمـوع إذ أن مكان هذه الصفحات يجب أن يكون في بدايته .

4) قطعة من « كتاب في الأشربة » مجهول المؤلف ، من وجه الورقة 105 إلى وجه الورقة 113 .

(26) انظر حوله : بروكلمان : تاريخ ، 4/264 — 266 (والفصل الثاني من هذا البحث) .
(27) انظر حوله : ابن جلجل : الطبقات ، ص ص 104 — 106 ، وبروكلمان : تاريخ ، 4/270 — 271 . (وانظر الفصل الثاني من هذا البحث) .

5) كتاب « الاعتماد » لابن الجزار ، من ظهر الورقة 113 إلى وجه الورقة 216 .

6) قطعة من كتاب بعنوان « تفسير العقاقير وبدل ما عدم منها » لمؤلف لم يُذكر ، من ظهر الورقة 216 إلى وجه الورقة 225 ، وينتهـي القسم الخاص بـ « تفسير العقاقير » في ظهر الورقة 223 ، وهذا القسم من الكتاب مهم جدا لدراسة ظاهرتَـيْ الاقتراض والتداخل اللغويين في اللغة العربية ، فهو يحتوي على مصطلحات طبية وصيدلية وردت مداخل وعُرّفَتْ تعريفًا تـرادُفِـيًّـا (Synonymique) بِـلُغَاتٍ متعددة هي — إضافة إلى العربية — اليونانية واللاتينية والفارسية والسريانية والبربرية (28) .

يـرد نـص كتـاب « الاعتمـاد » إذن خـامسـا في هـذا المجمـوع ، مـن صفحـة 113ظ ، إلى صفحـة 216 و . وهـو يحتـوى مـقـدمـة (ص ص 113ظ — 114و) وأربع مقالات تقع الأولى بين صفحتَيْ 114و —

(28) يبدو لنا أن هذا الكتاب من وضع ابن الجزار نفسه ، ولنا على ذلك أربعة أدلة :

أولها أن سيمونيت في معجمه ص (CXLII) قد نسب إلى ابن الجزار كتابا موضوعه تفسير الأدوية والعقاقير قال إنه يوجد في مكتبة الاسكوريال باسبانيا ، وفيه مصطلحات كثيرة بـ« العجمية » أي باللاتينية ، وقد أورد سيمونيت في معجمه المصطلحات اللاتينية الواردة فيه ، وقد قارنا بين المصطلحات التي أوردها سيمونيت والمصطلحات الموجودة في مخطوطنا هذا فوجدنا التطابق كبيرا جدا .

وثـانيها أن المصطلحات المداخل المعرفة في هذا الكتاب يوجد جميعها تقريبا في كتاب « الاعتماد » وذلك يعني أن ابن الجزار قد وضع تفسيرا للمصطلحات الطبية والصيدلية الفنية الواردة في كتابه مستقلا عن مادة الكتاب الأصلي ، ولعل ذلك ما يفسر ورود نص هذا الكتاب عقب كتاب الاعتماد مباشرة في المجموع الذي نتحدث عنه غفلا من اسم المؤلف ، فهو في الأصل ملحق لكتاب « الاعتماد » .

وثالثها التطابق الكبير الذي وجدناه بين هذا الكتاب وكتاب « الاعتماد » في رسم المصطلحات وتعريفها، نذكر من ذلك مثلا مادة «اسطوخودس» التي عرفت كما يلي : «هو بالرومية ، [ومعناه] موقف الأرواح ، وهو الأرسميسة بافريقية » (ص 222و) وقد ورد هذا التعريف بحذافيره في كتاب « الاعتماد» (انظر مادة « اسطوخودس » في معجم المصطلحات الأعجمية في آخر هذا البحث ، المادة عدد 4) .

ورابعها ذكر أفريقية دون غيرها من البلدان في هذا الكتاب ، وذلك في موضعين إثنين : الأول عند الحديث عن « طوريون » : « هو بافريقية التشتيوان » (ص 218و) . والثاني في مادة « اسطوخودس » ، وقد سبق ذكره ، وهذا يعني — على الأرجح — أن المؤلف إفريقي يعرف التسميات الإفريقية .

139ظ ، وتحتوى 72 مادة . وتقع الثانية بين صفحتَيْ 139ظ — 173و ، وتحتوى 86 مادة منها مادة ليست من الأدوية المفردة هي « صفة شراب يسمى شراب الصدور » (ص ص 148ظ — 149و) . وتقع المقالة الثالثة بين صفحتَيْ 173و — 202ظ ، وتحتوى 77 مادة ، ولكنّ هذه المقالة منقوصة إذ تنتهي فجأة وسط مادة « دار شيشعان ». والمواد التي تنقصها أربع هي « البادَروج » و« المشْكَطرَا امْشِير » و« القُثَّاء البريّ » و« الفَوْفَلُ » ، وهذه المواد الأربع واردة في « طبائع العقاقير » الذي اختُصِرَ فيه كتاب « الاعتماد » (29) ، ويكون عدد المواد الجملي إذن في المقالة الثالثة 81 مادة . وتقع المقالة الرابعة بين صفحتَيْ 203و — 215و ، وتحتوى خمسا وعشرين مادة منها مادة ليست من الأدوية المفردة ، فهي مخصصة لـ« بَاسُور الأنف » وهو مرض ، وهذه المقالة أيضا مبتورة فهي منقوصة في أولها وتبدأ بأول مادة « بَلاَذُر » ، والموادّ المنقوصة منها ست عشرة مادة هي : « العَاقَرْقَرْحَا » و« المَامِيرَان » و« الفربيون » و« القطِرَانُ » و« النفْطُ » و« الزرْنيخُ » و« الشيْطَرْجُ » و« الفُلْفُل » و« الفُلْفُل الأبيض » و« الكبريت » و« الكندس » و« الكلس » و« الثوم » و« حجر الماس » و« الافيون » و« الخشخاش » . وقد وردت هذه المواد كلها في « طبائع العقاقير » (30) ، ويكون عددُ الموادّ الجمليُّ في المقالة الرابعة 41 مادة ، ويكون عدد المواد الجمليُّ في المقالات الأربع — بما في ذلك المنقوص — 280 مادة لم يرد منها في مخطوطة « الاعتماد » الا 260 مادة . وقد أنهى المؤلف الكتاب بخاتمة في صفحتي 215ظ — 216و .

قسم ابن الجزار كتابه — إذن — إلى أربع مقالات حسب تقسيم الأدوية المفردة إلى أربع درجات من حيث القوةُ ، وقد أشار المؤلّف إلى ذلك التقسيم في مقدمة كتابه بقوله : « وقد قسمت هذا الكتاب على أربع (31) مقالات ،

(29) طبائع العقاقير ، ص ص 80ظ — 81و .
(30) نفس المصدر ، ص 81و .
(31) في الأصل « أربعة » .

لأن الأوائلَ اكتفوا بأن وضعُوا أربعَ درجاتٍ في قوة الأدوية (...) ، وذكرنا في كل مقالةٍ الأدويةَ التي قُواهَا من حر أو برد في تلك الدرجة » (32) . على أن النّاظرِ في عددِ الموادّ التي تضمّنهَا الكتاب يتبين بدون شك صِغرَه . فما من شك في أن الأدوية المفردة التي كان العرب يعرفونها في عصر ابن الجزار — سواءٌ منها ما وصلهم عن طريق الترجمة من اليونان والفرس والهنود أوْ مَا انتهت إليه معرفتهم الخاصّة مما يوجد في البلاد العربية الإسلامية — كان عددها أكبر بكثير مما تضمنه كتاب « الاعتماد » لابن الجزار (33) . بل إنّ النقص في الكتاب ظاهر حتى في مستوى الميادين التي تنتمي إليها الأدوية المفردة . فمن المعلوم أن الأدوية المفردة تنتمي إلى مواليد الطبيعة الثلاثة : النبات والحيوان والمعادن ، ولكن الناظر في المواد التي تضمنها كتاب « الاعتماد » يلاحظ خلوّها خلوّا تاما من الأدوية الحيوانية ، كما يُلاحظ خلوّها من الأدوية النباتيّة الغذائيّة مثل « إلاجّاص » و« التفاح » و« التمر » وغيرها . فالمؤلف قد اقتصر على الأدوية النباتية من غير ذوات الثمار الغذائي ، وعلى الأدوية المعدنية .

(32) ابن الجزار : الاعتماد، ص 114و، والملاحظ أن مؤلف « صفة طبائع العقاقير على مذهب ابن الجزار في كتاب الاعتماد » قد اتبع في اختصاره حذف ما ذكر ابن الجزار من تعريف علمي ولغوي وخصائص طبية علاجية والاكتفاء بذكر درجات الأدوية وطبائعها على ما ذكر ابن الجزار . وقد اتبع في ترتيب مواد كتابه ترتيبا يخالف الترتيب الأصلي في كتاب الاعتماد بعض الاختلاف ، فأورد في كل مقالة ما طبيعته الحر من الأدوية مستقلا عما طبيعته البرد ، في حين أن ابن الجزار لم يفرق بينها . وقد وردت الأدوية في طبائع العقاقير ، موزعة في المقالات الأربع كما يلي : المقالة الأولى مقسمة قسمين ، الأول « فيما هو في الدرجة الأولى من البرد » (ص ص 76و — 76ظ) والثاني « فيما هو في الدرجة الأولى من الحر » (ص ص 76ظ — 77ظ) وقسم المقالة الثانية قسمين أيضا : الأول « فيما هو في الدرجة الثانية من الحر » (ص ص 77ظ — 79و) والثاني « فيما هو في الدرجة الثانية من البرد » (ص ص 79و — 79ظ) وهكذا فعل مع المقالتين الثالثة (ص ص 79 ظ — 81و) والرابعة (ص ص 81 و — 81 ظ .)

(33) نشير مثلا إلى ما وصلهم من اليونان في كتاب « المقالات الخمس » لديو سقريديس — وهو يمثل « هيولى الطب » بالنسبة إليهم — فقد ضم هذا الكتاب وحده حوالي 800 دواء مفرد . وقد أضاف العرب الكثير من المواد إلى ما وصلهم من اليونان ، ولعل أهم كتاب قد جمع بين الثقافات العربية واليونانية والفارسية والهندية هو كتاب « الصيدنة » لأبي الريحان البيروني (وهو لا يبعد عن ابن الجزار في الزمن ، فقد ولد سنة 362هـ/973م وتوفي سنة 440هـ/1048م) ، فقد تضمن هذا الكتاب في نصه الذي وصلنا — وهو منقوص مبتور في نصه المطبوع — حوالي ألف ومائة دواء مفرد .

إلا أن المؤلف كان مدركا لهذا النقص متعمِّدًا إيَّاهُ . فهو لم يتحدث عن الأدوية الغذائيَّة والأدوية الحيوانيَّة لأنه خصص لكل منهما كتابا مستقلا ، ثم إنه اقتصر في كتابه على الأدوية المشهورة السهلِ وجودُها . وقد أشار هو نفسُه إلى ذلك في خاتمة الكتاب بقوله : « قد بيَّنَّا في غيرِ هذا الكتابِ أنّ جميعَ ما في العالَم من الموادّ التي تردُ البدَنَ لا يخلُو من ثلاثةِ أوْجُهٍ : فمنها ما يكون مُلائما لطبيعة بدَنِ الإنسَان ومزاجِه مثل الأغذِيَة ، ومنها ما يكونُ منافرًا لطبيعةِ بدَنِ الإنسان وجوهريَّتِه ، فيكون قاتِلا لهُ مثل الأدْوية التي تُسَمَّى السَّمائمَ (34) ، ومنها ما يكون مُلائمًا (35) لطبيعةِ بدَنِ الإنسَانِ ومزاجه مثلَ الأغذية من غير مُضَادَّة ولا مُنَافَرة فيكون خَارجًا عن طبيعةِ (36) مَا يَغذو (37) و[مَا] (38) يقتل جميعًا ودَاخلاً في حدّ الأدْوية ، وهذه صنفَان : فمنهَا ما مُشَاكَلَتُه للبدَنِ أكثرُ من مُنَافَرتِه لهُ ويقال له أغذيةٌ دَوائيّةٌ ، ومنها ما مُنَافَرَتُه للبَدَنِ أكثرُ من مُشَاكَلَتِه له [و] يُقَالُ (39) لَه أدْويةٌ مُؤْذِيَةٌ . وقد اتَّفقَ الأفاضِلُ من الأوائِلِ على أنّه لابُدَّ لمن أرَادَ أن يستَحِقَّ اسْمَ الفضيلة في صناعةِ الطبّ من إحْكَام جميع ذلك ومعْرفتِه لعمُوم منفعتِه في حفظ الصحّةِ على الأصحَّاء ومُعَالجَة الأسقَام والأدوَاءِ ، وقد تقدَّم لنا الكَلاَمُ في طبائع الأغذِيَةِ (...) وقد ذكَرْنا كثيرا مما يُحتَاجُ إلى عِلْمِه (40)

(34) في الأصل « السمـــام » .

(35) في الأصل « ملائما وملائما » .

(36) في الأصل « طبيعته » .

(37) في الأصل « يغدوا » .

(38) إضافة يقتضيها السياق .

(39) واو العطف ساقطة في الأصل .

(40) في الأصل « عمله » ، وقد رأينا فيها تحريفا لأن غاية ابن الجزار من تأليفه في الطب عامة هو الاهتمام بالجانب العلمي والمعرفي وليس بالجانب العملي . فقد ذكر في مقدمة « سياسة الصبيان » مثلا : « ان معرفة سياسة الصبيان وتدبيرهم بأب عظيم الخطر جليل القدر ، ولم أر لأحد من الأوائل المتقدمين المرضيين في ذلك كاملا شافيا ، بل رأيت ما يحتاج من علمه ومعرفته من ذلك متفرقا في كتب شتى وأماكن مختلفة مما لعل بعض الناس قد عرف

من هذَا البَـابِ ي كتابِنـَا « فـِي الحيـوانِ » وفي كتابنا « فِـي مصَالح الأغْذِيـةِ » . فأمَّا السَّمَائِمُ فقَدْ ألَّفْنَا (41) فِيها كتَابًا كامِلاً شافِيًا وقصَدْنا فِـي كتابِنـَا هذا الذي سميناَه « كتاب الاعتماد » إلى ذكْـرِ الأدْوِيَةِ المفردَةِ التي يُضْطَرُّ إلى عِلْمِهَا (42) ومعْرفتها جميعُ الأطبَّاء . وقصدْنَا منه (43) إلى ذكْر الأدْوية المشهورَةِ التي يَسْهُل وجودُها في كثيرٍ من البُلْدَان . واقتصرْنَا من كثيرٍ على قليل لوجُوهٍ : أحَدُهَا حبُّ الاختصارِ وتركُ الاكثار ، والثاني أنَّا أبَيْنَا (44) ذكر الأدْويةِ التي هي مَجْهُولَةٌ في بُلْدَان العرَبِ (45) وإنْ كانت عند أطبَّاءِ العَجَمِ معْروفَةً لقلَّةِ منفعتِنَا نحْن بذَلِكَ ، والثالث أنَّ ما كانَ منهَا مَشْهُورًا مَعْروفٌ (46) والقولُ فيه يَسِيرٌ» (47) .

وقد اتبع ابن الجزّار في تعريف المصطلحاتِ المدَاخلِ في كتابه طريقةً تكاد تكون موحَّدةً . فهو يبدأ المادَّة – في الغالب – بتعريف لغَويّ يغلُب عليْه – في أكثر الأحيَان – التعريف الترادُفِـيّ (Définition synonymique)

بعضه وجهل بعضه .. » (ص 57) ، وذكر في نفس المقدمة : « وإنما جعلته كذلك (أي مبوبا) ليسهل درسه على قارئه ويعرف حفظه على راويه » (ص 58) ، وقد ألح على هذا الجانب في مقدمتي المقالة الثانية والمقالة الثالثة في كتاب الاعتماد . فقال في الاولى : « ان العلاج النافع المؤدي إلى سائر العلاج وطريق النجاح لا يعرف دون معرفة العقاقير المفردة وقواها ومنافعها ومضارها» (ص 139ظ)، وقال في الثانية : «وقد ذكرنا في المقالة الأولى والمقالة الثانية من هذا الكتاب المسمى كتاب الاعتماد ما أرجو أن يكون فيه منفعة وصلاح مما لا غناء لخاصة الأطباء وعامتهم عن علمه ومعرفته » (ص 173و) .

(41) في الأصل « اللفنا » .

(42) في الأصل « عملها » (انظر التعليق 40) .

(43) في الأصل « منها » .

(44) في الأصل « بينا » وهو تحريف .

(45) في الاصل « الغرب » بالغين المعجمة ، وقد رأينا في الإسم تحريفا لأن المؤلف ذكر في نفس الجملة « العجم » ، ثم لأنه في مقدمة كتابه أشار إلى الأدوية المجهولة في اللسان العربـي ، فقد جعل من أوجه النقص عند ديوسقريديس وجالينوس « أن كثيرا من الأدوية التي ألقياها في كتبهما مجهول غير معروف في اللسان العربـي » – الاعتماد ، ص 113ظ .

(46) في الأصل « معروفا » وهو تصحيف .

(47) ابن الجزار : الاعتماد ، ص ص 215ظ – 216و .

الذي يُقَدَّمُ فيه مرادِفٌ ـ أو أكثرُ ـ أعْجَمِيٌّ ، باللغة اليونانيـة أو الفارسية أو السريانية أو البربرية ، للمصطلح العربي ، ويعقُبُ التعريفَ اللغويَّ تعْريفٌ علمـي منطقـيٌّ يُوصَفُ فيه النّباتُ أو المعدن المتحدَّثُ عنه وصْفًا علميًّـا يُحَاطُ فيه بخصائصه الطبيعيَّة ، ثم يَعْقُبُ التعريفَ العلميَّ وصفٌ مطوَّل لخصائص الـدواءِ الطبيَّـة والعلاجيَّـة (Thérapeutique) وهو القسْمُ الذي يتوسَّع فيه ابن الجزار أكثرَ من غيره في كلّ مادّة .

وهذا المنهجُ الذي اتبعَ ابن الجزَّار في تعريف موادّه ليس في الحقيقـةِ جديدًا ، فهو يقلّد فيـه العالِمَ اليونانـيَّ ديوسقريديسَ (Dioscorides) العينَ زَرْبِـي (من القرن الأول الميلادي) ؛ فهذا العالم قد اتبع نفسَ المنهج في تعريف موادّه الطبية والصيدلية في كتابه « المقالات الخمس » . وهذا المنهج الذي سَنَّهُ ديوسقريديس قد ظل متبعًا بعده ، وخاصة عند العلماء العرب والمسلمين الذين ألّفوا في الأدوية المفردة ، وقد تواصل اتّباعُه حتى القرن العاشر الهجري مع دَاوُد الأنطاكي (ت. 1008هـ/1599م) في كتابه « تذكرة أولى الألباب » . على أننا لا نعرفُ إلى حدّ الآن عالمًا عربيًا مسلما قد سبق ابن الجزار في اتباعـه .

والذي يهمنا درسُه من كتاب « الاعتماد » لابن الجزار ليست المـادَّةَ الطبيةَ والعِلاَجية ، بل الجانب الاصطلاحيّ كما يبرزُه التعريفُ اللغـوي والتعريفُ العلمـيُّ المحـضُ في مـوادّ الكتـاب ، ويعنينا من هذا الجانب الاصطلاحي ظاهرتَا التداخُلِ اللغويّ والتداخُلِ الثقافيّ خاصّة ، لنبحث في علاقة اللغة والثقافة العربيّتَيْن بغيرهما من اللغات والثقافات ، وبالتالي الصلات التي كانت في عصر ابن الجزار ـ في ميدانَيْ الطب والصيدلة خاصة ـ بين الحضارة العربية الإسلامية وغيرها من الحضارات .

الفصـــل الثـاني

التداخل اللغوي والثقافي في كتاب « الاعتماد »

ألف ابن الجزار كتابَهُ في النصف الأول من القرن الرابع الهجريّ ، وهي فترة كان فيها الاتصال اللغوي والثقافي والحضاري بين العرب وغيرهم من الأمم على أشـــده . فقد كانت حركـة الترجمـة من اللغـــات الأعجميـة ـ اليونانية والفارسيّة والهنديّة خاصّة ـ قـد بدأت منذ القرن الأول الهجريّ ، وتواصلت في القرن الثاني أقوى مما كانت عليه في القرن الأول ، ثم بلغت أشدها في القرن الثالث وتواصلت في القرن الرابع أيضا (48) . وقد اشتهرت في ميدان الترجمة أسماء كثيرة كان المتميزَ بيْنَها بدون منازع إسمُ حنين بن إسحاق العبادي (ت . 260هـ/873م) الذي كان قـد تخرَّج عليه تلاميذُ كثيرون لم يكونوا أقلَّ من استاذهم قيمة . ولقد كانت للطبّ والصيدلَةَ بين العلوم المترجمة منزلة متميِّزة . وليس في ذلك في الحقيقة من عجَب ما دَام الطب العلمَ الأكثر خطوةً بين الأمم منذ القديم . وقد كان بيْنَ المسلمين يُعْتَبر « فِقْهَ البدَن » النافعَ الذي لا تَعَارُضَ بينَه وبين الشريعة الاسلاميّة مثلما

(48) انظر حول حركة الترجمة العربية في القرون الأولى للاسلام :

Steinschneider (M.) : Die arabischen Übersetzungen aus dem Griechischen, 1ère éd., Graz, 1960.

بروكلمان : تاريخ 4/89 ـ 23 ؛

Badawi (Ab.) : La Transmission de la philosophie grecque au monde arabe, 1ère éd., Paris, (Librairie philosophique J. Vrin), 1968, (199 p.).

موسى يونان مراد : حركة الترجمة والنقل في العصر العباسي ط1 لبنان 1973 (184 ص) .

هو الشأن بالنسبة إلى الفلسفة التي كان يُخْشَى منها على العقيدة (49) ، بل إنّ الرسولَ نفسَه كان يَأمر « بإتْيَانِ الأطِبَّاء ومسألَتِهم عما بيْن أيْدِيهِم » (50) ، وكانَ لَه طبيبٌ خَاصٌ هُو الحارثُ بن كِلْدَة الثقفي (ت . 13هـ/634م) (51) .

ولكن نقل الثقافات الطبيّة الأعجميّة إلى العربيّة لم يكن عملاً هيّنًا ، ذلك أن من أهمّ شروط الناقل لعِلْمٍ مَّا أنْ يكون من ذوِي الاختصَاص فيه وأن تكونَ إجَادَتُه اللغَة المنقُولَ عنها لا تقل عن إجَادَتِه اللغةَ المنقولَ إليْهَا (52) ، ولم يكن هذان الشرطان متوفريْن دائما في نقَلَة العلوم الطبية الأعجمية ، وخاصة الطبَّ اليوناني الذي كان الاقبالُ عليه أكبرَ من الاقبال على طبّ أيّ أمة أخرى . وقد نتج عن هذا النقص عند النقَلَةِ قضيّتَان منهجيّتَان أساسيتان فيما ترجموا من أعمَال : الأولى تمثّلت في عجزهم عن إيجاد المقابلات العربية المؤَدّية للمصطلحات الأعجمية فتركوا — لذلك — مصطلحاتٍ أعجميةً كثيرةً على حالها كما هي في لغاتها الأصلية . وقد أعتبر أبو الريحان البيرونيّ هذا المظهر « خيانةً » آخذ عليها التراجمةَ بقوله : « وللتراجم فيها (أي كتب الطب المنقولة) خيانة أخرى هي ترك بعض ما يوجد في أرضنا من العقاقير وفي لغة العرب إسم لها ، على حاله باليونانية حتى يُحْوِجَ بعد الترجمة إلى تفسير » (53) . والثانية هي ما سمّاه ابن البيطار (ت. 646 هـ/

(49) انظر حول الخلاف بين أنصار الشريعة وأنصار الفلسفة أبا حيان التوحيدي في الامتاع والمؤانثة (تحقيق أحمد امين وأحمد الزين ، 3 أجزاء ط1 القاهرة 1952/1953) 2/4—22 .

(50) انظر الطبقات لابن جلجل ، ص 54 .

(51) نفس المصدر ، ص 54 .

(52) انظر حول شروط الترجمان ومشاكل الترجمة : الجاحظ : « كتاب الحيوان » (تحقيق عبد السلام هارون ، ط . 1 ، القاهرة ، 1938 — 1945 ، في سبعة اجزاء ، 1/75 — 79 ؛ وكذالك :

Mounin (G.) : Les Problèmes théoriques de la traduction, 1ère éd., Paris, Gallimard, 1963, (297 p.).

(53) البيروني : صيدنة ، ص 14 .

1248م). « تخليطَ النقلة وقلّـةَ تثبّتِهم في النقـل » (54) ، وقد تمثل هذا « التخليط » في عدم فهم النصوص الأعجمية فهما صحيحا فأضيفتْ خصائص أدوية إلى أدوية أخرى وبُدّل بعض المفاهيم بمفاهيمَ أخرى . وهذه الظاهرة تعتبر خيانة بالمعنى الصحيح إذا أخضعناها للمثل الإيطالي المعروف « الترجمة خيانة » (Traduttore, traditore) .

على أن الخيانة الأولى كانت أكثر حدّة وأشدَّ وقعا على الكتُب العربية الإسلامية المؤلّفة في الطبّ والصيدلة ، فقد كان مؤلّفُوها يجدون أنفسَهم أمام مصطلحاتٍ أعجميّةٍ غريبةٍ في مؤلّفاتٍ أعجميّةٍ مترجمةٍ ترجمةً منقوصةً ، والدقّة العلميّةُ تفرضُ عليهم فهْمَ تلك المصطلحات فهمًا جيّدًا حتى لاَ يُوقِعُوا من يأتي بعدهم وينقل عنهُم في الخطإ (55) ، والخطأ في الطبّ جسيم لا يُغْتفَر . ويمكن لنا أن نتبيّن حدّة هذه القضيّة بالإشارة إلى مثال واحد ، هو ترجمةُ كتابِ « المقالات الخمس » لديوسقريديس (Dioscorides) . فقد تَرْجَمَ هذا الكتابَ اصطفن بن بسيل — في القرن الثالث الهجريّ — ثم راجعه حنين بن اسحاق وأجازَه ، ولكن اصطفن وحنينًا قد اعترضتْهُما مصطلحاتٌ يونانيّة كثيرةٌ لم يَجِدَا لها ما يُقَابِلُها في العربيّة إما لجهْلِهِما المقابل العربيَّ أو لعدم وجود ذلك المقابل في اللغة العربيَّة أصلا . فأبقيا تلك المصطلحات على حالها اليونانيّةِ راجيَيْن أن يأتِيَ مُتَعَقِّبٌ فيكْمِلَ النقص (56) . وقد ظَلّت الشروح والتفاسير لتلك الترجمة

(54) ابن البيطار : الجامع ، 41/2 في ط. بولاق .

(55) اكد ابن البيطار على ذلك بقوله : « واعلم أن العالم أولى الناس بالتثبت والاحتياط لنفسه ولغيره ، وقد قالت الحكماء : لا تقال زلة العالم لأنه يزل بزلته العالم » — الجامع ، 41/2 في ط. بولاق .

(56) لخص ابن جلجل — فيما نقل عنه ابن أبـي اصيبعة — هذه المشكلة بقوله : « إن كتاب ديسقوريدس ترجم بمدينة السلام في الدولة العباسية في أيام جعفر المتوكل (232هـ/847م — 247هـ/861م) وكان المترجم له اصطفن بن بسيل الترجمان من اللسان اليوناني إلى اللسان العربـي . وتصفح ذلك حنين بن اسحاق المترجم فصحح الترجمة وأجازها . فما علم اصطفن من تلك الأسماء اليونانية في وقته له إسما في اللسان العربـي فسره بالعربية ، وما لم يعلم له

تُؤَلَّفُ حتى القرن السابع الهجري ، كان أولُها المراجعةَ التي تمَّت في الأندلس في النصف الأول من القرن الرابع الهجري — وقد صحبها شرحٌ وضعَه ابن جُلْجُل (ت. بعد 384هـ/994م) سماه « تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدوس » — وكان آخرُها « تفسير كتاب دياسقوريدوس » الذي وضعه ابن البيطار في النصف الأول من القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) . وقد أشار ابن البيطار في مقدمة كتابه إلى أنّ كتاب ديوسقريديس ما زال يثير المشاكل حتى عصره هو : « لمَّا وقفتُ من كتاب الفاضل دياسقوريدوسَ على ما تَقصرُ عنه هممَم جماعة من المتشوّقين ورأيت استعْجَام أسماء أشجاره وحشائشه على كافة المعلّمين وعامة الشَّادِينَ وتواري حقَائقِه عن غيرِ واَحدٍ من الشجَّارِين والمتطبّبين عزمت بعوْن الله تعالى على تقْرِيب المرام في ترجمتِه وتسهيلِ المطلَب في تفسير أسماءِ أدويته

في اللسان العربـي إسما تركه في الكتاب على إسمه اليوناني اتكالا منه على أن يبعث الله بعده من يعرف ذلك ويفسره باللسان العربـي ، إذ التسمية لا تكون [إلا] بالتواطؤ من أهل كل بلد على أعيان الأدوية بما رأوا وأن يسموا ذلك إما باشتقاق وإما بغير ذلك من تواطئهم على التسمية . فاتكل اصطفن على شخوص يأتون بعده ممن قد عرف أعيان الأدوية التي لم يعرف هو لها إسما في وقته فيسميها على قدر ما سمع في ذلك الوقت فيخرج إلى المعرفة » — العيون ، 46/2 — 47 ، وانظر حول ترجمة كتاب ديوسقريديس ومشاكلها اللغوية والعلمية :

Leclerc (L.) : Etudes philologiques et historiques sur Ebn Beîthâr, in : Journal Asiatique n° de Juin 1862 (pp. 433 - 461), pp. 438-442; Leclerc (L.) : De la traduction arabe de Dioscorides, in : Journal Asiatique, n° de Janvier 1867 (pp. 5-38), pp. 8-14; Meyerhof (M.) : Die Materia Medica des Dioskurides bei den Arabern, in : Quell Juste Stud. Z. Geschichte der Natur. U. der Medizin (QSGNM), 3 (1933, Berlin), pp. 72-84; Meyerhof (M.) Esquisse d'Histoire de la Pharmacologie et Botanique chez les Musulmans d'Espagne, in : Al-Andalus, 3 (1935), (pp. 1-41), pp. 8-13; Dubler (C.E.) : La Materia Medica de Dioscorides, transmision medieval y renacentista, 1ère éd., Barcelona - Tetuan, 1952-1957 (5 vol., voy. surtout les deux premiers); Vernet (J.) : La Cultura hispano-arabe en Oriente y Occidente, 1ère éd., Barcelona, 1978 (395 p.), pp. 69-72.

لأكشِفَ عن وجْهِ مقاصده قِنَاع عُجْمَتِه » (57) . وتواصُلُ هذه الشروح والتفاسير حتّى القرن السابع الهجريّ يعني أنّ مصطلحاتٍ يونانيةً كثيرةً قد بقيت تمثّل « غُرْبةً لُغويّةً » في صلْبِ المعجم الطبّي والصيدليّ العربيّ .

وقد ألف ابن الجزار كتابَه « الاعتماد » وهذه المشاكل كلّها قائمة . ولقد كان مدركًا لها عميق الاحساس بها . وقد أشار إلى أهمها في مقدمة كتابه عند ملاحظته « أنّ كثيرا من الأدوية التي القياها (أي ديوسقريديس وجالينوس) في كُتبِهِما مجهولٌ غير معروفٍ في اللسان العربيّ ، وكثيراً منها معدومٌ غير موجود » (58) . ولقد كان لتلك المشاكل في كتابه صدًى ، وكانت محاولته إيجادَ الحلُول لها لا تخلو من طرافةٍ وخاصّة في معالجتِه قضيةَ التداخلِ اللغويّ بيْن العربية وغيرِها من اللغات .

2 ـ 1 ـ التداخل اللغـوي :

احتوى كتاب « الاعتماد » كما ذكرنا آنفا 278 دواءً مفردا ، قد تقيّدَ ابن الجزّار في تدوينها بشرطيْن أسَاسيّيْن ، الأول : ألاّ يذكرَ المجهولَ من الأدوية المفردةِ في البلاد العَربية ، والثاني : ألاّ يذكر من الأدويةِ إلاّ ما هو مشهورٌ سَهْلٌ وجوده . فاقتصر ـ لذلك ـ من كثير على قليلٍ (59) . وأول ما يوحِي به هذان الشرْطانِ هو أنّ موادّ الكتاب كلّها مألوفةٌ بين العرب معروفةٌ عندَهم ، وأنّ المصطلحاتِ الطبيّةَ والصيدليّةَ ـ المداخلَ

(57) ابن البيطار : تفسير كتاب دياسقوريديس (مخطوطة معهد المخطوطات العربية ، ف 15 ، مصورة عن مخطوطة مكتبة الحرم المكي ، رقم 36 (2) ، طب) ، ص 1 ظهر .

(58) ابن الجزار : الاعتماد ، ص 113ظ .

(59) نفس المصدر ، ص 216و .

خاصّةً ـ التي تضمنهـا الكتاب لا تمثل « غُربَةً لغويَّةً » (Xénétisme Linguistique) في المعْجَم الطبـيّ والصيدليّ العربيّ وأنّ المؤلّفَ لم يفتح الباب أمام اللغات الأعجمية إلا بقدْر ما تُجْبِر عليْه الضرورة .

ولكن بحثنا في الكتاب قد اظْهرَ لنا خلافَ ذلك ، سواءٌ في مُستوى المصطلحات المداخل التي تمثل مواد الكتاب الأساسية ، أو في مستوى الجملة داخل النص ، وخاصة في التعريفات :

2 ـ 1 ـ 1 ـ في مستوى المصطلحات المداخل :

قد بحثنا في ظاهرةِ الاقتراض اللغويّ في الكتاب قصد معرفة المنزلَة التي يحْتلّها المصطلح الأعجمـيُّ فيه في مستوى المصطلحات المداخل . وقد بيّن لنا البحث أنّ عدَدَ المصطلحاتِ الأعجميةِ 176 مصطلحا من بين 278 ، أي بنسبة 63،31٪ ، فيكُون عدَد المصطلحات العربيّةِ الخالصة في الكتاب 120 ، أي بنسبة 36،69٪ ، وإنّ النسبةَ القويّةَ للمصطلحات الأعجميةِ الواردةِ مداخِلَ في الكتاب لَتُبيِّن إلى أيّ حدّ كانت ظاهرة الاقتراض في اللغة العربية ـ في ميدانَـيْ الطبّ والصيدلة ـ قويّةً ، وإلى أيّ مدّى كانت اللغة العربيَّة في حاجة إلى الأخذ عن غيرها من اللغات . وقد وزّعنا المصطلحاتِ الأعجميةَ المقترضةَ في الكتاب حسب لغاتها الأصليّةِ فوجدنا أنّ اللغَاتِ المقْتَرضَ منها تِسْع لغاتٍ ، هي ـ حسب الترتيب التفاضليّ ـ الفارسيّة ثم اليونانيّة فالسُّريانيّة والأراميّة والعِبْرِيَّة واللاتينيّة والهنديّة والسنسكريتيّة والمصريّة القديمة . وقد أثبتْنا النتائجَ التي انتهيْنا إليها في اللوحة التاليـة :

	اللغة	كمّ مصطلحاتها	نسبتها من 278	نسبتها من 176
1	الفارسيّة	105	37،77	59،65
2	اليونانيّة	48	17،27	27،27
3	السريانيّة	7	2،51	3،98
4	الأراميّة	6	2،16	3،41
5	العبريّة	3	1،08	1،70
6	اللاتينية	2	0،72	1،14
7	الهندية	2	0،72	1،14
8	المشتركة (60)	1	0،36	0،57
9	السنسكريتية	1	0،36	0،57
10	المصرية القديمة	1	0،36	0،57
	المجاميع	176	63،31	100

وما يستنتج من هذه اللوحة هو أن اللغتيْن الفارسيّةَ واليونانيّةَ هما اللغتان الغالبتان كَمّاً ونِسْبَةً ، تليهِما مجموعةٌ من اللغَاتِ الثّانويّة الضعيفَة كَمّاً ونِسْبَةً ، ولغلبة اللغَتَيْن الفارسيّة واليونانيّةِ ما يفسّره تاريخيّاً وثقَافِيّاً وحضاريّاً . فالأولى لغةُ قوْمٍ قد تمازجُوا بالعرب تمازُجاً قويّاً سواءٌ قبْلَ الاسلام أو بعدَه، وقد ظهر الاقتراض في اللغة العربيّة من اللغَة الفارسيّة منذ العهد الجَاهليّ (61) ؛ ثم إنّ النهضَةَ الطبيّةَ العربيّة

(60) نعني بالمشتركة هنا المصطلحات المركبة من جزئين ينتمي كل جزء منهما إلى لغة ، وقد وجدنا مصطلحا واحدا مركبا هو « جفة البلوط » (الاعتماد ، ص 162ظ) المركب من الفارسية «كفت» : (انظر أدي شير ، ص42 ؛ شرح ، 83) والأرامية (Ballùṭà) (انظر شرح ، 42).

(61) انظر حول تأثير اللغة الفارسية في اللغة العربية وأسبابه : صلاح الدين المنجد : المفصل ، ص ص 14 — 13 ، وقد جمع المؤلف في كتابه الألفاظ الفارسية التي اقترضتها العربية اعتمادا على نصوص من الشعر الجاهلي والقرآن والحديث النبوي وأقوال الصحابة والشعر الأموي .

الاسلاميّة – وحركةَ الترجمة خاصّة – في العهد العباسيّ كانت على أيْـدي علماء قد تكوَّنُوا في مدرسة جُنْدَيْسَابُورَ ببلاد فارس ، وقد كان الخُلَفَاء العباسيّون يسْتَقْدِمُون أولئك الأطِبـاءَ – وكان غالبُهم من السُّريـان – فيتّخذونَهم أطبَّاءَ خاصّين بهم ، وقد تكوَّنت منهم أسَرٌ مشهورة مثل آل بُخْتَيْشُوعَ وآل مَاسَوَيْهْ (62) .

أما اللغة اليونانيَّة فقد كانت لُغَةَ العلُوم والثقافة بدون منازع ، وقد أثَّرت الثقافةُ اليونانيّةُ في الثقافة الفارسيّة قبل أنْ تؤثِّر في الثقافة العربيّة ، وخاصّة في ميدانَيْ الطبّ والصيدلَةِ . وقد أسِّسَت مدرسةُ جُنْدَيْسَابُورَ سنة 531م لرعاية الثقافَةِ اليونانية الطبيّة والصيدليّة (63) . وقد كان إقبال العرب عليْها – أثنَاءَ حركَة الترجمة خاصّة – أكْبر من إقبالهم على أيّ ثقافة أخرى ، فلا غرابة إذَن في أنْ تكونَ المصطلحاتُ المقترضةُ منها في ميدانَـي الطب والصيدلَةِ كثيرةً .

ونظرا لأهميّة هاتيْن اللغتين في كتاب « الاعتماد » خصَصْنَا المصطلحات المقترضةَ منهما بمُعْجَم في الفصْل الثالث من هذا البحث ، وقد أهملْنَا – باستثناء ما اقتُرِضَ من اللاتينيّة (64) – المصطلحاتِ المقترضةَ من بقيّة اللغَاتِ فلم نسجِّلها في المعجَم لأنّها غيرُ مُتَمَيِّزَةٍ لغويًّا . فهيَ – في معظمها – من اللغات الساميَّة قد دخلت اللغةَ العربيّةَ منذ عصور قديمة قد سبقت حركة النهضة الطبية والصيدلية العربيّة التي نشطت في القرن الثالث الهجري ، فهي – إذَنْ – من المصطلحات التي استوعبها المعجَمُ العربيُّ

(62) انظر في ذلك خاصة :
Browne (Ed.) : La Médecine Arabe (Arab Medicine), trad. franç. par H.-P.-J. Renaud, (1ère éd., Paris, 1933, 175 p.), pp. 22-28.

(63) بروكلمان : تاريخ ، 89/4 – 90 .

(64) وهما مصطلحان اثنان وقد اثبتناهما في المعجم نظرا لما كانت اللغة اللاتينية تمثله من أهمية بالنسبة إلى المغاربة بصفة عامة في عصر ابن الجزار وقبله وبعده .

فأصبحت مما يمكن تَسْمِيَتُه بـ«المُعَرَّبِ المشترك» لِقَدَمِهَا في اللغة العربيّة واشتراكِ الأطباء والصيادِلة مع غيْرهم في استعمالها . وهي — لذلك — مصطلحاتٌ قد فقدت خصوصيَّاتِها الأعجميَّةَ (65) .

على أنّه لابد من مُلاَحظة أنّ من المصطلحات الفارسيّةِ المقترضَة في كتَابِ «الاعتماد» ما ينْتَمِي إلَى هذا «المعرَّب المشتَرك» أيضا، قد دخَلت المُعْجَمَ العربيَّ العَامَّ قبل أنْ تدخُل المعْجَمَ الطبيَّ والصيدليَّ . وذلك ما يفسِّرُ — في نظرنا — كثرةَ المصْطلحات الفارسيّةِ المقترضَة في كتاب «الاعتماد» . فمِن المصطلحاتِ الفارسيّة مصطلحاتٌ كثيرةٌ قد دخلت اللغةَ العربيّةَ قبل حركة الترجمة من اللغة اليونانية في القرن الثالث الهجريّ ، فأصْبحت تعتبر من رصيد المعْجَم العربيّ ، فهي لذلك أقلّ «عُجْمَةً» من المصطلحات اليونانيّةِ ، واستعملت لذلك في كتب الطبّ والصيدلَةِ

(65) وعدد هذه المصطلحات في الجملة 20 مصطلحا هي : 1 — سبعة مصطلحات سريانية هي : آس : (الاعتماد، ص 130و ؛ انظر حوله : شرح، 10 ؛ المعجم الكبير، ص 18) . «بزرقطونا» (الاعتماد، ص 164و ؛ انظر حوله : دوزي : الالفاظ الاسبانية، ص 356 ؛ تحفة، 55). حندقوقا : (الاعتماد ، ص 149 و ؛ انظر حوله : شرح ، 147) . كشوث : (الاعتماد ، ص 117ظ ؛ انظر حوله : شرح ، 186) . ماميثا : (الاعتماد ، 158ظ ؛ انظر حوله : تحفة ، 264 ؛ اليسوعي : غرائب ، ص 205) . [مشكطرا امشير] : (طبائع العقاقير ، ص 80ظ ؛ انظر حوله : شرح ، 242) . يتوعات : (الاعتماد ، ص 208و ؛ انظر حوله : شرح ، 178 ؛ اليسوعي : غرائب ، ص 210) . 2 — ستة مصطلحات آرامية هي : حاشى : (الاعتمـــاد ، ص 177و ؛ انظر حولــه : شرح ، 157) . سمـــاق : (الاعتماد ، ص 147و ؛ انظر حوله : دوزى : المستدرك ، 626/1 ؛ شرح ، 277 ؛ اليسوعي : غرائب ، ص 186) . [عاقر قرحا] : (طبائع العقاقير ، ص 81و ؛ انظر حوله : تحفة ، 301 ؛ شرح ، 299 ؛ اليسوعي : غرائب ، ص 196) . عرطنيثا : (الاعتماد ، ص 201و ؛ انظر حوله : شرح ، 302 ؛ اليسوعي : غرائب ، ص 195) . قرطم : (الاعتماد ، ص 164و ؛ انظر حوله : تحفة ، 348 ؛ شرح ، 300 ؛ اليسوعي : غرائب ، ص 200) . كزبرة (البئر) : (الاعتماد ، ص 127و ؛ انظر حوله : تحفة ، 290 ؛ شرح ، 183 ؛ اليسوعي : غرائب ، ص 203) . 3 — ثلاثة مصطلحات عبرية هي : أثل : (الاعتماد ، ص 168ظ ؛ انظر حوله : شرح ، 9 ؛ المعجم الكبير ، ص 96) . كرفس : (الاعتماد ، ص 199 ظ ؛ انظر حوله : تحفة ، 82 ؛ شرح ، 196) . الكفر (اليهودي) : (الاعتماد ، ص 198و ؛ انظر حوله : تحفة ، 6). 4 — مصطلحان هنديان هما : تربد (الاعتماد ، ص 173و ؛ انظر حوله : تحفة ، 6) . شل : (الاعتماد، ص 189ظ ؛ انظر حولــه : شـــرح ، 57) . 5 — مصطلـــح سنسكريتي هوطاليسفر : (الاعتماد ، ص 164ظ ؛ انظر حوله : الصيدنة للبيروني ، ص 252) . 6 — مصطلح مصرى قديم هو اثمد : (الاعتماد ، ص 214و ؛ انظر حوله : شرح ، 27) .

المترجمة من اليونانيّة لمقابلة المصطلحات اليونانية مُعْتَبَرَةً مصطلحَاتٍ «عربيّةً» (66) .

ولذلك فإننا نعتبر المصطلحاتِ المقترضَةَ من الفارسيّة في كتاب «الاعتماد» – رغم كثرتِها – أقلّ «عُجْمةً» من المصطلحات اليونانيّة – رغمَ قلّتها –، فالمصطلحات اليونانيّة – إذَن – أكثرُ تَمَيُّزًا وخُصُوصيّةً عند ابن الجزّار من المصطلحات الفارسيّة .

2 – 1 – 2 – في مستوى الجملة :

إن ظاهرة التداخل اللغويّ في كتاب «الاعتماد» ليسَت في مستوى المصطلحاتِ المداخلِ فقط ، بل نجدُها في مستوى الجملة أيضًا ، ضمن النصوص ، وخاصّةً في التعريفات اللغويّة التي اتبع فيها ابن الجزّار طريقة التعريف الترادفيّ التي تعتمد أسَاسًا على ذكر مرادِفَاتٍ للمصطلح المدخلِ بلُغَاتٍ مختلفة ، وهذه التعريفات الترادفية مهمّة جدًّا لغويًّا وعلميًّا . وتتمثل أهميّتُها اللغويّة في محاولة رفع «العُجْمَة» عن المصطلحات المداخلِ بتحديد مفهومها تحديدًا دقيقا حسب ما اتُّفِقَ عليه في لغاتٍ مختلفة . على

(66) لعل أحسن ما يمثل هذه الظاهرة ترجمة كتاب «المقالات الخمس» لديوسقريديس ، فقد عرب فيه المترجمان – اصطفن بن بسيل وحنين بن اسحاق – مصطلحات يونانية كثيرة بمصطلحات فارسية نذكر منها الأمثلة التالية : 1 – «أأقورون وهو الوج» (ص 13 ، وانظر حول «الوج» معجمنا في الفصل الثالث من هذا البحث ، المادة 152) . 2 – «أما لا بثرون وهو الساذج الهندى» (ص 19 ، وانظر مادة «سادج» في المعجم ، عدد 72). 3 – «قنامومن وهو الدارصيني» (ص 22 ، وانظر مادة «دارصيني» في المعجم ، عدد 50) . 4 – «أزا وهو الشيلم» (ص 180 ، وانظر مادة «شيلم» في المعجم عدد 91) . 5 – «أوقمن وهو الباذروج» (ص 205 ، وانظر مادة «بادروج» في المعجم عدد 94) . 6 – «لبيديون وهو الشيطرج» (ص 227 ، وانظر مادة «شيطرج» في المعجم ، عدد 90) . 7 – «أأرسطولوخيا وهو الزراوند» (ص 239 ، وانظر مادة زراوند» في المعجم ، عدد 64) . 8 – «قالامنتي وهو الفوذنج» (ص 255 ، وانظر مادة «فودنج» في المعجم عدد 110) . 9 – «أنيثون وهو الشبث» (ص 266 ، وانظر في المعجم مادة «شبث» عدد 86) . 10 – «مارثـون وهو الرازيانج» (ص 271 ، وأنظر مادة رازيـانج في المعجم عدد 57) ، الخ ... فمصطلحات الوج والساذج والدارصيني والشيلم والباذروج والشيطرج والزراوند والفوذنج والشبث والرازيانج كلها مصطلحات فارسية (وقد اثبتناها في المعجم في المواضع المشار إليها) قد استعملها اصطفن وحنين لمقابلة المصطلحات اليونانية .

أنَّ هذا التحديدَ لا يخلو في حدّ ذاته في الحقيقة من « عُجْمَةٍ » لأنَّ المصطلحَ الأعجميَّ فيه يُعَرَّفُ بمجموعةٍ من المصطلحات هي نفسُها أعجميَّة . أما أهميّتها العلميَّة فتتمثل في مُحاولة خَلْقِ لغة طبيَّة « عالميَّةٍ » يَتعايَش فيها مُخْتَلَف اللغات وتُعين الأطبّاءَ فيما بينهُم على توحيد مفاهيمِهم للأدْوِية المفردَة (67) . وهذه الآن أمثلة من هذه الطريقة الترادُفيّة في التعريف عند ابن الجزّار (68) :

1) « آس : الآس هو الريْحَانُ ، وهو المُرْدِيَان وهو المُرْدِيَانج بالفارسيَّة ، وهو المُرْتِيلُش (69) ، وهو المُرْة (70) » (71) .

2) « زعفران : الزعفَران يُسَمَّى بالروميّة قْرِيقُس (72) وبالسّريانيَّة كُرْكَمَا (73) » (74) .

---

(67) وقد ظلت هذه الطريقة متبعة بعد ابن الجزار ، وأشار إليها البيروني في مقدمة « الصيدنة » بقوله : « وفي الاحاطة باسم الدواء الواحد بصنوف اللغات فوائد » (صيدنة ، ص 15) . وأشار إليها ابن البيطار في « الجامع » : « الغرض السادس [من الكتاب] في أسماء الأدوية بسائر اللغات المتباينة في السمات (...) وذكرت كثيرا منها بما يعرف به في الأماكن التي تنسب إليها الأدوية المسطورة كالألفاظ البربرية واللاطينية وهي عجمية الأندلس » (الجامع ، 3/1 في ط ، بولاق و4/1 في الترجمة الفرنسية) . وانظر حول هذه الظاهرة عند ابن البيطار : « منهج ابن البيطار في معالجة المصطلح النباتي والصيدلي » لابراهيم بن مراد ، حوليات الجامعة التونسية ، 17 (1979) ، (ص ص 95 – 116) ، ص ص 108 – 115 .

(68) انظر أمثلة أخرى لهذه الطريقة عند ابن الجزار في مواد المعجم المثبت في الفصل الثالث من هذا البحث ، وخاصة في مواد : بابونج ، 21 ؛ بسبانج ، 26 ؛ بلادر 29 ؛ توتيا ، 38 ؛ جلنار ، 40 ؛ جنطيانا ، 41 ؛ خولنجان ، 46 ؛ دارصيني ، 50 ؛ درونج ، 53 ؛ دفلا ، 54 ؛ رازيانج ، 57 ؛ راوند ، 60 ؛ زاج ، 62 ؛ سرو ، 76 ؛ شاهترج ، 84 ؛ شبرم ، 87 ؛ شكوهج ، 89 ؛ عنزروت ، 96 ؛ غار ، 97 ؛ فنجنجسة ، 107 ؛ فو ، 108 ؛ فودنج ، 110 ؛ قرطمانا ، 113 ؛ قرنفل ، 114 ؛ كهربا ، 128 ؛ مخيطا ، 134 ؛ مصطكا ، 139 ؛ نانخة ، 142 ؛ هيوفاريقون ، 151 ؛ وج ، 152 ؛ وشق ، 153 .

(69) المصطلح يوناني وأصلة (Myrtos) .

(70) المطلح لاتيني أصله (Myrta) . أنظر سيمونيت : المعجم ، ص 366 .

(71) ابن الجزار : الاعتماد ، ص 130و .

(72) في الأصل « قريقه » ، والمصطلح يوناني أصله (Krokos) .

(73) في الأصل « كموما » ، والاصلاح من « الصيدنة » للبيروني ، ص 202 .

(74) ابن الجزار : الاعتماد ، ص 149و .

3) « نَمَّام : وهو السِّيسَنْبَر (75) ، وهو بالروميَّة قَلَمَنْتَه (76) ، وزَعَم قومَ أنّ السِّيسَنْبَر (77) هو النمَّام البَرِّيُّ ؛ والنمَّام نوعَان ، لأنّ منه البرّيّ ومنه البسْتانيّ ، ويُسمَّى باليونانيَّة أرْفُلُّس (78) ، وهو إسْم مُشْتقٌ من الدّبِيب لأنّ عُروقَه تدِبُّ وتسْعَى في الأرض » (79) .

4) « قُنَّـة : القُنَّـة تُسمَّـى بالفارسيَّـة البَارزْدَ (80) وبالروميَّة الخَلْبَانَة (81) » (82) .

5) « طَرَاثِيث : الطراثيث تُسَمِّيه العَرب لِحْيَةَ التَّيْس ، وهو بالروميَّـة هِيُوفَاقِصْدِيدَاش (83) وبالعَجَميَّـة فُشَال (84) ، وبالفَارسيَّة النارص (85) ، وهو المعروف بِزَبِّ ربَاح (85 مكرر) » (86) .

6) خُصَى الثّعْلب : هذا النبات المعرُوف بخُصَى الثّعْلَب يُسمَّى بالفارسيّة بُوزِيدَان (87) ، وبالبربريَّة تاربغليطان (88) ومن النّاس من

---

(75) في الاصل « السيسن » ، وهو تصحيف ، والمصطلح يوناني أصله (Sisymbrion) .
(76) في الأصل « قلمنه » ، وهو تصحيف ، والمصطلح يوناني أصله : (Kalaminthê) .
(77) في الأصل « السيسن » (انظر التعليق 75) .
(78) هو مصطلح يوناني أصله (Herpyllos) .
(79) ابن الجزار : الاعتماد ، ص 153و .
(80) في الأصل « النازرد » وهو تصحيف ، والمصطلح فارسي أصله « بيرزد » ، انظر أدي شير ، ص 15 ؛ شرح ، 339 .
(81) في الأصل « الملبانه » وهو تصحيف والمصطلح يوناني أصله : (Khalbanê).
(82) ابن الجزار : الاعتماد ، ص 180و .
(83) في الأصل «مهيوفا قصديداش» وهو تصحيف ، والمصطلح يوناني أصله : (Hypokistidos) .
(84) المصطلح لاتيني أصله (Fusillus) ، انظر : دوزى : المستدرك ، 269/2 ؛ سيمونيت : المعجم ، ص 236 ؛ شرح ، 174 .
(85) كذا في الأصل ، ولم نعثر على هذا المصطلح فيما بين أيدينا من المراجع .
(85م) في الأصل « بزبرباح » ، والصواب ما أثبتنا اعتمادا على ابن ميمون في الشرح ، 174 ، وابن البيطار في كتاب « الجامع » ، الترجمة الفرنسية ، 409/2 ؛ وانظر المستدرك لدوزي ، 577/1 .
(86) ابن الجزار : الاعتماد ، ص 192ظ .
(87) في الأصل « أبوزيدان » والمصطلح فارسي أصله « بوزيدان » انظر أدي شير ، ص 31 ؛ تحفة ، 80 .
(88) كذا في الأصل ولم نعثر على هذا المصطلح فيما بين أيدينا من المراجع .

يُسَمِّيه طْرِيفُلُّن (89) ، ومعْنَى طْرِيفلُّن (89) باليُونَانِيَّة ثَلاَثُ وَرَقَاتٍ » (90) .

إنّ التعايُشَ بيْن مختلف اللغات في هذه الأمثلة – وأمثلةٍ أخرى عديدةٍ موجودةٍ في « المعجم » في الفصل الثالث من هذا البحث – يُبيِّن إلى أيّ مدًى كان ابنُ الجزّار متفتحا على اللغات الأعجمية . وهذا التفتّح لم يكن عِنْدَه – في نظرنا – عرضِيًّا بل كان ناتجًا عنده عن موقف مبدئي من اللغات الأعجمية .

2 – 1 – 3 – موقف ابن الجزّار من اللغات الأعجمية :

لم يسجّل لنا ابن الجزّار في كتابه موقفًا نظريًّا مّا يمكن الانطلاق منْه في حديثنا عن موقفه من اللغات الأعجميّة في مستوى التطبيق ، ولكن ليس من الصعْب تبيُّنُ ذلك الموقف إذًا نظرنا في موادّ كتابه ، أي المصطلحاتِ المداخلِ وتعريفاتها . ولعلّ أهمّ ما يبرز ذلك الموقفَ هو تفضيلُه المصطلحَ الأعجميَّ على المصطلح العربيّ في مستوى الاسْتِعْمَال والتطبيق . فقد لاحظنا – ونحن ننظر في كتابه – تفضيلَه استعمالَ المصطلح الأعجمي مَدْخلا – أو عنوانا لموادّ كتابه – على المصطلح العربيّ الذي يُورِده هو نفسه في التعريف مرادِفًا للمصطلح الأعجميّ .

ونذكر من تلك المصطلحاتِ مثلا « أسْفيدَاج » الذي عرّفَه بأنّه « الباروق بالعربيّة » (91) ، و« إشْقِيل » الذي عرّفه بأنّه « العُنْصلُ وهو العُنْصلاَن ، ويُسَمَّى بصَلَ الفأر » (92) ، و« أنْجُرَة » الذي قال إنّ

(89) في الأصل « طريفلن » « وهو تصحيف ، والمصطلح يوناني أصله » (Triphyllon) .
(90) ابن الجزار : الاعتماد ، ص 201ظ .
(91) نفس المصدر ، ص 156ظ ، (وانظر المادة عدد 5 في المعجم) .
(92) نفس المصدر ، ص 162و ، (وانظر المادة عدد 6 في المعجم) .

إسمَه « بالعربيّة القُرَّيْصُ والحبَقُ والحُرَّيْقُ » (93) ، و« رَازِيَانَج » الذي قال عنه « هو الشَّمَارُ وهو الشُّومَرُ » (94) ، و« سَرْو » الذي عرّفه بأنّه « شجرةُ الأرزِ بالعربيّة » (95) ، و« شَيْلَم » الذي ذكر أنّه « الزّوَانُ بالعربيّة » (96) ، و« كَاكَنْج » الذي عرّفه بأنّه « العُبَبُ بالعربيّة » (97) ... الخ .

وهذا الاستعمال للمصطلحاتِ الأعجميةِ مداخلَ بدلَ المصطلحات العربيّة الخالصَةِ يدُلّ في رأينَا على أنّ ابن الجزّار كان يقفُ من اللغة العربيّة موقفًا « عِلْميًّا » محضًا لا تأثير لِـ« جمَاليّة » اللغة العربيّة فيهِ ولا علاقَة بينَهُ وبيْنَ المواقفِ المذهبيّة الإيديُولُوجيّة التي كانت منطلَقَ جماعَةٍ كبيرةٍ من المثقّفين العَرَبِ والمسْلمِين سواءٌ في عصرِ ابن الجزّار أو قبْلَه أوْ بعدَه ، وخاصّة من الفقهاء الذين كانوا يدافعُون عَن « بيَانِ » القُرْآنِ وعَن « العُرُوبَةِ » والإسلام (98) . فابن الجزّارِ عالمٌ ، واللغةُ عندَهُ وسيلةٌ موظّفَةٌ لترْقيَةِ العِلْمِ الذِي اختصّ فيه ، فهو العالِمُ الذِي يبْحَثُ عن العَمَليّ في اللغَة والعِلْمِ ويَسْعَى إلى إرْضَاءِ حَاجتَه العلْميّةِ بالاقْتراضِ من اللغاتِ الأعجميّة دونَ تَحفُّظٍ أو تردُّدٍ باعتباره وَسيلةً مُهِمّةً للخَلْقِ المعْجَمِيّ (Créativité lexicale) في عصرٍ كانت اللغة العربيّة فيهِ في حاجة إلَى سَدّ ما فيها من نَقْصٍ في مُعْجَمِها الطبيّ

---

(93) نفس المصدر ، ص 158و ، (وانظر المادة عدد 16 في المعجم) .

(94) نفس المصدر ، ص 166ظ ، (وانظر المادة 57 في المعجم) .

(95) نفس المصدر ، ص 128و ، (وانظر المادة 76 في المعجم) .

(96) نفس المصدر ، ص 202و ، (وانظر المادة 91 في المعجم) .

(97) نفس المصدر ، ص 170ظ ، (وانظر المادة 119 في المعجم) .

(98) انظر في ذلك خاصة بحث الأستاذ رشاد الحمزاوي :
« L'Emprunt linguistique d'après les exégètes du Coran et les théologiens », in : Les Cahiers de Tunisie, Tome XXII. N^os 87-88 (1974), pp. 177-195.

والصيدليّ ، ونحن نعتبر — لذلك — تفتُّحَ ابن الجزّار على اللغات والثقافات الأعجميّة يَعْنِي تفتُّحَ اللغة العربيّة نفْسِها على تلك اللغات والثقافات ، وخاصّة على الثقافة اليونانيّة التي كانت — في ميْدانَيْ الطبّ والصيدلة — الثقافةَ الغالبةَ المتميِّزةَ بالنسبة إلى العرب والمسْلِمين .

2 — 2 — التداخل الثقافي :

لاشكّ أنّ أهمّ ما يُبْرِزُ التداخل الثقافيّ في كتاب علميّ مّا هي المصادرُ التي اعتمدَها مؤلّفُه فيه . ولكنّ البحثَ في مصادر ابن الجزّار في كتاب « الاعتماد » لا يخلُو من صعوبةٍ ، فابن الجزّار يُعْتَبَرُ ضَنِيناً بِذكْرِ مصادِرِه إذَا قِيسَ بعُلَمَاء آخرين قد تقيَّدُوا في كُتُبِهِم بإسْنَاد كلّ ما ليْسَ لهم إلى أصْحَابِه ، مثلَما فعَلَ ابنُ البيطار في كتابه « الجامع » (99) . وهو في أحيانٍ كثيرةٍ يعزو الأقْوَالَ إلى مجْهُولينَ كأنْ يقولَ : « زعم بعضُ الأطبّاء » (100) أو « زعمَ بعْضُ الناسِ » (101) أوْ « بعْضُ الأوائِل » (102) أو «بعْضُ المتقدّمين»(103) أو « زعم قومٌ »(104) .

(99) ذكر ابن البيطار في مقدمة كتابه : « واستوعبت فيه جميع ما في الخمس مقالات من كتاب الأفضل ديسقوريدوس بنصه ، وكذا فعلت بجميع ما أورده الفاضل جالينوس في الست مقالات من مفرداته بنصه ، ثم ألحقت بقوليهما من أقوال المحدثين في الأدويــة النباتية والمعدنية والحيوانية ما لم يذكراه ، ووصفت فيها عن ثقات المحدثين وعلماء النباتيين ما لم يصفاه ، وأسندت في جميع ذلك الأقوال إلى قائلها وعرفت طريق النقل فيها بذكر ناقلها» — الجامع ، 2/1 في ط ، بولاق و2/1 في الترجمة الفرنسية .

(100) ذكر ذلك في 18 مادة : أنظر : أفسنتين ، ص 116ظ ؛ اهليلج هندي ، ص 117و ؛ فيلزهرج ، ص 122ظ ؛ جوزجندم ، ص 127ظ ؛ سرو ، ص 128و ؛ در ، ص 134و ؛ طين أرمني ، ص 139و ؛ محلب ، ص 147ظ و148و ؛ ريباس ، ص 148و ؛ رامك ، ص 148ظ ؛ فاوينا ، ص 150و ؛ قنطوريون ، ص 163و ؛ رازيانج ، ص 166ظ ؛ مازريون ، ص 167ظ ؛ سقمونيا ، ص 178و ؛ كمون أبيض ، ص 191و ؛ فودنج ، ص 195ظ ؛ بلاذر ، ص 203و .

(101) ذكر ذلك في مواد : فو ، ص 124ظ ؛ عوسج ، ص 126ظ ؛ عنبر ، ص 146ظ ؛ نسرين ، ص 157ظ .

(102) ذكر ذلك في مادتي ذهب ص 122ظ ، وفراسيون ، ص 161و .

(103) ذكر ذلك في مادة خبث الحديد ، ص 196ظ .

(104) ذكر ذلك في مادتي فو ، ص 124ظ ، وساساليون ، ص 167ظ . وقد يكتفي ابن الجزار أحيانا أخرى بأن يعقب على قول أحد العلماء بقوله « زعم غيره » ، انظر مثلا مــواد :

على أن ابن الجزّار قد صرّح في مواضعَ من كتابه بمصادِرِه ، وقد جمعْنا تلك المصادرَ ، فتجمّع لديْنا قَدْرٌ لا يُستهان به من الشواهد المسْنَدَة ، وقد بوّبْنا تلك الشواهدَ حسَبَ أصْحابِها وتبيّنَ لنا من ذلك التّبويبِ أنّ مصادِرَ ابن الجزّار صِنْفان : يُونانيّةٌ — وهي الغالبَةُ — وعَرَبية إسْلاَميّة ، وفيما يلي وصفٌ مفصّلٌ لهذه المصادِر :

2 — 2 — 1 — المصادر اليونانيّة :

اقترض ابن الجزّار من اثنَيْ عشر مؤلّفًا ينتمون إلى الثقافة اليونانيّة الهلينيّة ، وهم إمّا يونانيّون خالِصون قد وُلِدُوا في بلاد اليونان أو بيزَنْطيّونَ واسكندَرانيّون قد تأثّروا بالثقافة اليونانيّة وكتبوا باللغة اليونانيّة ، ونُورِدُ فيما يَلِي هؤلاءِ المؤلّفين مُرَتّبين حسب تَواتُرِهم في كتاب « الاعتماد » :

2 — 2 — 1 — 1 — دِياسْقُورِيدُوس :

هو بَدانيُوس دِيُوسْقِرِيدِيس (Pedanios Dioscoridês) العيْن زَرْبي (105) ، عاش في القرن الأوّل الميلاديّ ، عمل جنديًّا في الجيْش الرومَانِيّ من سنة 45 إلى سنة 75م وتنقّل مع الجيْش في بُلْدانٍ كثيرةٍ كانت

سرو ، ص 128و ؛ ياقوت ، ص 134و ؛ بلسان ، ص 145و ؛ كندر ، ص 146و ؛ مر ، ص 154و ؛ درونج ، 188ظ . وقد يستعمل أحيانا بعض الصيغ الأخرى كأن يقول « ذكر بعضهم » (في مادة عفص ، ص 143ظ) ، أو « ذكر أنه » (في مر ، ص 154و) ، أو « زعموا أنه » (في طرفاء ، ص 168ظ) ، أو « أجمعوا أنه » (في أبهل ، ص 174و) ، أو « قد اتفق الأطباء » (في ملح ، ص 209و) .

(105) انظر حوله : ابن جلجل : الطبقات ، ص 21 ؛ القفطي : تاريخ الحكماء ، ص ص 183 — 184 ؛ ابن أبي أصبعة : العيون ، 35/1 ؛ ابن العبري : مختصر الدول ، ص 62 ؛ لكلرك : تاريخ الطب العربي ، 236/1 — 239 ؛ سارتون : المقدمة ، 258/1 — 260 ؛ 2/359 ، Dubler (C.E.) : EI 2 ؛ سزكين : التراث العربي ، 58/3 — 60 ، 314/4 ؛ والملاحظ أن إسم ديوسقريديس يكتب في المصادر العربية الاسلامية بطرق متعددة أهمها : دياسقوريدوس ودسقوريدوس وديسقوريدس ، وديسقوريدوس ، وديوسقريدس ، كما يكتب بالذال المعجمة عوض الدال في أوله . والرسم الغالب لاسمه في العصر الحديث هو ديوسقريديس .

خاضعة للسلطة الرومانية ، فحصل له في تجواله الكثير معرفة نباتات كثيرة استغلها في وضع كتابه «المقالات الخمس» الذي كان له كبير الأثر في الدراسات الصيدلية عموماً والنباتية خصوصاً عند العرب وعند الأوروبيين في القرون الوسطى . قد اعتمده ابن الجزار في ست وستين مادة معظمها نباتي ، ولم يذكر له كتاباً معيناً ، ولكن المقارنة بينت لنا أن كل ما أخذه منه إنما كان من كتاب « المقالات الخمس » (106) .
والمواد التي اعتمد فيها هي :

ورد (115و) ، أفسنتين (116ظ) ، إهليلج أصفر (117و) ، آذن (120ظ) ، سوس (121ظ) ، حضض (122ظ) ، عوسج (126ظ) ، كزبرة البير (127و) ، إكليل الملك (127ظ) ، دلب (129ظ) ، آس (130ظ) ، فوّا (132و) ، ميعة (132ظ) ، أقاقيا (133ظ) ، مصطكا (140ظ) ، صبر (142و) ، لسان الحمل (142ظ) ، عفص (143و ، 144و) ، زراوند (144ظ) ، بلسان (145و ، 145ظ) ، كندر (146و) ، قصب الذريرة (146ظ) ، سماق (147ظ) ، شادنة (148ظ) ، مرتك (155و) ، رصاص (156ظ) ، ماميثا (159و) ، خروع (159و ، 159ظ) ، سادج (160و ، 160ظ) بسردي (161ظ) ، قنطوريون (163ظ) ، بزرقطونا (164و) ، طاليسفر (164ظ) ، خطمي (169و) ، جلنار (171ظ) ، كبر (172و) ، قسط (174و) جنطيانا (174ظ) ، حنظل (175و) ، بسبانج (177ظ) ، سقمونيا (178و ، 178ظ) ، سليخة (179و) ، أسارون (179ظ) ، غار (182و) ، سعتر (185و) ، حلتيت (188و) ، طراثيث (192ظ) ، حماما (193و) ، حب البان (193ظ) ،

---

(106) قد اعتمده في « زاد المسافر » إثنتين وعشرين مرة في المداواة ، انظر : دوقا : « زاد المسافر » ص 325 ، ويفسر كثرة نقوله عنه في كتاب « الاعتماد » تخصص ديوسقريديس في الأدوية المفردة وهو الموضوع الذي يعني ابن الجزار هنا . أما « زاد المسافر » فهو في العلاج أساسا .

فُودَنْج (195و) ، خَبَثُ الحَدِيد (196و) ، حَدِيد (197و) ، زِفْتٌ رَطْب (197ظ) ، زِفْتٌ يَابِس (197ظ) ، كَرَفْس (200و ، 201و) ، خُصَى الثَّعْلب (202و) ، دَارْشِيشِعَان (202ظ) ، حُرْف (204ظ) ، نُحَاس مُحْرَق (205و) ، زَنْجَار (205ظ) ، سَذَاب (206ظ) ، يَتُوعَات (208ظ) ، زَاج (212و ، 212ظ) ، زِيبَق (213و) ، تُوتِيَا (213ظ ، 214و) ، إثْمِد (214ظ) .

2 – 2 – 1 – 2 – جالينـوس :

هو قْلاوِدْيُوس جالينوس (Claudios Galenôs) البرغاميّ (107) . عاش في القرن الثّاني للميلاد وتُوُفِّيَ سنة 199م . هو أشهر طبيب يوناني في تاريخ الطب العربي الاسلامي ، وخاصّة فيما يتصل بالمدَاوَاة والعِلاَج وبتجاربه الموفقة في علم التشريح . اعتمده ابن الجزار سبعًا وثلاثين مرّة ولم يذكرْ له إلاّ كتابًا واحدًا هو « رسالة إلى أغلُوقُن » ، ويبدو لنا أنّ ابن الجزّار قد اعتمده خاصّة في كتابه « المقالات السّت في الأدوية المفردة » لاختصاص هذا الكتاب في الأدْوِية المفردة (108) . والمواد التي اعْتُمِدَ فيها في كتاب « الاعتماد » هي :

---

(107) انظر حوله : ابن جلجل : الطبقات ، ص ص 41 – 44 ؛ صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ، ص 28 ؛ القفطي : تاريخ الحكماء ، ص ص 122 – 132 ؛ ابن أبي أصيبعة : العيون ، 71/1 – 103 ؛ ابن العبرى : مختصر الدول ، ص ص 72 – 73 ؛ لكلرك : تاريخ الطب العربي ، 242/1 – 252 ؛ سارتون : المقدمة ، 301/1 – 306 ؛ Walzer (R.) : EI 2 ، 2/413 – 414 ؛ سزكين : التراث العربي ، 68/3 – 140 ، 314/4 .

(108) قد اعتمده ابن الجزار في « زاد المسافر » حوالي ستين مرة في المداواة ، وقد ذكر له فيه اثني عشر كتابا هي : كتاب « المزاجات » وكتاب « العشر مقالات » وكتاب « تركيب الأدوية » (وهو جزآن : الأول « كتاب قاطاجانس » والثاني « كتاب الميامر ») ، وكتاب « الأدوية المقابلة للأدواء » وكتاب « الصناعة » وكتاب « فصول الحميات » وكتاب حيلة البرء » وكتاب « منافع الأعضاء » وكتاب « التعليم » وكتاب « نصائح الرهبان » وكتاب « أبيديميا » وكتاب « إلى أغلوقلن » (وهو الكتاب الذي ذكره ابن الجزار في « الاعتماد ») – وانظر حول نقول ابن الجزار عن جالينوس في « زاد المسافر » وكتب جالينوس التي أخذ منها : دوقا « زاد المسافر » ص ص 321 – 325 .

أفْسَنْتين (115ظ) ، غَافَث (119و) ، خيار شنْبَر (120و) ، سنبل رُومي (127ظ) ، بادَرَنْجُونَه (125ظ) ، كزْبُرة البير (127و) ، سَرْو (128ظ) ، دُلْب (129و ، 129ظ) ، طين أرمني (138ظ ، 139و) ، مصْطَكا (140ظ) ، رَاوَنْد (141و) ، بُسَّد (141و) ، صبِر (142و) ، لسان الحَمَل (142ظ) ، جوْزبُوا (143و) ، عفْص (143و) ، زَرَاوَنْد (144ظ) ، كُنْدُر (146و) ، قَصَب الذَّرِيرَة (146ظ) ، سُمَّاق (147ظ) ، فَاوِينَا (149ظ ، 150و) ، صَفْصَاف (151و) ، سَادَج (160ظ) ، قَنْطُوريون (163و) ، أثْل (169و) ، أبْهَل (174و) ، دَارَصِيني (176ظ) ، أفْثِيمُون (177و) ، خرْبَق أسْود (184و) ، كَمَادَرْيُوس (190ظ) ، فُودَنْج (195و) ، خَبَث الحَدِيد (196و) ، دم الأخَوَيْن (197و) كَرَفْس (200و ، 200ظ ، 201و) ، خُصَى الثعلب (202و) ، بُورَق (211و) ، زَاج (212ظ) .

2 ـ 2 ـ 1 ـ 3 ـ بدِيغُورس :

هو الإسم الذي يُذْكر به العالِم الفيلسُوف اليونانيُّ فيثاغُورْس (Pythagoras) الذي عاش في القرن السّادس قبل الميلاَد (109) . قد اعتمده ابن الجزّار في ثلاثٍ وثلاثين مادّة ، وجلّ الشواهد المسْنَدَة إليْه متّصلٌ بإبدَال الأدْوية ، وهذا يَعْني أنّ ابن الجزّار قد اعتمد لَبدِيغُورس كتابَ « في إبدَال الأدْوية المفردَة والأشْجَار والصّموغ والطّين » ، وهذا الكتاب فيمَا يبدُو منحُولٌ لبديغورس وليْسَ له (110). والمَوادُّ التي اعتُمِدَ فيها بديغورس هي :

(109) انظر حوله : صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ، ص 22 ؛ القفطي : تاريخ الحكماء ، ص ص 258 ـ 259 ؛ ابن أبي أصيبعة : العيون ، 37/1 ـ 43 ، ابن العبري : مختصر الدول ، ص 50 ؛ لكلرك : تاريخ الطب العربي ، 197/1 ـ 198 ؛ سزكين : التراث العربي ، 20/3 ـ 22 و45/4 ـ 46 و75/5 ـ 76 .

(110) انظر حول هذا الكتاب : سزكين : التراث العربي ، 20/3 ـ 21 .

أفسنتين (116ظ) ، غافث (117و) ، سوس (121ظ) ، كهربا (125و) ، إكليل الملك (128و) ، سرو (128ظ) ، شاهترج (131ظ) ، أقاقيا (133ظ) ، نيلج (136ظ) ، نارمشك (138و) ، سبج (138ظ) ، وج (142ظ) ، جعدة (147و) ، شادنة (148ظ) ، فاوينا (150و) ، شيح (157و) ، جفتة البلوط (162ظ) ، عنب الثعلب (170ظ) ، كاكنج (171و) ، أبهل (174ظ) ، قنة (181و) ، حب الرأس (183ظ) ، درونج (188ظ) ، كمافيطوس (190ظ) ، كمادريوس (190ظ) ، علك الأنباط (192ظ) ، هيوفاريقون (199ظ) ، سورنجان (199ظ) ، فلنفمونة (201و) ، بلادر (203و) ، نشادر (210ظ) ، بورق (211و) ، توتيا (214و) .

2 — 2 — 1 — 4 — ارسطاطاليس :

هو الفيلسوف اليوناني ارسطو طاليس (Aristotélês) المقدوني (ت . 322ق‌م) (111) . قد اعتمده ابن الجزار في ست عشرة مادة كلها معدنية ، وقد ذكر في مادة « حديد » (ص 196ظ) اقتباسه من « كتاب طبائع الأحجار » ، وهو بدون شك كتاب « الأحجار » المنسوب إلى أرسطو (112) . والمواد التي اعتمد فيها في كتاب « الاعتماد » هي :

ذهب (123و) ، حجر الدر (134و) ، ياقوت (134و) ، عقيق (136ظ) ، جزع (138و) ، سبج (138و) ، رصاص (155ظ) ، سنبادج

(111) انظر حوله : ابن جلجل : الطبقات ، ص ص 25 — 27 ؛ صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ، ص ص 24 — 27 ؛ القفطي : تاريخ الحكماء ، ص ص 27 — 53 ؛ ابن أبي أصيبعة : العيون ، 54/1 — 69 ؛ ابن العبري : مختصر الدول ، ص ص 54 — 55 ؛ العمري : المسالك 288/5 — 291 ؛ لكلرك : تاريخ الطب العربي ، 204/1 — 212 ؛ سارتون : المقدمة، 127/1 — 136 ؛ Walzer (R.) : EI 2 ، 1/651 — 654 ؛ سزكين : التراث العربي ، 49/3 — 51 ، 349/3 — 352 ، 100/4 — 104 ، 312/4 — 313 .

(112) وقد اعتمده في « زاد المسافر » مرة واحدة : انظر دوقا : « زاد المسافر » ص 326 .

(167و) ، زَبَرْجد (170و) ، حديد (196ظ) ، نُحَاس (204ظ) ، ملح (209ظ)، نُشَادِر (210ظ)، بُورَق (210ظ)، زاج (213و)، دَهْنَج (215و).

2 — 2 — 1 — 5 — إيلي وَنْطَرَة :

هي كليُوبَتْرا (Célopatra) ملِكَةُ مصر (أواخر القرن الأول قبل الميلاد) (113) ، وقد ذكَرتْ عنها كتب التراجم العربيّة أنّها كانت حكيمة تصنّف الكتب في الحكمة والرُّقْيَةِ وغيرِها .

اعتمدها ابن الجزّار في سَبْع موادّ ، صرّح في إحداها (مادة مُرّ ، ص 154و) باعتماده على كتابٍ لهَا إسمه « كتابُ الزينة » . والموادّ التي اعتمدَها فيها هي :

كُندر (146و) ، قَرنفل (146ظ) ، مُرّ (154و) ، كُشُيْرَا (155و) ، دَارَصِيني (176ظ) ، سَقَمُونيا (178ظ) ، سليخة (179و) .

2 — 2 — 1 — 6 — بُقْراط :

هو الطبيب اليونانيّ أبقْراط (Hippocratês) المتَوفّى حوالَيْ سنة 377ق . م (114) . اعتمده ابن الجزّار في ستّ موادّ كلها نباتيّة ، ولم يذكر له كتابًا بِعَيْنه (115) ، والموادّ التي اعتمدَه فيها هي :

---

(113) انظر حولها : ابن جلجل : الطبقات ، ص 34 وص 38 ؛ القفطي ، تاريخ الحكماء ، ص 96 و259 ؛ ابن أبي أصيبعة : العيون ، 35/1 و82/1 ؛ ابن العبري : مختصر الدول ، ص 63 ؛ سزكين : التراث العربي 54/3 — 55 و70/4 . والملاحظ أن اسمها ورد في الكتب العربية الاسلامية بصور مختلفة أهمها « ايلاويطرا » و« ايلاونطرة » و« قلوبطرة » و« قلاوفطرا » و« قلابطرا » .

(114) انظر حوله : ابن جلجل : الطبقات ، ص ص 16 — 17 ؛ صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ، ص ص 27 — 28 ؛ القفطي : تاريخ الحكماء ، ص ص 90 — 95 ؛ ابن أبي أصيبعة : العيون ، 24/1 — 33 ؛ ابن العبري : مختصر الدول ، ص ص 50 — 51 ؛ لكلرك : تاريخ الطب العربي ، 231/1 — 236 ؛ سارتون : المقدمة 96/1 — 102 ؛ سزكين : التراث العربي ، 23/3 — 47 و76/5 — 77 .

(115) ذكر له في « زاد المسافر » ثلاثة كتب هي : « كتاب الفصول » و« تقدمه المعرفة » و« تدبير الأمراض الحادة » وقد اعتمد ابن الجزار أبقراط 12 مرة في كتاب « زاد المسافر » : انظر : دوقا : « زاد المسافر » ص ص 320 — 321 .

نرجس (150ظ) ، كمون أبيض (190ظ) ، فودَنْج (194ظ) ، كَرَفْس (200و) ، خرْدَل (204و) ، حُرْف (204ظ) .

2 — 2 — 1 — 7 — بولـش :

هو بُولُس الأجانيطيّ (Paulos Aegineta) وهو عالم إسكَندرانيّ (116) عاش في الاسكندرية في القرن السابع الميلاديّ قبل أنْ يفتحها المسلمون . قد عتمده ابن الجزّار في خمسِ موادّ في المداوَاة والإبْدَال ، ولم يذكر له كتابا معيَّنًا (117) . والموادّ التي اعتمدَه فيها هي :

رصاص (155ظ) ، صمَغٌ عربيّ (158و) ، كَاكَنج (171و) ، لوزٌ مُرّ (172و) ، زفت يابس (198و) .

2 — 2 — 1 — 8 — روفُس :

هو العالم الطبيعيّ الطبيب اليونانيّ روفس الأفْسِيسيّ (Rufus d'Ephèse) الذي عاش في بداية القرْن الثاني للميلاد (118) . قد اعتمده ابن الجزار في كتابه في ثلاثِ موادّ نباتيَّةٍ هي :

سَعْتَر (185و) ، فودَنْج (195و) ، سَدَاب (206ظ) .

---

(116) انظر حوله : القفطي : تاريخ الحكماء ، ص ص 261 — 262 ، ابن أبي أصيبعة : العيون 103/1 ، ابن العبري : مختصر الدول ، ص 103 ؛ لكلرك : تاريخ الطب العربي ، 256/1 — 257 ؛ سزكين : التراث العربي : 168/3 — 170 .

(117) اعتمده خمس مرات في « زاد المسافر » أيضا، انظر دوقا: « زاد المسافر » ص 326 .

(118) انظر حوله : القفطي : تاريخ الحكماء ، ص 185 ؛ ابن أبي أصيبعة : العيون 33/1 — 34 ؛ ابن العبري : مختصر الدول ، ص 50 ؛ لكلرك : تاريخ الطب العربي 239/1 — 242 ؛ سارتون : المقدمة ، 281/1 — 282 ؛ سزكين : التراث العربي ، 64/3 — 68 . والملاحظ أن ابن الجزار قد اعتمد روفس أربع مرات في « زاد المسافر »، انظر دوقا: « زاد المسافر » ص 326 .

2 — 2 — 1 — 9 — ثَاوفْرَاسْطُس :

هو العالم اليونانيّ ثاوفراسْطُس (Théophrastos) الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد (119) واشتهر بتأليفه في النبات خاصّة . قد اعتمده ابن الجزّار في مادّةٍ واحدة هي : قَيْشُور (214ظ) ، وقد ورد اسمه فيها محرفا إذ رسِمَ « ياوفداسطس » .

2 — 2 — 1 — 10 — بَلينُوس :

هو الاسم الذي يُعْرف به العالم اليونانيّ أبلُّونيوس الطُّوَانيّ (Apollonios de Tyane) الذي عاش في القرن الأول الميلاديّ (120) واشتهر بتآليفه في الطلسْمَات . قد اعتمده ابن الجزّار في مادّة واحدةٍ هي دهنج (215و) .

2 — 2 — 1 — 11 — قْرِيطُنْ :

هو العالم اليونانيّ قْرِيطُن (Kritôn) الذي يُدعى في الكتُب العربيّه بقْرِيطُنْ المزيِّن (121) ، لا نعرف له تاريخًا محدّدا ، إلا أنّ القفطيّ وابن أبي أصيبعَه ذكَرا أنّ « زمانه كان قبْلَ جالينوس وبعد بُقْراط » ، قد

(119) انظر حوله : القفطي : تاريخ الحكماء ، ص ص 106 — 107 ؛ ابن أبـي أصيبعـة : العيون ، 69/1 ؛ ابن العبري : مختصر الدول ، ص ص 55 — 56 ؛ لكلرك : تاريخ الطب العربـي ، 112/1 ؛ سارتون : المقدمة ، 143/1 — 144 ؛ سزكين : التراث العربـي 313/4 .

(120) انظر حوله : ابن أبـي أصيبعة : العيون 73/1 ؛ ابن العبري : مختصر الدول ص 70 ؛ Leclerc (L.) : « De l'identité de Balinas et d'Apollonius de de Tyane », in : Journal Asiatique, n° d'Août - Sept., 1869, pp. 111-131

لكلرك : تاريخ الطب العربـي ، 214/1 — 215 ؛ سارتون : المقدمة، 173/1 — 175 ؛ سزكين : التراث العربـي ، 354/3 — 355 و77/4 — 91 و315/4 — 317 .

(121) انظر حوله : القفطي : تاريخ الحكماء ، ص 55 ؛ ابن أبـي أصيبعة : العيون 34/1 ؛ لكلرك : تاريخ الطب العربـي ، 262/1 ؛ سزكين : التراث العربـي ، 60/3 — 61 .

اعتمده ابن الجزّار مرةً واحدةً في مادة واحدةٍ هي عَفْص (ص 143ظ) ، وذكر له فيها كتابا عنوانُه « في الزينة » .

2 — 2 — 1 — 12 — أيَاطْيُوس :

هو العالم البيزنطيّ الاسكندرانيّ أياطيوس الآمديّ (Aetios d'Amide) المتوفّى سنه 550م (122) . قد اعتمده ابن الجزار مرة واحدة في مادّة كهربا (ص 125و) . وقد ورَد إسمُه محرَّفا في مخطوطة « الاعتماد » إذْ رسِم « اباطبرس » (123) .

2 — 2 — 2 — المصادر العربية الاسلامية :

قد صرّح ابن الجزّار بأسماءِ خمسةِ مؤلّفين ينتمُون إلى الثقافة العربيّة الاسلاميّة قد اعتمدَهُم في كتابه ، منهم ثلاثةٌ من السُّرْيَان واثْنانِ من العرَب المسْلمين ، وقد اعتمدهم جميعًا في تِسعَ عشْرةَ مادَّةً . ونذكرهم فيما يَلِي مرتّبينَ تاريخيًّا :

2 — 2 — 2 — 1 — تِيَادوق :

هو طبيبٌ مسيحيّ سُرْيانيّ ، خدم بالطب الحجَّاجَ بن يوسف الثقفيّ في العراق وتوفّي حوالي سنه 90ه/709م (124) . قد اعتمده ابن الجزّار في اثنتَيْ عشَر مادَّةً هي :

---

(122) انظر حوله : ابن أبـي أصيبعـة : العيون ، 109/1 (وقد سمـاه : اطنس الآمدي) ، لكلرك : تاريخ الطب العربـي ، 265/1 ؛ سارتون : المقدمة ، 434/1 — 435 ؛ سزكين : التراث العربـي ، 164/3 — 165 .

(123) قد اورد ابن البيطار في كتاب « الجامع » (مادة كهربا ، 89/4 في ط. بولاق و210/3 في الترجمة الفرنسية) نفس الفقرة التي أوردها له ابن الجزار ، وقد رسم إسمه عند ابن البيطار « انطيلس الآمدي » ، وقد علق لكلرك (211/3 في ترجمة « الجامع ») على هذا الاسم واعتبره إسم (Aetios)

(124) انظر حوله : القفطي : تاريخ الحكماء ، ص 105 ؛ ابن أبـي أصيبعة : العيون ، 1/ 121 — 123 ؛ ابن العبري : مختصر الدول ، ص 113 ؛ لكلرك : تاريخ الطب العربي ، 82/1 — 83 ؛ بروكلمان : تاريخ ، 263/1 — 264 ؛ سزكين : التراث العربـي، 3/ 207 — 208 .

مِسْك (140و) ، بَلَسَان (145و) ، عنْبَر (147و ، وقد حُرِّفَ الاسم هنا فرسِم مادون) ، مُرّ (154و ، وقد حُرِّف الاسْم هنا أيضًا فرسم بياروم) ، بَهْمَن (158ظ) ، دَارَصِيني (176ظ ، وقد حُرِّف إسمهُ هنا كذلك فرسم تباد) ، زوفَا (182ظ) ، خَرْبَق أسْود (184ظ) ، كَمادَرْيُوس (190ظ) ، علَك الأنْبَاط (192ظ) ، حَمَامَا (193و) ، شِبْث (212و) .

2 — 2 — 2 — 2 — ماسَرْجُوَيْه :

هو طبيبٌ يهوديّ سُرْيانيّ عَاش في النصف الثاني من القرن الأوّل والنصف الأوّل من القرن الثاني الهجريَّيْن (السابع والثامن الميلاديَّيْن) (125) ، وقد كانت لَه مساهَمة في الترجمة من اللغَة اليونانيَّة إلى اللغة العربيّة . قد اعتمده ابن الجزّار مرةً واحدةً في مادة بَلَسَان (ص 145ظ) .

2 — 2 — 2 — 3 — ابن مَاسُوَيْه :

هو أبو زكريا يحْيَى (أوْ يوحنّا) بن ماسُوَيْه ، وهو طبيبٌ مسيحيٌّ سُرْيانيٌّ من خرِّيجي مدرسه جُنْدَيْسَابُورَ ، عاش في بغداد في العصر العباسيّ الأول ، وتوفّي سنه 243هـ/857م (126) . قد اعتمده ابن الجزّار

(125) انظر حوله : ابن جلجل : الطبقات ، ص 61 ؛ صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ، ص 88 ؛ القفطي : تاريخ الحكماء ، ص ص 324 — 326 ؛ ابن أبي أصيبعة : العيون ، 163/1 — 164 ؛ ابن العبري : مختصر الدول ، ص ص 111 — 112 ؛ العمري : المسالك ، 479/5 — 481 ؛ بروكلمان : تاريخ ، 264/1 و267/4 — 268 ؛ سزكين : التراث العربي ، 206/3 — 207 .

(126) انظر حوله : ابن جلجل : الطبقات ، ص ص 65 — 66 ؛ القفطي : تاريخ الحكماء ، ص ص 380 — 391 ؛ ابن أبي أصيبعة : العيون ، 175/1 — 183 ؛ ابن العبري : مختصر الدول ، ص ص 131 — 132 ؛ العمري : المسالك ، 484/5 — 493 ؛ لكلرك : تاريخ الطب العربي ، 105/1 — 111 ؛ سارتون : المقدمة 574/1 ؛ بروكلمان : تاريخ ، 264/4 — 266 ؛ 897 — 3/896 ، Vadet (J.C.) : EI 2 ؛ سزكين : التراث العربي ، 231/3 — 236 و337/4 .

مرّتَيْن في مادّتَيْن اثنَتَيْن هما : مَيْعَه (ص 133و) ومصطكا (ص 140ظ) (127) .

2 — 2 — 2 — 4 — الكنْديّ :

هو الفيلسوف العالم العربيُّ المسلم أبو يوسف يعقوب بن إسْحَاق الكنديّ (ت . حوالي 256هـ/870م) (128) . قد اعتمدَه ابن الجزّار مرتيْن في مادّتَيْن اثنتين هما ذهب (ص 122ظ) وعوْسَج (ص 127و) . وقد أشَار في مادّة عوْسَج إلى أحدِ كُتُبِه بقوله « قال في كتَابه » ، لكنه لم يذكر اسمَ الكتاب (129) .

2 — 2 — 2 — 5 — إسْحَاق بن عمران :

هو الطبيب القيروانيُّ اسحاق بن عمَران (ت. حوالَيْ 294هـ/907م في القيرَوان) (130) ، قد استقدمَه إلى إفريقيَّةَ من العِرَاق الأمير الأغلبيُّ إبراهيم الثاني (261هـ/874م — 289هـ/902م) سنه 264هـ/877م . وقد كَان لَه دورٌ مهم جدّاً في إظهار الطبّ والفلسفَه في إفريقيَّةَ التي استوطنها حواليْ

(127) قد اعتمده في « زاد المسافر » حوالي 36 مرة ، وذكر له فيه ثلاثة كتب هي : « كتاب البصيرة » و« كتاب النجح » وكتاب « الكمال » — انظر دوقا : « زاد المسافر » ، ص ص 329 — 332 .

(128) انظر حوله : ابن جلجل : الطبقات ، ص ص 73 — 74 ؛ صاعد الأندلسي : طبقات الامم ، ص ص 51 — 52 ؛ القفطي : تاريخ الحكماء ، ص ص 366 — 378 ؛ ابن أبي أصيبعة : العيون ، 206/1 — 214 ؛ ابن العبري : مختصر الدول ، ص 149 ؛ العمري : المسالك 291/5 — 293 ؛ لكلرك : تاريخ الطب العربي ، 160/1 — 168 ؛ De Boer (T.) : EI 1، 2/1078 — 1079 ، سارتون : المقدمة ، 559/1 — 560 بروكلمان : تاريخ ، 127/4 — 136 ؛ سزكين : التراث العربي ، 244/3 — 247 و375/3 — 376 .

(129) قد اعتمده مرة واحدة في « زاد المسافر » : انظر دوقا : « زاد المسافر » ص 336 .

(130) انظر حوله : ابن جلجل : الطبقات ، ص ص 84 — 86 ؛ صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ص ص 60 — 61 ؛ ابن أبي أصيبعة : العيون ، 35/2 — 36 ؛ العمري : المسالك 576/5 — 577 ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ، 122/1 ؛ لكلرك : تاريخ ، 408/1 — 409 ؛ بروكلمان : تاريخ ، 268/4 ؛ عبد الوهاب : الورقات ، 233/1 — 236 ؛ سزكين : التراث العربي ، 266/3 — 267 و344/4 ، إبرهيم بن مراد : المصادر التونسية ، 124/1 — 128 (وفيه قائمة أوسع لمصادر ترجمته) .

الثلاثينَ سنه . قد صرَّح ابن الجزّار باعتماده عليه مرتيْن فقط في مادتَيْن اثنتَيْن هما : لَبْلاَب (ص 135ظ) وقَيْسُوم (ص 165و) . ولكن يبدو لنا أنّ اعتمادَ ابن الجزّار على ابن عمران كان أكبَر بكثير ، وقد سبق لنا أنْ بيّنّا في بحث سَابقٍ (131) تأثّرَ ابن الجزّار الكبيرَ باسحاقَ بن عِمْران الذي كانت نقُولُه عنْه في كتاب « الاعتماد » كثيرةً .

2 — 2 — 3 — نتائج الاستقـراء :

تلك هي المصادر اليونانية الهلينيَّة والعربيَّة الإسلاَميَّة التي اعتمدَها ابن الجزار في كتاب « الاعتماد » (132) . وأول نتيجَةٍ نخرج بها من هذَا الاستقراءِ للمصادرِ هي غلبة المصادِر اليونانيّة على المصادر العربيَّة الاسلاميَّة ، فقد أخَذ ابن الجزار عن اثنيْ عشَر مؤلّفًا ينتمُون إلى الثقافة اليونانيَّة بينَما لم يأخذ إلا عن خمسةٍ من المؤلّفين المنتمِين إلى الثقافة العربيّة الإسلاميّة ثلاثةٌ منهم من العَجَم أيضا لأنهم سُرْيانٌ ؛ والنتيجة الثانية هي الفرق الكبير بين عدد الشواهِد اليونانيّة وعددِ الشواهِد العربيّة الاسلاميّةِ ، فعدد الشواهد الجمليُّ في كتاب الاعتماد 192 شاهدًا منها 177 شاهدًا يونانّيا أيْ بنسبة 92،19٪ ، و15 شاهدًا فقط هي شواهد عربيَّةٌ إسلاميَّةٌ ، أي بنسبَة 7،81٪ ؛ والنتيجة الثالثة هي أنّ مصادر ابن الجزار كلّها يونانيَّة

---

(131) إبراهيم بن مراد : المصادر التونسية ، 133/1 — والملاحظ أن ابن الجزار قد اعتمد ابن عمران 18 مرة في كتاب « زاد المسافر » : انظر دوقا : « زاد المسافر » ، ص 333 .

(132) وقد وجدنا بعض الاشارات إلى مصادر أخرى قد وردت محرفة الرسم فلم نتمكن من معرفة المؤلفين المعنيين بها . فقد ورد في مادة « كهربا » (ص 125و) إسم عالم رسم « فلدران » ولم نتمكن من معرفته (على أن ابن البيطار في كتاب « الجامع » (مادة كهربا ، 89/4 في ط ، بولاق ، و211/3 في الترجمة الفرنسية) قد أورد نفس الفقرة التي أوردها ابن الجزار ، وقد نسبها إلى تيادوق) . وذكر في مادة « مر » (ص 154و) عالما رسم اسمه «ابلويلس» لم نتمكن من معرفته أيضا ، ولعل الرسم الصحيح للاسم هو «أبلونيس» ، فيكون تحريفا لاسم بلينوس الذي ذكرناه . وذكر في مادة « حب الرأس » (ص 183ظ) عالما رسم إسمه « قربطور » ، وقد يكون الرسم تحريفا لاسم « قريطن » الذي ذكرناه ، وذكر في مادة « جلنار » (ص 170و) عالما سماه « اسحاق » فقط ، ولا ندري من يعني به : هل هو اسحاق بن عمران أم اسحاق بن سليمان الاسرائيلي الذي كان أستاذا لابن الجزار .

هلينيّة أو عربية إسْلاميّة ، وليس بينها أيّ مصدرٍ فارسيّ أو هنديّ ، خلافا لِمَا رَأيْنَاه من غلبَةِ المصطلحات الفارسيَّة على المصْطَلحات اليونانيّة في حديثنا عن ظاهِرَة التدَاخُل اللغويّ في كتاب « الاعتماد » ، وهذا يعَنِـي أنّ اللغةَ الفارسيَّة كانت تُعْتَبَر عند ابن الجزار أقلّ « عُجْمَةً » من اللغة اليونانيَّةِ ، وأنّهَا قد وظِّفَت عندَه مثل اللغَةِ العربيَّةِ لنَقْلِ المصطلحاتِ اليونانيَّة .

وأهمّ ما يمكِنُ استنتاجُه حولَ ظاهرة التداخُلِ الثقافيّ في كتاب « الاعتماد » لابن الجزّار — إنطلاقًا من النتائج الثلاثِ التي ذكرنَاها — هُو أنّ الثقافة اليونانيَّة الطبيَّة والصيدليَّة كانت ثقافةً غالِبَـةً ، وقد كَانت الثقافَة العربيَّة معتمِدةً عليْهَا آخذَةً منها متَحَاورَةً معها تَحَاوُرًا كبيرًا . ولعلّ لمنزلة الثقافة اليونانيَّة في كتاب « الاعتماد » — أو غيْره من كتبِ ابن الجزار مثل « زاد المسافر » — أهميّةً خاصّةً ، فهو كتابٌ مَغْرِبيٌّ كُتِبَ بعيدًا عن مراكز نقْلِ الثقافة الطبيَّة اليونانيَّة ، وهي مراكز مشْرقية ، وذلك يعْنِـي أنّ تأثيرَ الثقافة اليونانيَّة كان عامًّا في البلاد العربيّةِ الاسلاميَّة ، مشْرِقًا ومغربًا .

ولقَدْ كان الاطبَّاء والصيَادِلة العَرب القدَمَاء مدْرِكين لتَفَوُّقِ الثقافة اليونَانيَّةِ ومقُرِّين بنقْصِ الثقافةِ العَربيَّة أمَامَها . ولعلّ أحْسَن ما يُلَخِّص موقفَهُم هو قول أبِـي الريْحَان البيْرونيّ — وقد كانَ من المتعَصِّبِـينَ للعَرب والثقَافَةِ العربية (133) — في كتاب « الصيْدَنة » : « وكُلٌّ واحِـدَةٍ من الأمَـم موْصوفَـة بالتقـدُّم في عِلْـمٍ مَّا أو عَمَلٍ . واليونَانِـيـون منهم قبْلَ النصرانيَّة موْسُومُون بفَضْل العِنَايَة في المباحِث وترقيةِ الأشيَاءِ إلى أشْرفِ مراتِـبِها وتَقْريبِها من كَمَالِهَا . ولو كَانَ

(133) انظر موقفه من اللغة والثقافة العربيتين في مقدمة كتاب « الصيدنة » ص 12 . ومن أهم ما ورد فيها قوله : « والهجو بالعربية أحب إلي من المدح بالفارسية » .

منهم دِيسْقُورِيدِس في نَواحِينَا تَصرَّفَ جُهْدَه عَلَى تَعَرُّفِ ما في جِبَالِنَا وبَوَادِينَا لكَانَت تَصِيرْ حَشَائِشُهَا كُلُّها أدْوِيَةً وما يُجْتَنَى منْها بِحَسَبِ تَجَارِبه أشْفِيَةً ، ولكنَّ ناحِيَةَ المَغْرِبِ فَازَتْ بِهِ وبأمثَالِهِ وَأفَادَتْنَا بمشْكُورِ مَسَاعِيهم عِلْمًا وَعَمَلاً » (134) .

على أن إعجَابَهم بالثقَافَة اليونانيَّة لم يَمْنَعْهُم من تبيُّنِ مظَاهِر النقْصِ فيهَا . ولعلَّ أهمَّ كِتَابٍ — حسَبَ علمِنا — قد حاوَل فيه مؤلفُه تجاوزَ ما في الثقافَة الطبيّة والصيدليَّة اليونانيَّة من النقْصِ هو كتاب « الاعتماد » نفسه لابن الجزّار ، فقدْ كَان من دوافع ابن الجزّار إلى تأليف كتابه هذا أنّه وجد في كتُبِ ديوسقريديسَ وجَالينوسَ وهُمَا — كما يقول ابن الجزّار نفسُه — « لا نهايةَ وراءهما ولا حِجَابَةَ بعدَهُما فيمَا عَانَيَاه من هَذَا الفنِّ » (135) أوْجُهَ نقص قد جعَلَتْ ما أتَيا بِهِ « قَد لَحِقَه التقصير عَنْ بَلاَغ غايَةِ المدْحِ » (136) .

(134) البيروني : صيدنة ، ص ص 10 — 11 .

(135) ابن الجزار : الاعتماد ، ص 113ظ .

(136) نفس المصدر ، ص 113ظ ، وقد ذكر أوجه النقص عندهما — وهي ثلاثة — في مقدمته ، ص ص 113ظ — 114و . وانظر نص المقدمة منشورا في بحثنا « المصادر التونسية » 1/ 132 — 133 .

الفصل الثـالث

معجـم المصطلحـات الأعجميـة

نُقَدّم في هذا المعجم المصطلحاتِ الأعجميّةَ الفارسيّةَ واليونانيّةَ واللاتينيّةَ الواردةَ مداخلَ في كتاب « الاعتماد » ، وعددها الجمليُّ مائة وخمسة وخمسون مصطلحا ، منها مائة وخمسة مصطلحات فارسيّة ، وثمانية وأربعُون مصطلحا يونانيّا ومصطلحانِ إثنان لاتينيّان . وقد اتبعْنا في وضع هذا المعجم الترتيبَ الألْفبَائِـيّ للمصطلحات وليس ترتيبَ ابن الجزار الذي اتّبع فيه درجَاتِ الأدْويَةِ . وقد اثبتْنَا بعد كلّ مصْطلح التعريفَ الذي أورَدَه له المؤلّف ، لغويًّا كانَ أو علميًّا ، أو لغويًّا وعلميًّا معًا ، وحذفْنا كلَّ ما يتّصل بالعِلاج والمداوَاة . وإذْ أنّنا ننشر نصوصَ هذه التعريفَاتِ لأوّل مرة فقد حاولْنا قدْرَ مستَطاعنَا أنْ تكون مُحقَّقةً تحقيقًا علميًّا دقيقا . وقد كَان عَمَلُنَا في مُمَارَسَةِ هذه النصوص صَعْبًا لاعتمادنا في تحقيقِهَا علَى مخطوطةٍ واحدةٍ .

علَى أنّ من الموادّ ما لم يُوردْ له المؤلّف تعريفًا ، مكتفيًا فيه بذكْر الخصَائِصِ الطبيّة والعلاجيّة للدوَاءِ ، وقد اكتفيْنَا بدوْرنَا في مثل هذه الحالات بذكْر المصطلَحِ المدخَلِ دونَ تعريفٍ . ومن الموادّ أيضًا ما لم يَردْ في المخطوطَة التي اعتمدْنَا ، للنّقْص الموجُود فيهَا في آخر المقالة الثالثة وبدايَة المقالةِ الرابعَة ، وقد أتمَمْنَا هذا النّقْص من كتابِ « صِفَة طبائع العقاقير على مذْهَب ابن الجزّار في كتاب الاعتماد » ووضعنَا ما أضَفْنا منه بين معقّفيْن [ ] .

وقد ذكرنا بعدَ كلّ تعريف اللغةَ الأعجميّة التي اقتُرِضَ منها المصطلح المدخَل والأصلَ الأعجميّ للمصطلح المعرَّب كما يُكتَب في لُغته الأصليّة ، الفارسيّة أو اليونانية أو اللاتينية . وقد رسمْنا الأصول اليونانيّةَ بالأحرف اللاتينيّة تسهيلا لقراءتها . وأبقَيْنا الأصول الفارسيّة على ما هي عليه للشَّبَه والتطابُق الكبيرَيْن بين الحُروف الفارسيّة والحُروف العربيّة . وقد أتبَعْنا ذلكَ ببعْض المراجع – مرتّبة ترتيبًا تاريخيًّا – لِدَعْم ما ذهبْنَا إليْه حول عُجْمَة المصطلح واللغة الأعجميّة التي اقتُرِضَ منها والأصل الأعجَميّ لَه . وقد ذيّلْنا بعْضَ الموادّ بملاحَظَات شخصيّة فيهَا بعْض التنبيهَات التي اعتبرنَاها مُفيدَةً ، وخاصّة في الحَالاَت التي أخْطَأ فيها ابن الجزّار في تعريف المصطلَح المدخَل أو التي اختلفتْ فيها مراجِعُنَا حوْل اللغَة الأعجَميّة المقْتَرَض منْها المصطلَح المدخَل .

ثم إنّنا – تلافِيًا للتكْرار – قد اتّخذْنَا رمُوزًا قَارّةً لأركَان كلّ مادّةٍ من مَوادّ هذَا المعْجَم : وقد رمزْنا إلى التعريف بعَلاَمة (:) ، وإلَى اللغَةِ المقتَرَض منْها المصْطَلَحُ والأصلِ الأعْجميّ للمصطلَح المعرَّب بِعلامة (×) ، وإلَى المراجِع الدّاعِمَة لعُجْمته بعلامَة (=) ، وإلى ملاحظاتِنَا الشخصيّة بعَلاَمة (٪) .

وهذه الآن موادُّ المعجم :

1) آذن :

(:) « من النَاس من يُسمّيه « الأدْيُون » ، وهو شيْءٌ يقَع على الحَشيشِ [وعندمَا ترعَاه المِعز] (137) يَعْلِق بلِحَاهَا

(137) إضافة رأينا السياق يقتضيها ، بناء على ما سيرد في التعريف .

فيصيب [ها] (138) شَبِيه بِكُعْلٍ (139) النعَاج المتعلّق بأذْيالِهَا ، فيُجْمَع . وزعم دياسقوريدوس أنّ الآذنَ يكُون مِنْ صِنْف الشَّجَر [الذي] (140) يُقَال له قِشْتُوش (141) ، وإذا رعت المعز في وَرَقِه يَلزَق فِيهَا من رطُوبَته لأنّه شَبِيه بالدُّهْنِ ، فيتعَلَّق فِي لِحَى التيُوسِ منها (142) » — الاعتماد ، ص 120ظ .

(×) من اليونانية « (Ladanon).

(=) دوزي : المستدرك ، 524/2 ؛ سيمونيت : المعجم ، ص 288 ؛ تحفة ، 241 ؛ شرح ، 208 ؛ اليسوعيّ : غرائب ، ص 268 .

2) أبَنُوس :

(:) « الأبنُوس يكون منه ببلادِ الهِنْد صِنْفٌ فيه عُروقٌ لونُها أبيض وعُرُقٌ لَوْنُهَا ياقُوتِيٌّ (...) وعودٌ كثيفٌ يرْسُب في الماءِ ، وأجود مِنْ هذا الحبشِيُّ وهو أسْوَد ليسَتْ فيه طَبَقات » — الاعتماد ، ص 167و .

(×) من اليونانية (Ebenos).

(=) تحفة ، 24 ؛ منتخب ، 8 .

3) أسَارون :

(:) « هو عيدَانٌ رِقَاقٌ أرَقُّ من عِيدَانِ القَرَنْفُلِ ، ولونُها كَمِدٌ بَيْن البيَاضِ والسَّوادِ ، وطعمُها حَارٌّ ورائحتُها طيِّبَةٌ ، يُؤْتَى بِهَا من بلاد الصين » — الاعتماد ، ص 179ظ .

---

(138) إضافة رأينا السياق يقتضيها .

(139) في الأصل « عكل » ، وهو تصحيف ، و« الكعل : ما يتعلق بخصى الكباش من الوذح » — اللسان ، 268/3 (كعل) .

(140) إضافة يقتضيها السياق .

(141) في الأصل « قشوش » ، وهو تصحيف ، والمصطلح يوناني أصله (Kîstos) ، وهو اسم الشجرة التي يحصل منها « الآذن » ، الذي يكتب عادة بلام في أوله ، أي « لادن » .

(142) انظر قول ديوسقريديس في « المقالات الخمس » ، ص 91 .

(×) من اليونانية (Asaron).

(=) دوزى : المستدرك ، 20/1 ؛ تحفة ، 36 .

4) الأسْطُوخُودوس :

(:) « [معنى] (143) هذا الإسْم بالروميّة « مُوقِف الأرْواح » ، وهو الأرْسَمِيسَة (144) بإفْرِيقيّة ، وهو حشيشَةٌ ذات وَرَق وقُضْبَان رِقَاق تَعْلُو (145) على الأرْض ذِرَاعَيْن وأكثرَ وأقلَّ ، وهي شَجَرَةٌ تُشْبِه شَجَرَةَ الإكْلِيل إلاّ أن ورقَها أرَقُّ من وَرَق الإكْلِيل وأشدُّ سَوادًا مِنْه » — الاعتماد ، ص 129ظ .

(×) من اليونانية (Stoikhados).

(=) تحفة ، 13 ؛ شرح ، 6 .

5) إسْفِيدَاج :

(:) « الإسْفِيدَاج بالفارسيّة ، وهو الباروق بالعربيّة ، وهو شيْءٌ أبْيَض شديد البَيَاض ، يُعْمَل من الرصَاص والخَلّ ، وذلك أنْ يُحَلَّ الرصاص بالخَلّ الحَاذِق فيكُونَ إسْفِيدَاجًا » — الاعتماد ، ص 156ظ .

(×) من الفارسية « سْبِيدْ آبْ » .

(=) أدّي شير ، ص 9و10 ؛ تحفة ، 37 ؛ شرح ، 29 .

---

(143) إضافة يقتضيها السياق .

(144) ورد هذا المصطلح عند ابن بكلاريش في « المستعيني » ورسمه « أرشميسه » وقال انه إسم إفريقي ، انظر : دوزى : المستدرك ، 18/1 ؛ وذكره ابن ميمون (شرح ، 6) ورسمه « أرشنيسة » .

(145) في الأصل : « تعلوا » .

6) إشْقِيل :

(:) « الإشْقِيل هو العُنْصل ، وهو العنْصلاَن ، ويُسَمَّى بصَل الفَأرِ لأنَّه يقْتل الفَأرَ ، وهو بَصَلٌ كَبِيرٌ يكُون بعْضه تحْتَ الأرْض وبعضه فوْقَ الأرْض ، فمِنْه أحمَر ومنه أبيَض » ــ الاعتماد ، ص 162و .

(×) من اليونانية (Skilla).

(=) سيمونيت : المعجم ، ص 196 ؛ تحفة ، 31 ؛ شرح ، 60 .

7) أشْنَة :

(:) « الأشْنَة تُوجَد على شجَرةِ البَلُّوط وعلَى شَجرِ الجَوْزِ وعل غيْرِهِمَا (146) من الأشْجَار . والمخْتَار منها ما كَانَ أطيب رائِحَةً ، وكانَتْ بيضَاءَ ، وأما مَا كَانَ منها لونُه إلى سَوَادٍ فإنه رَدِيءٌ » ــ الاعتماد ، ص 123ظ .

(×) من الفارسية « آشْنَهْ » .

(=) أدّي شير ، ص 11 ؛ المعجم الكبير ، ص 323 .

(٪) ذهَب مترجِم « الشرح » (الفقرة 11) إلى أنّ هذا المصطلح من السّريانيّة (Sanṭa) .

8) أفْثِيمُون :

(:) « الأفْثِيمُون بالروميَّة ، وهو السُّعَيْترة ، وهو حَبٌّ يُخْلَف علَى شَجَر السَّعْتَرِ وَيُشْبِه حبَّ الكُشُوث ، أخضَر إلى الحمْرةِ ، وهو الأصْل لَه . ويكون بِجِبَال بَيْتِ المقْدِسِ وبإقْرِيطِش وأجوَده الإقْرِيطِشِيُّ (147) وهو الإقْرِيطِيُّ ، والورَق الذِي يَكُون فِيهِ هو ورق السَّعْتَر » ــ الاعتماد ، ص 177و .

---

(146) في الأصل : « غيرها » .

(147) في الأصل « الاقريطش » .

(×) من اليونانية (Epithymon).

(=) تحفة ، 32 ؛ منتخب ، 80 ؛ شرح ، 23 .

9) إفْرَنْجَمُشْك :

(:) « هو الحبَق القَرَنْفُلِيُّ ، ورقُه صغيرٌ بيْن الخُضْرة والصُّفْرةِ ، ورائِحتُه رَائِحَة القرنْفُلِ وعيدَانُه مربَّعةٌ ولَوْنُ عيدَانِه مثلَ لَوْنِ ورقِه وبزْره أسْوَدُ يُجْمَع فِي آب » — الاعتماد ، ص 165ظ .

(×) من الفارسية « فْرَنْجَمُشْكْ » .

(=) دوزي : المستدرك ، 262/2 ؛ تحفة ، 327 ؛ شرح ، 47 .

10) أفْسَنْتِين :

(:) (لم يُعَرِّفْه) — الاعتماد ، ص 115ظ .

(×) من اليونانية (Apsinthion).

(=) تحفة ، 1 ؛ منتخب ، 27 ؛ شرح ، 3 .

11) [أفْيُون] :

(:) (لم يُعَرِّفْ) — طبائع العقاقير ، ص 81ظ .

(×) من اليونانية (Opion).

(=) تحفة ، 40 ؛ شرح ، 35 .

(٪) أ) هذه المادّة منقوصة في مخطوطة « الاعتماد » .

ب) ذهب أدّي شير (ص 11) إلى أن المصطلح العربيّ من الفارسيّةِ « أپْيُون » .

12) أَقَاقِيَـا :

(:) « الأَقَاقْيَا يُعْمَل بِمِصْرَ فقَطْ (148) وهو رُبُّ القَرَظِ (149) ، وشجرَتُها تُسَمَّى « الشوْكَةَ المِصْرِيَّةَ » ووَرَقُها يُعْرَف بالقَرَظِ (149) ، والشجَرة في الجُمْـلة (150) عظيمَة لهَا شَوْكٌ كبيرٌ عَرِيضٌ غَزِيرٌ صُلْبٌ شديدُ البياضِ في طُولِ الشوْكة مِقْدَار عقْرٍ (151) وأقلُّ قليلاً ، ولهَا زهرٌ أبيضُ ، وثمرتُها مُدَوَّرةٌ مسْطُوحَةٌ مشَاكِلَةٌ بِحَبِّ التُّرْمُسِ الصَّغيرِ ، وهي في دَاخِلِ غُلُفٍ على حكَايَةِ حَبِّ الخَرُّوبِ الكائِنِ في غُلُفِ الخرّوبِ ، وبها يَدْبُغ أهلُ مصرَ الجلُودَ ، فإذَا جُمِعتْ هذه المزَاوِد مع الوَرْد المعْروفِ بالقَرظِ (149) يُجْعَل في إنَاءٍ ويُصَبُّ عليْه المَاءُ ويقيم فيه أيّامًا ثم يُطْبَخ حتَّى يَنْفَسِخَ الورَق [عَن] (152) الثمرةِ ثم يُصَفَّى منْه الحَشَف ثم يُعَاد المَاء على النَّارِ فيطْبَخ حتَّى يَنْعَقِدَ ثم يُصَبُّ في قَوَالِبَ صِغَارٍ شِبْهِ المَحَارِ ثم يُطْبَخ حتَّى يَجِفَّ ، فهو المُسْتعمَل ، وعُصَارَتُه هِيَ (153) الثمرة المعروفَة بالأقَاقيَا (154) » — الاعتماد ، ص 133و .

(×) من اليونانية (Akakia).

(=) دوزي : المستدرك ، 296/2 ؛ اليسوعي : غرائب ، ص 253 .

---

(148) في الأصل « قط » وهو تصحيف ، ومن المعلوم أن الشجرة التي تستخرج منها الأقاقيا قد اشتهرت بها مصر في القديم : انظر « المقالات الخمس » لديوسقريديس ، ص 96 ، و« الجامع » لابن البيطار ، 14/4 في ط. بولاق ، و76/3 (عدد 1758) في الترجمة الفرنسية .

(149) في الأصل « القرط » بالطاء المهملة ، وهو تصحيف ، وقد ضبط ابن البيطار هذا المصطلح ضبطا دقيقا بقوله : « أوله قاف مفتوحة ثم راء مهملة مفتوحة أيضا بعدها ظاء مشالة معجمة ، إسم لثمرة الشوكة المصرية المعروفة بالسنط أيضا ، من هذه الثمرة تعتصر الأقاقيا وهي رب القرظ » — الجامع، 14/4 في ط. بولاق ، و76/3 في الترجمة الفرنسية .

(150) في الأصل « جملة » .

(151) كذا في الأصل ، والعقر الظفر الصغير في رجل الدابة — انظر : دوزى : المستدرك ، 152/2 .

(152) إضافة يقتضيها السياق .

(153) في الأصل « هو » .

(154) في الأصل « القاقيا » .

13) أقْحُــوَان :

(:) « الأقْحُوَان له ورَقٌ يُشْبِه ورَقَ الكزْبُرةِ ، وزهرٌ أبيَض ، والذي في وسَطِه أصْفَر ، ولهُ رائحَةٌ فيهَا ثِقَلٌ ، وفي طعْمِه مرارَةٌ » — الاعتمـاد ، ص 194و .

(×) من الفارسية « اَقَحْوَان » .

(=) شرح ، 20 .

14) أمْلَــج :

(:) « الأملَج ثمرتُه سوداءُ تشبهُ عيونَ البقَرِ ، ولهَا نَوًى مدوَّرٌ حاد الطرفَيْن إذَا نُزِعَ عنه قِشره تشقَّق النوَى على ثَلاَثِ (155) قِطَع . والمستعمَلُ منه ثمرتُه التي علَى النّوَى ، وطعْمُه مُرٌّ عَفِص يُؤْتَى به من حيْثُ يُؤْتَى بالإهْلِيلِج (156) » — الاعتماد ، ص 117ظ .

(×) من الفارسية « اَمَلَهْ » .

(=) تحفة ، 43 ؛ منتخب ، 13 ؛ شرح ، 374 .

(٪) وردت هذه المادّة في الأصل مع مادّة أخرى هي « بليلج » (انظر هذه المادة في هذا المعجم ، عدد 31) .

15) أنجُــدَان :

(:) « الأنجدُان ضربَان : أحَدُهُما الأبيضُ الطيِّبُ (157) المأكُـول المسْتَعْملُ في الأطْعِمَة والأدْوِيَةِ ، [والآخرُ الأسْودُ المنَتَّنُ] (158).

(155) في الأصل « ثلاثة » .

(156) أنظر المواد الخاصة بالإهليلج فيما يلي ، عدد 18 و19 و20 .

(157) في الأصل « اللطيف » وهو تصحيف (انظر التعليق الموالي) .

(158) هذه الجملة ساقطة من الأصل ، وقد أضفناها — وأصلحنا الفقرة عموما — اعتمادا على :
1) مادة « حلتيت » الواردة في الأصل بعد مادة « انجدان » ، ص 187ظ — فقد ورد فيها : « فالطيب من الحلتيت من الأنجدان الطيب الأبيض ، والحلتيت المنتن هو من الأنجدان الأسود المنتن (...) والمختار من هذه الصمغة ما كان (...) مشاكلا لرائحة الأنجدان السرخسي » .

فالأبيضُ منه السرْخَسيُّ (159) وتُسَمَّى (160) عُروقُ الأبيَضِ منه المحْروثَ (161) » — الاعتماد ، ص 187و .

(×) من الفارسيّة « انكُدان » .

(=) البيروني : صيدنة ، ص 73 ؛ أدّي شير ، ص 150 ؛ تحفة ، 14 .

16) أنْجُرَة :

(:) « الأنجرُةُ (162) ، واسمُها بالعربيَّة القُرَّيْصُ (163) وهو الحَبَقُ [و] الحُرَّيْقُ (164) ، وهي حشيشة خضراءُ ذاتُ ورقٍ وقُضْبانٍ خُضْرٍ ، ولها بزْرٌ صَغِيرٌ أسْود مدوَّر رقيقٌ مُفَلَّسٌ (165) ، ولهَا نَوَّار أصْفر ، تنبُت في الخَرَابَات ، وقد تنْبُت بسُوسَةَ » — الاعتماد ، ص 158و .

(×) من الفارسية « انْجَرَه » .

(=) تحفــة ، 10 .

---

2) الفقرة التي أوردها ابن البيطار في كتاب « الجامع » منسوبة إلى اسحاق بن عمران في مادة « انجدان » (58/1 – 59 في ط. بولاق) ، وقد ورد فيها : « هو (أي الانجدان) صنفان : الأبيض الطيب المأكول الذي يسمى السرخسي ، وتسمى عروق أصله المحروث ويستعمل في الأغذية والأدوية ، والآخر الأسود المنتن الذي خلط ببعض الأدوية » ومن المعلوم أن ابن الجزار كان يعتمد اعتمادا كبيرا على اسحاق بن عمران .

(159) في الأصل « المسدس » .

(160) في الأصل « ويسمى » .

(161) في الأصل « المحدث » .

(162) في الأصل « الانجدة » .

(163) في الأصل « القريض » بالضاد المعجمة ، والاصلاح من كتاب « الجامع » لابن البيطار 60/1 في ط. بولاق و146/1 (عدد 160) في الترجمة الفرنسية .

(164) الواو ساقطة في الأصل .

(165) مفلس : مقشر ، بدون قشر . انظر دوزي : المستدرك ، 278/2 .

17) أنِـيسُـــون :

(:) « الأنِيسُون هو « الحبَّةُ الحُلْوَة »، وهو « الرَّازِيَانج الشّامِيُّ » ، وهو حب أخْضَـر بيْـن الترْبِـيـع ِ والتدْوِيـرِ ، يُجْمـع في حُـزَيْرانَ » — الاعتماد ، ص 193و .

(×) من اليونانية (Anison).

(=) تحفة ، 33 ؛ منتخب ، 32 ؛ شرح ، 19 .

18) إهْلِـيلج (أصْفَـر) :

(:) (عرّفه مع « الإهليلج الهِنْدي ») — الاعتماد ، ص ص 116ظ — 117و .

(×) من الفارسيّة « هَلِـيلَهْ » .

(=) الجواليقي : المعرّب ، ص 76 ؛ أدّي شير ، ص 175 ؛ تحفة ، 43 ؛ منتخب ، 264 .

(٪) انظر المادّتين المواليتَيْن أيضا .

19) إهْلِـيلج(كابُلِيّ) :

(:) « يُؤْتَى به من كَابُل (166) ، وهو أفْضَلُ أصْناف الإهْليلجَاتِ المثَلَّثَةِ ، وهو أحمَر مُدَوَّر دَسِمٌ أطيَبُ طعْمًا من غيْره » — الاعتماد ، ص 117و .

(×) و(=) انظر المادّة السابقة .

---

(166) كابل : هي مدينة كابول عاصمة افغانستان حاليا. وقد ذكر الشريف الإدريسي (ت. 560هـ/1165م) في كتابه « نزهة المشتاق » (الاقليم الثاني ، السفر الثاني ، ص ص 195 — 196) أن « كابل من مدن الهند (...) وهي مدينة جليلة المقدار حسنة البنية وبجبالها عود جيد وبها النارجيل والإهليلج الكابلي المنسوب إليها » .

20) إهْلِـيلج (هِنْدِيّ) :

(:) « زعم بعض الأطِـبَّاء أنّ الإهليلـج الأسْـوَدَ والأصفَـرَ شجرُهما واحدٌ ، فالأسودُ منْه ما قَد تَنَـهاهَى طيبه ونضَجَ في شَجَـرِه حتى اسْودَّ فيها ، والأصفرُ ما يُؤْتَى بِه قبْلَ أن يَتنَاهَى طيبُه فيبْقَى بِصُفْرتِه » — الاعتماد ، ص 117و .

(×) و(=) : انظر مادة إهليلـج أصفر عدد 18 .

21) بَابُونَـج :

(:) « البَـابُـونَـج هـو « البَـابُـونَـق » (167) وهـو بالـروميَّـة « خَـمَامِـلُـنْ » (168) وتفسيرُه تُفَّاحُ الأرض ، وهي حشيشةٌ ذاتَ وَرَقٍ صَغِـيـر دقيقٍ أخضَرَ إلى الصُّفْرة ، وذاتُ أغْـصان رِقَاقٍ خُضْرٍ إلى الصُّفرةِ ولهَا نَوَّارْ أزْرَقُ ما بيْن الخُضْرة إلى الصّفرة ، ولَها بزْرٌ دقِـيقٌ أصْفـر يشبِه زَرِيعَةَ « الخَـصّ » وأدَقّ منْه » — الاعتماد ، ص 119و .

(×) من الفارسية « بَابُونَـهْ » .

(=) أدّي شير ، ص 14 ؛ تحفة ، 86 ؛ شرح ، 39 .

---

(167) في الأصل « اليايوش » ، وهو بدون شاك تحريف ، فالبابونج كان يسمى بافريقية قديما « بابونق» ، أشار إلى ذلك أبو العباس النباتي (ت. 637هـ/1239م) في كتابه « الرحلة المشرقية» حسب ما نسب إليه تلميذه ابن البيطار في كتاب « الجامع » ، فقد قال : « البابونق بالقاف اسم خاص للنوع العطر من البابونج الدقيق بتونس ، وهو برقادة من أرض القيروان كثير بها مزدرع بالقدم ، وهو يتخلق بأرضها من غير أن يزرع الآن ، وهو أيضا بتوزر وهو يوجد في صحاري برقة ... » — الجامع ، 73/1 في ط. بولاق . وذكر ابن البيطار نفسه في نفس الموضع من كتابه : « النوع الأبيض الزهر منه هو النبت المعروف اليوم بمصر بالكركاش(...) وأهل إفريقية يسمونه أيضا رجل الدجاجة وهو الأقحوان عند العرب، وليس يستعمل اليوم عند الأطباء، وإنما يستعمل نوع آخر وهو الذي يعرف بافريقية بالبابونق».

(168) في الأصل « خماميلي » وهو تصحيف . والمصطلح يوناني أصله (Khamaimêlon) وهو اسم «البابونج» باللغة اليونانية : انظر «الجامع» لابن البيطار ، 46/2 في ط. بولاق ، و6/2 (عدد 745) في الترجمة الفرنسية .

22) بَادَاوَرْد :

(:) « تأويل البَادَاوَرْد بالفارسيّة ريح الوَرْدِ ، وهو العُصْفُر البرّيُّ ، وهو شجَرةٌ صغيرة تعْلُو(169) علَى الأرض ذِرَاعًا (170) وأقلَّ من ذلك . وهي ذاتْ وَرَقٍ أخضَرَ إلى الغُبْرَةِ ولهَا شوْكٌ أبْيَض (...) ولذلك تُسَمَّى الشَّوْكَة البَيْضاء ، ويكُون في وسَطِهَا عُصْفُرٌ وحَوْل العُصْفُر شَوْكٌ وهذا العُصْفُر نفسُه هو البَاد اورْد وهو المسْتَعْمَل في الأدْوِية ، رائِحَتُه مثل رائحة الورْدِ وطعْمُه فيه مرارةٌ » ـــ الاعتماد ، ص 134ظ .

(×) من الفارسية « بَادْ آوَرْد » .

(=) أدّي شير ، ص 15 ؛ تحفة ، 66 ؛ شرح ، 44 .

23) بَادَرَنْجُونَة :

(:) « البادَرَنْجُونَه هو حَبَق التُّرنْجَانِ وجَالينوس يُسَمِّيه « مُفَرِّج قلْبِ المحْزون » (171) . وهو شجَرةٌ ذات ورَقٍ يُسْتَعْمَل منهَا ورقُها ، ولونُها أغبَر وقُضْبَانُها خَوَّارَةٌ ولها رائِحَةٌ تُشْبِه رائحةَ الأتْرنْج » ـــ الاعتماد ، ص 125ظ .

(×) من الفارسية « بَادَرَنْك بُويَهْ » .

(=) دوزي : المستدرك ، 47/1 ؛ أدّي شير ، ص 14 ؛ تحفة ، 72 ؛ شرح ، 40 .

24) [بَاذَروج] :

(:) (لم يُعَرَّف) ـــ طبائع العقاقير ، ص 80ظ .

(×) من الفارسية « بَادْروجْ » .

---

(169) في الأصل « تعلوا » .

(170) في الأصل « ذراع » .

(171) ذهب ابن البيطار في كتاب « الجامع » (74/1 في ط. بولاق) إلى أن « جالينوس لم يذكره في بسائطه البتة » ، أي أن جالينوس لم يتحدث عن هذا النبات .

(=) أدّي شير ، ص 14 ؛ شرح ، 48 .

(٪) هذه المادّة غير واردة في مخطوطة « الاعتماد » .

25) بُرِنْج :

(:) « هُو البِـرَنْـج (172) بالفَارِسيَّة ، وهو حَـبٌ صغيرٌ منَقَّطٌ بِسَوَادٍ وبيَاضٍ مُدَوَّرٌ أملس مثْل قدْرِ حَبِّ المَاشِ ، في طعْمِـه شيْءٌ من مَرَارةٍ ولا رائحَةَ له، وهو المسْتَعْمل في ذاتِـه، يُؤْتَى به من الصّين »— الاعتماد ، ص 162و .

(×) من الفارسية « بِرَنْج » و« بِرُنْج » و« بِرَنْك » .

(=) دوزي : المستدرك ، 79/1 ؛ أدّي شير ، ص 20 ؛ منتخب ، 171 ؛ شرح ، 67 .

26) بَسْبَانَـج :

(:) « هذَا الدّوَاء يسمَّى البَسْبَانَجَ [بالفارسيّة] (173) ، وبالسّريانيَّة « سَكَـارَغَـلاَ » (174) ، وتأويلُـه كثيـر الأرْجُـل ، ولذلك شبَّهَه ديَاسْقُورِيدوس بِالحيَوان المُسَمَّى « أربَعَةً وأربعين » (175) ، والبربَر عندَنَا بإفريقيَّةَ يُسَمُّونَه (176) « تَشْتِيوَان » (177) ، وهو

---

(172) رسم دوزي (المستدرك، 79/1) الأصل الفارسي «برنج» – بكسر فسكون ففتح – و«برنج»، بكسر فضم فسكون .

(173) إضافة يقتضيها السياق .

(174) في الأصل « كسارعلا » ، وهو تصحيف ، والمصطلح سرياني أصله (Sekâ reglâ) : أنظر المنتخب ، 170 ؛ والشرح ، 65 ؛ وكذلك ابن البيطار : الجامع 25/3 في ط. بولاق ، و272/2 (عدد 1203) في الترجمة الفرنسية .

(175) انظر قول ديوسقريديس في « المقالات الخمس » ، ص 370 .

(176) في الأصل « يسموه » .

(177) في الأصل « السيموان » وهو تصحيف ، والاصلاح من كتاب « الجامع » لابن البيطار : 138/1 في ط. بولاق (وقد حرف فرسم « تشيتوار »)، و311/1 (عدد 416) في الترجمة الفرنسية ؛ وانظر كذلك « التحفة » ، 88 . والمطلع بربري .

عُروقٌ تُجْمع في شهْرِيُونِـيـَّة ، دَاخِلُه أخْضَر وخارجُه مزَغَّبٌ بيْن الحُمْرة والسَّواد ، وغِلَظُه مثلَ الخِنْصَر وطعْمُه عَفْصِيٌّ مَائِلٌ إلى الحَلاوَة ، ويَنْبُت على قِشْر شَجَر البَلّوط وعلَى الصَّخْرِ في حَشَف يكُون فَوْق الشّجَرةِ ، ولكلّ عِرْق ورقَةٌ واحِدَة كبيرةٌ عريضَةٌ مُشَقَّقَةٌ صفْرَاء على سَاقٍ ولا نوّارَ لهَا ، والمسْتَعْمَل منه العِرْق » — الاعتماد ، ص 177ظ .

(×) من الفارسية « بَس بَايك » .

(=) أدّي شير ، ص 23 ؛ منتخب ، 170 ؛ شرح ، 65 .

27) بُسَّـد :

(:) « هو المَرْجَان ، وهو أحْمَـر اللَّـوْن ، يُجْلَب من بَحْرِ إفْرَنْجَة (178) ، وهْو شَجَرَةٌ تَنْبُت (179) في البَحْرِ ، ذات أصْلٍ وأغْصَانٍ يَنْبَعِث بعْضها من بَعْضٍ كَمَا تَرَى في أغْصَان الشَّجَرِ » — الاعتماد ، ص 141و .

(×) من الفارسية « بُسَّد » .

(=) أدّي شير ، ص 23 ؛ تحفة ، 73 ؛ شرح ، 45 .

---

(178) في الأصل « ابرنحه » وهو تصحيف ، ومن الغريب أن ابن الجزار لم يشر إلى وجود المرجان في « طبرقة » وفي « مرسى الخرز » القريب منها ، وقد أشار إلى ذلك اغلب الجغرافيين القدامى منذ القرن الرابع الهجري ، فقد ذكره ابن حوقل (ت. بعد 367هـ/977م) في « صورة الأرض » (ط. بيروت ، ص ص 76 – 77) وأبو عبيد البكرى (ت. 487هـ/1094م) في « المغرب » (ص 55) ، والشريف الإدريسي (ت. 560هـ/1165م) في « نزهة المشتاق » (السفر الثالث ص ص 290 – 291) ، وأحمد التيفاشي (ت. 651هـ/1253م) في « أزهار الأفكار في جواهر الأحجار » (ط. مصر 1977 ص ص 180 – 181) ، وابن عبد المنعم الحميري (من القرن الثامن الهجري) في « الروض المعطار في خبر الأقطار » (ط. بيروت ، 1975 – ص 386) .

(179) في الأصل « شجر ينبت » .

28) بُلّ :

(:) « البُلُّ بالهنديَّة ، هي حبَّةٌ سوداء تشبه في خِلْقَتِها الذُّرَةَ ، إلاّ أنَّها أجَلُّ مِنْها ، مَجْرودَة الرأسِ ، وفي دَاخِلِهَا ثمرَة دسِمَةٌ ، والمسْتَعْمَل منها الثمَرَة . يُؤْتَى بِهَا من أرْضِ الهِنْدِ » ــ الاعتماد ، ص 189ظ .

(×) من الفارسية « آبُل » .

(=) أدّي شير ، ص 27 ؛ منتخب ، 125 .

29) بَلاَدر :

(:) « البلاَدر يُسَمَّى بالروميه « أنَقَرْدِيَا » (180) وتأويلُه الشبيهُ بالقَلْبِ ، وهو ثَمَرُ شجَرةٍ يُشْبِهُ قُلُوبَ الطيْرِ ولوْنُه أحْمَر إلَى السَّوادِ ، علَى لوْنِ القَلْبِ ، وداخلُه شبيهٌ بالدَّمِ ، ومذَاقُه يُعْقِب دَبِيبًا (181) وحرارَةً باطِنةً في اللسَان ، وهيَ في ذَاتِهَا (182) المستَعْمَلَة ، يُؤْتَى بهَا من الصِّين ، وقد يَنْبُت (183) في صقليَّة في جِبَالِ النَّار » ــ الاعتماد ، ص 203و .

(×) من الفارسية « بَلاَدَر » .

(=) أدّي شير ، ص 25 ؛ منتخب ، 126 .

30) بَلَسَان :

(:) « شجَرة البَلَسَان منبتُها بأرْضِ الشَّام خاصَّةً ، وهي تَعْلُو (184) على الأرض قدرَ ذرَاع وأقلَّ وأكثرَ (...)، ولهَا وَرَقٌ أخْضَرُ

(180) في الأصل « الفرد » وهو تصحيف ، وقد أورد ابن البيطار هذا التفسير منسوبا إلى ابن الجزار : انظر الجامع ، 113/1 في ط. بولاق) ، و« أنقرديا » مصطلح يوناني أصله : (Anakardia)

(181) في الأصل « تعقب لدبيب » .

(182) الضمير يعود على « الثمر » .

(183) الضمير يعود على « البلادر » .

(184) في الأصل « تعلوا » .

دقيق يُشْبِه ورقَ صغارِ الخِلاَف (...) ، وفي رؤوس أغصانِها عناقيدُ فيها حبٌّ في قدْر الفُلفُل ، أقلُّ سوَادًا من الفلْفل » ــ الاعتماد ، ص ص 144ظ ــ 145و .

(×) من اليونانية (Balsamon).

(=) منتخب ، 117 ؛ اليسوعي : غرائب ، ص 255 .

31) بَلِيلَج :

(:) « ثمَرتُه تكون خضراءَ ، فتَرُض وتُجفَّف فتَصْفَرُّ ، وطعمُه مرٌّ عَفِص ، والمستعْمَل منْه أيضًا (185) الذي علَى النَّوَى » ــ الاعتماد ، ص 117ظ .

(×) من الفارسية « بَلِيلَه » .

(=) أدّي شير ، ص 27 ؛ منتخب ، 124 .

(٪) هذه المادة وردت في الكتاب مع « الأملج » ، انظر هذه المادة فيما سبق ، عدد 14 .

32) بَنْج :

(:) « البَنْج هو زَرِيعَة السَّيْكَرَانِ ، وهو حبٌّ صغيرٌ ، فمنه أبيض ومنْه أحْمرُ ومنْه أسْوَدُ ، وشَجرَتُه تَعْلُو (186) على الأرْض ذرَاعًا وأكثرَ من ذلكَ ، لها ورَق وأغصَان ، فورقُها كبيرٌ أحرش مزغَّبٌ في قَدْرِ الخِطْمِي ، وأغصَانُها (187) غُبْرٌ حُرْشٌ ، ولهَا نوَّار أصفَر يُشْبه نوَّارَ قُثَّاءِ الحِمَارِ ، في أصل كلّ نوَّارة ورقَةٌ ، فإذَا سقَط النوَّار خرَجَ

---

(185) أي مثل « الاملج » الذي ورد مع « البليلج » ، في نفس المادة في الكتاب .

(186) في الأصل « تعلوا » .

(187) في الأصل « واغصانه » .

مكانه غلافٌ ملآن من حبّ صغيرٍ يُشْبِه حبَّ الخشْخَاشِ في القدْرِ ، يَنْبُتُ في الحيطَانِ القديمَة والخَرائِب » ــ الاعتماد ، ص 203و .

(×) من الفارسية « بَنْك » .

(=) أدّي شير ، ص 27 ؛ تحفة ، 77 ؛ شرح ، 58 .

33) بَنَفْسَج :

(:) « شَجَرة البنفْسَج ذات قُضْبانٍ تُشْبِه العُلَّيْقَ وتفترش مع الأرض وورقُها يشبه ورقَ الخيَار ، أخضَر مُتمطِّطٌ ، ونوّاره سماوِيّ يُجْمَع في نيْسَان » ــ الاعتماد ، ص 115و .

(×) من الفارسية « بَنَفْشَه » .

(=) الجواليقي : المعرّب ، ص 127 ؛ أدّي شير ، ص 28 ؛ تحفه ، 63؛ المنجد : المفصل ، ص 16 .

34) بَهْمَن :

(:) « البَهْمَن ضربَان : أحمر وأبيض ، وهما جميعًا عُروق في قدْرِ (54) الجزَرِ الصّغَارِ ، وكثيرًا ما تكُون (188) مفتولةً مُعْوَجَّةً ، فالأحمر منهما أحمَر القشْر إلى السَّوادِ ، وداخلُه أقلّ حمرةً من ظاهرِه ، والأبيض منهما أبيض القِشْر والدّاخِلِ ، ومذاقَتُهُما (189) جميعًا طيِّبةٌ لزِجَةٌ ، ورَائِحَتُهما (190) فِيهَا شيْءٌ من طيب ، يؤتى بهما (191) من أرض ارمينية ومن أرض خراسان » ــ الاعتماد ، ص 158ظ .

---

(188) في الأصل « ومنه ما يكون » وهو تصحيف ، والاصلاح من فقرة أوردها ابن البيطار منسوبة إلى اسحاق بن عمران الذي كان ابن الجزار كثير النقل عنه والاعتماد عليه : انظر الجامع ، 121/1 – 122 من ط. بولاق .

(189) في الأصل « وهذا فيهما » وهو تصحيف

(190) في الأصل « وارانحتها » .

(×) من الفارسية « بَهْمَن » .
(=) أدّي شير ، ص 30 ؛ شرح ، 50 .

35) بُــورَق :

(:) « البُورَق صنُوفٌ : فمنه البُورَق الأرْمنيُّ يؤتى به من أرْمينيةَ ، وأجودُهُ ما يكون منه خَفِـيفًا (...) سريعَ التفتُّت ، في لونِه مثلُ لوْنِ الفِـرْفِـيـر (...) ، ومنْـه صنف آخـر يقـالُ له النطْـرونـيُّ يؤتى به من الواحَاتِ (192) مِنْه (193) أبيَض ومنه أحمَر يُشْبِه الملحَ المَعْدنِـيَّ ومذَاقَتُه ما بيْنَ الملوحَة والحمُوضَة » ــ الاعتماد ، ص 210ظ .
(×) من الفارسيَّة « بُورَهْ » .
(=) أدّي شير ، ص 20 ؛ تحفه ، 92 ؛ شرح ، 51 .

36) تَرنْجُبِـيل :

(:) « التَّرَنْجُبِـيـل طَلٌ يقَع من السماءِ ، وهو ندًى شبيه بالعسَل جامد متحبِّب ، وتأويل الترنْجُبِـيلِ عسَل النَّدَى ، وأكثَر ما يقَع على شجَرة الحَاجِ (194) والحَاج (194) شجَر يَنْبُت بالشَّامِ وخراسَانَ ذُو (195) ورَقٍ أخضَرَ وشوْكٍ أخضرَ ونوَّارٍ أحمرَ لاَ يثمِر وقدْ يقَع بقصطِـيلْيَه (196) على سَعَفِ النّخْل » ــ الاعتماد ، ص 120و .

(191) في الأصل « بها » .
(192) في الأصل « اللواحات » .
(193) في الأصل « فمنه » .
(194) في الأصل « الخاخ » وهو تصحيف ، والاصلاح من فقرة أوردها ابن البيطار (الجامع ، 137/1 في ط. بولاق ، و308/1 (عدد 408) في الترجمة الفرنسية) منسوبة إلى اسحاق بن عمران في مادة « ترنجبين » .
(195) في الأصل « ذات » .
(196) هي مدينـة تونسيـة كانت في القديم الإسم الذي تعرف به منطقـة توزر ونفطة في الجريد التونسي ، وقد ذكر أبو عبيد البكري في « المغرب » (ص 49) أن هذا الطل يقع في توزر .

(×) من الفارسية « تَرَنْكُبِين » .

(=) أدّي شير ، ص 35 ؛ شرح ، 166و 386 .

37) تَنْكَار :

(:) « التنْكَار ملح ، يُوجَد فيه طعْم البُورَق ، ويشُوبُه شيْء يَسِير من مرارَةٍ » — الاعتماد ، ص 210و .

(×) من الفارسية « تَنْكَار » .

(=) أدّي شير ، ص 36 ؛ تحفه ، 401 ؛ شرح ، 383 .

38) تُوتِيا :

(:) « التُّوتِيَا بالهنديَّة ، وبالسُّريانية الطُّوطْوَة ، وهوّ القَدمْيَة (197) [بالروميّة] (198) ، وهو ثلاثة أجْنَاسٍ : فمنه الهندي وهو حَجَرٌ رقيق أبيَض كَامِد اللوْن بارد المذَاقِ نَاشِف ، ومعَادنُه على سواحِل بَحْرِ الهِنْدِ ، وأجْوَده الأبيَض الذي يرَاه الناظر كَأَنَّ عليه مِلْحًا ؛ ومنه صِنْف آخر يُقَال له التوتيا البحْريُّ ، وهو حجَر أخضَر أحرَش مُثَقَّب يؤْتَى به من بحْرِ الصّينِ ؛ ومنه التوتيا المحمُوديُّ يكون بالشَّام وإفريقيّةَ وبتونسَ وبالأندَلُسِ ، وهو حَجر أبيض ملمَّع مرصَّص ثَقِيل ، وبه يُصْنَع النحَاسُ حتَّى يصيرَ أصْفَر (199) » — الاعتماد ، ص 213ظ .

(×) من الفارسية « تُوتْيَا » .

(=) الجواليقي : المعرّب ، ص 136 ؛ شرح ، 382 .

---

(197) في الأصل « الفدمنه » وهو تصحيف ، والإصلاح من « الشرح » (الفقرة 382) حيث ذكر ابن ميمون أن التوتيا تسمى « قدميا » والمصطلح يوناني أصله : (Kadméia).

(198) إضافة يقتضيها السياق .

(199) في الأصل « اصفرا » .

39) جِبْس :

(:) « الجِبْس هو الجِصُّ ، وهو حجر رَخو براق أبيَض ، ومنه أحمَر ، ومنْه مُمْتَزِج بِهِما ، ويُسمَّى بافْرِيقيَّة « جِبْسَ الفرّانِين » — الاعتماد ، ص 214ظ .

(×) من اليونانية (Gypsos).

(=) أدّي شير ، ص 38 ؛ منتخب ، 225 ؛ شرح ، 78 .

40) جُلّنَار :

(:) « الجُلّنَار هو البَلَسْطِيُون (200) بالرُّومية، وهو الرّمان الذّكَر الصّغير الذي لا حبَّ لَه ، ويُجَفَّف ويُسْتَعْمل ، وزعمَ إسْحاق (201) أنَّ الجُلّنارَ على الحقِيقَة هو زهر الرُّمانِ البرّيّ » — الاعتماد ، ص 171و .

(×) من الفارسية «كُلْ انَارْ» .

(=) أدّي شير ، ص 43 ؛ تحفة ، 94 ؛ منتخب ، 194 ؛ شرح ، 75 .

41) جَنْطِيَانَا :

(:) « الجَنْطِيَانَا بالرُّوميَّة ، وهو صِنْفَان ، فصنف منه هو « البشلِشْكَة » (202) بالأندلسِ ، وهو بالروميَّة « البسلَسْقَان » (203) وهو شَجر ينبت في الجبَالِ والمواضِع البارِدَة النديَّة الثَّلِجَةِ . والمسْتَعْمَل

(200) في الأصل « القسلطيون » ، وهو تحريف ، والمصطلح يوناني أصله : (Balaustion) وهو إسم الجلنار باليونانية .

(201) لا نعرف المعني بالضبط هنا ، هل هو اسحاق بن عمران الذي كان ابن الجزار كثير النقل عنه أم هو اسحاق بن سليمان الإسرائيلي الذي كان أستاذ ابن الجزار .

(202) في الاصل « السلشكة » وهو تصحيف ، والبشلشكة مصطلح لاتيني أصله (Basilisca) : انظر سيمونيت : المعجم ، ص 43 .

(203) في الأصل « البسلسفر » وهو تصحيف ، والمصطلح يوناني أصله : (Basiliskon) : انظر المنتخب ، ص 413 من الترجمة الانقليزية .

منهَا عِرْقُها ، وعرْقُها أصْفَر مثلَ الجزَرِ ويُشْبِهُ الزّراوَنْدَ الطويلَ ، وهو مر شديد المرارة ، وهي « الجَنْطِيَانا الرّوميُّ » ، والصنف الثاني « الجَنْطِيَانَا الْجرْمقَانِيُّ » (204) وهيَ تُشْبِه « حُمّاضَ البَقَر » ، وعرقُه أسْود فِيه شيْء من مرَارةٍ مِثْلَ صَغِيرِ الجزَرِ في القَدْر والمستعمل منْه العِرْق . يَنْبُتُ في المروج والمَواضِع المائيَّة » — الاعتماد ، ص 174ظ .

(×) من اليونانية (Gentianê).

(=) سِيمونيت : المعجم ، ص 281 ؛ تحفة ، 102 ؛ منتخب ، 204 ؛ شرح ، 77 .

42) جوَاشِير :

(:) هو صمغ أحمر إلَى السواد ، فيه مرارة ، ورائِحتُه منتّنَة ، يُؤْتَى به من أرْضِ فارِس » — الاعتماد ، ص ص 186و — 186ظ .

(×) من الفارسيّة « كَاوْشِير » .

(=) البيروني : صيدنة ، ص 130 ؛ أدْي شير ، ص 48 ؛ تحفة 108 ؛ منتخب ، 206 ؛ شرح ، 76 .

43) جوْزبُوَا :

(:) « جَوْزبُوَا يُجْلَب من الهنْد » (205) — الاعتماد ، ص 143و .

---

(204) في الأصل « الحرمقاني » ، وقد أورد الغافقي نفس المصطلح في مادة « جنطيانا » (الفقرة 204) ورسم عنده « الجرمقاني » ، وورد عند ابن البيطار أيضا ، ورسم في ط. بولاق « الجرمعاني » (170/1) و« الخرمقاني » في الترجمة الفرنسية (370/1 عدد 515). وقد وجد لكلرك في بعض الأصول المخطوطة التي اعتمدها في ترجمة « الجامع » رسم «الجرمقاني» أيضا وقد ذهبنا هنا مع هذا الرسم لأنه الأدق فيما يبدو ، وقد وجد مترجما « المنتخب » ما يؤيده عند ياقوت الحموي الذي تحدث عن بلدة تدعى « شرمقان » (أو جرمقان) توجد في جبال خراسان من بلاد فارس وقد اعتبرا هذا المصطلح نسبة إلى ذلك البلد (انظر تعاليق المترجمين على مادة جنطيانا عدد 204) في « المنتخب » .

(205) في الأصل « الجلند » وهو تصحيف ، ومن المعلوم أن هذا الدواء يجلب قديما من الهند (انظر ابن البيطار : الجامع ، 175/1 في ط. بولاق) .

(×) من الفارسية « كُوزْبُويَا » .

(=) البيروني : صيدنة ، ص 143 ؛ أدّي شير ، ص 48 ؛ تحفة ، 98 ؛ منتخب ، 193 ؛ شرح ، 71 .

44) جَوْزجَنْـدم :

(:) « الجَوْزجَنْدَم (206) هي تربَة متحبِّبَة مثلَ الحمِّصِ ، بيضاء إلى الصّفرة يُؤْتَى بها من بَرْقَةَ ومن خُراسَانَ ، وهي التي يُشَدُّ بها نَبِيذ العَسَل ويُقَال لهَا « الترْبَة » وسماها بعض الأطباء « بهـقَ الحَجَر » (207) » — الاعتماد ، ص 127ظ .

(×) من الفارسية « كُوزْكَنْدَم » .

(=) البيروني : صيدنة ، ص 326 ؛ دوزى : المستدرك ، 233/1 ؛ أدّي شير ، ص 48 ؛ منتخب ، 222 ؛ شرح ، 69 .

45) حَمَامَـا :

(:) « الحَمَامَا حشيشة تفْتَرِش [الأرضَ] (208) ، ذات أغصان ووَرَقٍ ، أغصانُها قدْر شِبْرٍ ، تكون في منْشئِها حمْرَاءَ (209) ملمَّعَةً بسوادٍ ثم تَسْوَدّ كنَحْوِ قُضْبَانِ الرّجْلَة ، وورقُها أحمر صغيرٌ رَقِيقٌ خفيفٌ إذَا يَبِسَ ، وزعم دِيَاسْقُوريدوس أنَّ الحَمَامَا شجَرة كأنها عنْقُودٌ (210) من خشَبٍ مُشْتَبِكَةٌ بعْضهَا ببعْضٍ ، قال : وأجودُهَا

---

(206) في الأصل « جوز حندم » بالحاء المهملة في « جندم » وهو تصحيف .

(207) لاشك أنه يعني بـ« بعض الأطباء » أستاذه اسحاق بن سليمان الإسرائيلي ، فقد ذكر ابن البيطار في « الجامع » (122/1 في ط. بـولاق) : « بهق الحجـر هو الجوز جندم عن الاسرائيلي وغيره من الأطباء » .

(208) إضافة يقتضيها السياق .

(209) في الأصل « حمرة » .

(210) في الأصل « عقود » ، والاصلاح من « المقالات الخمس » .

ما كَانَ مجْلُوبًا من أرْمينيّةَ لونُه شبيهٌ بلَوْن الذهَب ولون خَشَبِه إلى لَوْن اليَاقُوتِ مَا هُو، طيب الرّائحَةِ (211) » — الاعتماد ، ص 193و .

(×) من اليونانية (Amômon).

(=) تحفة ، 165 .

46) خُولَنْجَان :

(:) « الخولَنْجَان يُسَمَّى بالفارسيَّة « الخسْرواداَر » (212) ، وهو عُروقٌ (213) في نحْو غِلَظِ السَّلِيخَةِ مُتَشَعِّبَةٌ (214) قشرها أحمَر وداخلُها أبْيَض إلى الغُبْرَةِ وهو المستعمل منها في نفسِه ، يُؤْتَى به من الصِّينِ » — الاعتماد ، ص 185و .

(×) من الفارسية « خُولَنْجَان » .

(=) أدّي شير ، ص 57 ؛ تحفة ، 411 ؛ شرح ، 398 .

47) خِيَار شَنْبَر :

(:) « هو قَصَبٌ (215) [ذو] (216) أنَابِيبَ (217) ، لونُه أحْمَر إلى السَّواد وفي داخلِه طبقاتُ لُبٍّ سُودٌ حُلْوة معسَّلَةٌ وبين كل طبقتَيْن

(211) انظر قول ديوسقريديس في « المقالات الخمس » ، ص 24 .

(212) المصطلح فارسي أصله « خسرودارو » : انظر أدي شير ، ص 51 ، وشرح ، 398 .

(213) في الأصل « عرق » وهو تصحيف .

(214) في الأصل « متسعة » ، وهو تصحيف ، والاصلاح من كتاب « الجامع » لابن البيطار (79/2 في ط. بولاق) .

(215) في الأصل « قلب » وهو تصحيف ، وقد أصلحناه بما يقتضيه سياق بقية الفقرة .

(216) إضافة يقتضيها السياق .

(217) في الأصل « النابيت » وهو تصحيف ، وابن الجزار ينقل هنا عن أستاذه إسحاق بن سليمان كما تدل على ذلك فقرة أوردها له ابن البيطار في « الجامع » (81/2 ط. بولاق) ، ومنها أصلحنا هذه اللفظة .

نَوّارٌ كنوّارِ الخَرُّوبِ في القَدْر ، وهو بيْنَ الصُّفرة والحُمْرة ، والمستعمل منه تلك الطبقات التي في داخِلِ هذه القصبةِ دون نوارِه ، وقصبهُ يُؤتَى به من أرْض الهِنْد ومنْ كابُلَ ومن أرْضِ البصْرة وأرْضِ اليمَنِ » — الاعتماد ، ص 120و .

(×) من الفارسية « خِيَار جَنْبَر » .

(=) دوزي : المستدرك ، 789/1 ؛ أدّي شير ، ص 59 ؛ شرح ، 387 .

48) خِيري :

(:) « الخِيري صِنْفَان : صِنْفٌ (218) منْه [له] (219) نوّارٌ أصْفَر ، وصنفٌ منه [نوّاره] (220) بنفْسَجِيٌّ يشْبِه لون نوّارِ البنفْسَجِ . ووَرَق الصنفيْن طويلٌ يُشْبِه ورَق الخِلافِ ، ولهُما (221) جميعًا (222) حَب صغير أغبَر في مزَاودَ رِقَاقٍ » — الاعتماد ، ص 150و .

(×) من الفارسية « خِيرو » .

(=) أدّي شير ، ص 59 ؛ تحفة ، 422 ؛ شرح ، 394 ؛ المنجد : المفصّل ، ص 30 .

49) دَارْشِيشِعَان :

(:) « الدارْشِيشِعَان شجَرة ذَات غِلَظٍ ، تُعَدُّ (223) لغِلَظِهَا (224) في عِدَادِ (225) الأشجَارِ الغَلِيظَة الخَشَبِ ، وزعَم

(218) في الأصل « الصنف » .
(219) إضافة يقتضيها السياق .
(220) إضافة يقتضيها السياق .
(221) في الأصل « ولها » .
(222) في الأصل « جميع » .
(223) في الأصل « يعد » .
(224) في الأصل « غلظها » .
(225) في الأصل « عدد » .

دياسْقُوريدوس أنَّ الجيِّدَ منْه ما كان رَزيناً كثيفاً وإذا قُشِرَ كانَ لونُه أحمرَ مائِلاً (226) إلى لوْنِ الدّمِ وإلى الفرْفيريَّةِ ولَه رائحة طيّبة وفي طعْمِه مرَارَةٌ (227) » — الاعتماد ، ص 202ظ .

(×) من الفارسية « دَارْشيشَغَان » .

(=) أدّي شير ، ص 60 ؛ تحفة ، 113 ؛ منتخب ، 233 ؛ شرح ، 88 .

50) دَارَصِيني :

(:) « الدّارَصيني أربعَة أصْنَافٍ ، وهيَ كلُّها لِحَاء شجَرةٍ ، فصنْفٌ منْها يقال له « الدارَصِيني علَى الحقيقة » وهو بالرّوميَّة « قِنّامُمُونْ » (228) . وبالبرْبَريَّة « اسطاحس » (229) ، ويكُون علَى نحْوِ الحَصَى ، ولوْن سطحه يقرب من لوْن سَطْحِ السَّلِيخَة الحمْراءِ ، وطعمُه فيه حَرَافَةٌ ، مع يَسير مِنْ قَبْضٍ مع دهْنِيَّةٍ فيه تَظْهَر عندَ مَضْغِه وذَوْقه ، وإذا شُمَّ بَعْدَ المضْغ ظهر منْه شيْءٌ من رَائحَة الزعفرَان . وصنْفٌ آخر يُقَال له « دَارَصوص » ، وهو أنَابِيب طِوَالٌ رِقَاقٌ حادَّةٌ (230) حُلْوَةٌ يدْخُل بَعْضُها في بعْضٍ وهو الدّارصيني الدُّون ، رائحتُه وطعْمُه مشاكلاَن لرائحَة القرْفَةِ علَى الحقيقة في ذكائها وعطريّتِها وحِدّتِها وحَرَافتِهَا وطَعْمِها . وصِنْفٌ منها اخَر وهي قِرفَة العامَّة ، منها غَلِيظٌ ودقيقٌ بَاطِنُه أحمَر أمْلَس مَائِل

---

(226) في الأصل « مائل » .
(227) انظر قول ديوسقريديس في « المقالات الخمس » ص ص 29 — 30 .
(228) في الأصل « شاميه » وهو تصحيف ، والمصطلح يوناني أصله : (Kinnamômon)
(229) كذا في الأصل ، ولم نعثر على هذا المصطلح عند غير ابن الجزار .
(230) في الأصل « حارة » .

إلى الحَلاوة وظاهره خَشِن [أحْمَر اللّوْن إلى البياض قَليلاً] (231) على لوْن قِشْر السَّليخَة ورائحتُه ذَكيَّةٌ [عَطِرة وفي طعْمِها حِدة] (232) وحَرَافَة مع عُذوبَة يَسيرَة . وصنْفٌ آخَر [وهي قِرْفَة القَرَنفُل] (233) وهي إلى السَّواد مَا هِيَ وجسْمُها [رقيقٌ صلْبٌ ليْس] (234)فيه شَيْءٌ من التخلخل ، ورَائِحَتُها وطعْمُها شبِيهَان بطعْم (235) القرنْفُل ورَائحتِه ، وقوة هذه القِرفَة وفعْلُها كقوة القرنْفل وفِعْله إلا أنّ القرنْفلَ أقْوَى قَليلاً لأنّ الحرَافَةَ والحِدةَ فيه أكثر وعليْه أغْلب . يُؤْتَى به من الصّين » — الاعتماد ، ص ص 176و — 176ظ .

(×) من الفارسية « دَارَجِينِي » .

(=) أدّي شير ، ص 60 ؛ تحفة ، 112 ؛ منتخب ، 232 ؛ شرح ، 95 .

51) دَارْ فُلْفُل :

(:) (لم يعَرِّفْه) — الاعتماد ، ص 176و .

(×) من الفارسية « دَارْ بُلْبُل » .

(=) البيروني : صيْدنة ، ص 188 ؛ أدّي شير ، ص 68 .

---

(231) أعلى الصفحة 176 ظ من مصورة المخطوط ممحو في بداية الأسطر الأربعة الأولى ، وقد أتممنا النقص هنا اعتمادا على فقرة مطولة لاسحاق بن سليمان الاسرائيلي أوردها ابن البيطار في كتاب « الجامع » (83/2 في ط. بولاق) ، وقد تبين لنا — بالمقارنة — أن ابن الجزار قد اعتمد في تعريفه هنا قول الاسرائيلي اعتمادا يكاد يكون كليا وقد كنا قمنا بتحقيق هذه الفقرة في بحثنا « المصادر التونسية » ، 127/2 .

(232) انظر التعليق السابق .

(233) انظر التعليق 231 .

(234) انظر التعليق 231 .

(235) يغلب على الكلمة الطمس في الأصل .

52) دَرْدَار :

(:) « الدرْدَار يُسَمَّى بالعِراقِ شجَرةَ البَقِّ » — الاعتماد ، ص 135و .

(×) من الفارسيّة « دَرْدَار » .

(=) البيروني : صيدنة ، ص 397 ؛ أدّي شير ، ص 61 ؛ منتخب ، 235 ؛ شرح ، 91 .

53) دَرْوَنْج :

(:) « الدَّرْوَنْج هُو « الجَادْوَار » (236) بالفارسيَّةِ ، وهو عُروقٌ بِيضٌ رِقَاق في نَحْوِ عُرُوقِ قُضْبَانِ العُصَّابِ ، يُؤْتَى بها من الصّين ، وهي في ذَاتِها المستعملَة » — الاعتماد ، ص ص 188و — 188ظ .

(×) من الفارسية « دَر ونِكْ » .

(=) أدّي شير ، ص 62 ؛ تحفة ، 119 ؛ منتخب ، 242 .

54) دِفْلاَ :

(:) « الدّفْلاَ هو « الهَزَهرَج » بالفارسيَّة ، ومن النّاسِ من يُسمّيه « رَوْدود » ، وهو شجَر كَبيرٌ يعْلُو (237) على الأرْض نحوَ القامَة وأكْثرَ ، وله قُضْبانٌ طِوالٌ رِقَاق لوْنُها ما بيْن البياضِ إلى الغُبْرةِ ، وله ورقٌ أخْضَر طَويلٌ ، وله نوَّارٌ صغير أحمَر ورْدِيٌّ يسْقُط وتَخلُفُه مزَاوِد طِوالٌ تُشْبه في شكْلِها بالخرُّوبِ الشاميّ ، في جوْفه شيْءٌ يُشْبه بالصُّوفِ » — الاعتماد ، ص 198ظ .

(236) في الأصل « الحادكوا » وهو تصحيف والاصلاح من « المستدرك » لدوزي ، 438/1 . و« جادوار » مصطلح فارسي أصله « زدوار » ، انظر : تحفة ،110 ؛ منتخب ، 205 ؛ شرح ، 81 .

(237) في الأصل « يعلوا » .

(×) من اليونانية (Daphnê).

(=) دوزي : الألفاظ الأسبَانية ، ص 44 ؛ منتخب ، 248 ؛ شرح ، 99 .

55) دَهْنَـج :

(:) « هو حَجَر أخضَرُ في لوْن الزّبرْجَد ، وزَعَم أرِسْطَاطَالِيس أنَّ تكْوِينَه [معَ] (238) النحَاس ِ في مَعْد ِنه. [وتَكوُّنُه أنَّ نُحَاسَه إذَا تَحَجَّر في معْد ِنه ارتفع له بخارٌ من الكبْرِيتِ المتَولّد فيه ِ مثل الزنْجار ، فإذا صار] (239) إلى موْضِع ٍ تَضمُّه الأرض (240) يتكاثَف ذلك النحاس بعضه على بَعْض ٍ ثم يَتَجَسَّد حَجَرًا . وهو ألوان كثيرةٌ : فمنه الأخضر الشديد الخُضْرة ومنه المُوشّى كأنّه الوشْي ومنه علَى لوْن ِ ريش ِ الطاوس ِ ومنه الكَمِد ومنه ما بيْن ذلِك ، وربّما أصبْت هذه الألوان في حَجَر ٍ واحِد ٍ يخْرطُه الخرّاطُون فيخْرج منه ألْوَانٌ كثيرَةٌ من حجَر ٍ [وَاحِد ٍ] (241) وذلك علَى قَدْر ِ تكْوينه في الأرْض طبقةٌ بعْدَ طبَقة ٍ ، وليس يُصَاب هذا الحَجَر إلاَّ في معَادِن ِ النحَاس كما لاَ يُصَاب الزبرْجَد إلاَّ في معَادِن ِ الذهَب ِ (242) » ـ الاعتماد ، ص 215و.

(×) من الفارسية « دَهْنَـهْ » .

(=) دوزي : المستدرك ، 468/1 ؛ أدّي شير ، ص 68 .

---

(238) إضافة يقتضيها السياق .

(239) قد أورد ابن البيطار في « الجامع » (117/2 ـ 118) فقرة أرسطو كاملة ومنه أصلحنا النقص الموجود في فقرة ابن الجزار هذه .

(240) في الأصل « يظهر أرض » .

(241) إضافة من ابن البيطار (انظر التعليق 239) .

(242) إلى هنا ينتهي نقل ابن الجزار عن أرسطو .

56) دَوْقُـــو :

(:) « الدَّوْقُو هو بَزْرُ الجَزَرِ البرّيّ » ــ الاعتماد ، ص 180و .

(×) من اليونانية (Daukos).

(=) دوزي : المستدرك ، 476/1 ؛ سيمونيت : المعجم ، ص 171 ؛ تحفة ، 114 ؛ منتخب ، 244 ؛ شرح ، 94 .

57) رَازِيَانَـــج :

(:) « الرازِيَانَج هو « الشَّمار » وهو « الشُّومَرُ » ، وهو بالفَارسيَّة « البَـرْهِلِيـَـا » (243) وهو ضرْبـان : بستانـيّ وبـرّيّ » ــ الاعتمـاد ، ص 166ظ .

(×) من الفارسية « رَازْيَانَـهْ » .

(=) أدّي شير ، ص 70 ؛ شرح ، 351 .

58) رَاسَـــن :

(:) « الراسَن يُعْرَف بالزنجبيلِ البسْتَاني ، ويُسَمَّى أيضًا الزنْجَبِيـل الشامِـيّ ، وهو حشيشةٌ تُزرَع ، يَعْلُو (244) ورقُها على الأرض قدْرَ شبْرٍ ، ولها ورَق كبير أخضَر أحرَش مذاقتُه مرّة بِحرَافَةٍ ، ولهَا عروق غِلاَظٌ سُودٌ رَخْصَةٌ وعروقُها هي المسْتَعْمَلَة ، وتُجْمَع في حُزَيْرَانَ » ــ الاعتماد ، ص 175ظ .

(×) من الفارسيَّة « رَاسَـن » .

(=) أدّي شير ، ص 72 ؛ تحفة ، 356 .

---

(243) كذا في الأصل ، والصواب أن « برهليا » مصطلح سرياني يطلق على بزر الرازيانج : انظر ابن البيطار : الجامع ، 89/1 في ط. بولاق ، ودوزي : المستدرك ، 79/1 .

(244) في الأصل « يعلوا » .

59) رَامَـك :

(:) « الرامَك يُتَّخَذ من ضروبٍ : منه ما يُتَّخَذ من الملْحِ ومنه ما يتَّخَذ من العَفْصِ (...) . وَمِنَ الرَّامَكِ يُعْمَلُ السُّكُّ . » — الاعتماد ، ص 148ظ .

(×) من الفارسية « رَامِك » .

(=) البيروني : صيدنة ، ص 224 ؛ **تحفة** ، 360 .

60) رَاوَنْـد :

(:) « ويقال بالفارسيَّة « الأورْبُـوه » (245) ، وهو عُروقٌ ، منه صينيٌّ يكون عريضًا مثلَ الكفّ (...) ، ومن الراونْدِ شَامِيٌّ ويكون مثلَ الجوْز ، داخلُه أصفر إلى السّوادِ وظاهره (246) أغْبَرَ كَمِدٌ (247) » — الاعتماد ، ص 141و .

(×) من الفارسية « رَاوَنْـد » .

(=) أدّي شير ، ص 74 ؛ **تحفة** ، 355 .

61) رِيبَـاس (248) :

(:) « الريبَـاس (248) بقْلَـةٌ ذات عَسَالِيجَ غضَّةٍ حُمْرٍ إلى الصُّفْرةِ لهَا وَرَقٌ عريضٌ مُدَوَّرٌ كَبِيرٌ أخْضَر وطعْم عَسَالِيجِهَا حُلْوٌ بحُمُوضَةٍ » — الاعتماد ، ص 148و .

---

(245) كذا في الأصل ، ولم نعثر على هذا المصطلح عند غير ابن الجزار .

(246) في الأصل « داخله » وهو تصحيف ، والاصلاح من كتاب « الجامع » لابن البيطار 131/2 في ط. بولاق .

(247) في الأصل « كانه » وهو تصحيف ، والاصلاح من كتاب « الجامع » أيضا .

(248) في الأصل « ريامن » وهو تصحيف .

(×) من الفارسيّة « رِيبَــاس » .
(=) أدّي شير ، ص ص 70 — 71 ؛ شرح ، 350 .

62) زَاج :

(:) « الزاج ضروبٌ : فمنه القَلْقَطَارِس (249) وهو القَلْقطَارُ وهو الزَّاج العِرَاقِـيُّ (250) . وهو حجر رَخْوٌ أصْفر يُقَال لَه الشَّحِـيرَة (251) ويُقَال له زَاج الأسَاكِفَة (...) . ومن الزَّاج صنْفٌ يقال لَه السّوريُّ يُؤْتَى به من سُورِيَّة من أرْض الشَّام ولوْنُه أسوَد إلَى الصُّفْرَةِ ومذاقَتُه تُشْبِه مَذاقَة القَلْقَطَارِ إلاّ أنّه أصْلب منه (...) . ومن الزَّاج صنْفٌ ثَالِثٌ يُقَال له « القَلْقَدِيس » (252) ، وهو القَلْقَنْت (253) ولونُه أخْضر (...) يُؤْتَى بِه من قُبْرُس (254) وهو الزَّاج الرّوميُّ » — الاعتماد ، ص 212و .
(×) من الفارسيّة « زاك » .
(=) الجواليقي : المعرّب ، ص 217 ؛ أدّي شير ، ص 82 ؛ تحفة ، 144 ؛ شرح ، 140 .

63) زَبَرْجَد :

(:) « زعم أرِسْطَاطَالِيس أنّ الزبَرْجَدَ والزُّمُرُّدَ (255) حَجَرَانِ (256) يَقَعُ عَلَيْهِمَا (257) إسْمان (258) والجنس وَاحِدٌ ،

(249) هو مصطلح يوناني أصله (Khalkatê).
(250) في الأصل « العداني » وهو تصحيف ، والإصلاح من كتاب « الجامع » لابن البيطار : 148/2 — 149 في ط. بولاق ، و193/2 (عدد 1080) في الترجمة الفرنسية ، وقد اعتمدنا ابن البيطار في إصلاح بعض الأخطاء في هذه الفقرة .
(251) في الأصل « السيحرة » وهو تصحيف .
(252) في الأصل « القلقنديس » وهو تصحيف ، والمصطلح يوناني أصله : (Khalkitis) .
(253) في الأصل « القلنقة » وهو تصحيف ، والمصطلح يوناني أصله : (Khalkanthon) .
(254) في الأصل « فيوس » وهو تصحيف .
(255) في الأصل « الرمن » وهو تصحيف ، والملاحظ أن فقرة أرسطو التي أوردها ابن الجزار موجودة كاملة في كتاب « الجامع » لابن البيطار ، 166/2 — 167 في ط. بولاق .
(256) في الأصل « حجارة » .
(257) في الأصل « عليها » .
(258) في الأصل « السمـــان » .

وهو حجَر أخْضَر شديدُ الخُضْرةِ ، وأشدُّها خُضْرةً أجْودُها ، وناضِرُها أجوَدُ من كَمِدِهَا » ــ الاعتماد ، ص 170و .

(×) من الفارسيّة « زَبَرْجَد » .

(=) أدّي شير ، ص 76 ؛ تحفة ، 159 ؛ المنجّد : المفصّل ، ص 40 وص 119 .

64) زَرَاوَنْد :

(:) « هذَا الزرَاوَنْدُ ضرْبَانِ : أحَدُهُما طويل ، والآخر مدوَّر ويقالُ لَه « المدَحْرَج » فالطَّويلُ منه يُعْرفُ بالبربريَّة [بِـ] « شجَرَة بُرُسْتُم » (259) وهو عِرْق طويلٌ مرُّ المذاقَةِ غَلِيظٌ (260) مُخْتَلِفُ الغلَظِ ، والمدَحْرَجُ مثلَ الجِلَّوْزِ لونُه أصْفَر ومذاقَتُه مرّة ورائِحَتُه طَيِّبَةٌ (261) » ــ الاعتماد ، ص 144و .

(×) من الفارسية « زَرَاوِنْد » .

(=) أدّي شير ، ص 79 ؛ تحفة ، 140 ؛ شرح ، 133 .

65) زَرْنَب :

(:) « ... شجَرَتُه (262) يُقَالُ لهَا الزَرْنَب ، تنبُت في لبْنَان بالشَّامِ ، لا تُثْمِرُ ، ورَقُها طويلٌ بيْن الخُضْرة والصُّفْرةِ ، يُشْبِه ورق الْجَلاَّبِ ، ولَوْنُ القضْبان كلَوْنِ الورق ، وتُشْبِه رائحتُهَا رائحة الأتْرنْج ، وتدْخُل أغصَانُها وَوَرَقُها في الطِّيبِ » ــ الاعتماد ، ص 123ظ .

(259) ذكر ابن البيطار (الجامع ، 59/2 و55/3 في ط. بولاق) أن « الزراوند الطويل » يسمي بافريقية « شجرة رستم » .

(260) في الأصل « غليظا » .

(261) في الأصل « مرة طيبة » .

(262) في الأصل « شجرة » .

(×) من الفارسيّة « زَرْنَاب » .

(=) أدّي شير ، ص 78 ؛ تحفة ، 139 ؛ شرح ، 136 .

66) زَرُنْبَاد :

(:) « الزَّرنبَاد هو عُروقٌ مُدَوَّرَةٌ تُشْبِه في تدْويرِها الزَّراوَنْدَ المدَوَّرَ ، ولوْنُه ومذَاقتُه كالزَّنْجَبِيلِ ، وهو المُسْتَعْمَل في نَفْسِه ، يُؤْتَى بِه من أرْضِ الصّين » — الاعتماد ، ص 188ظ .

(×) من الفارسية « زَرُنْبَاد » .

(=) أدّي شير ، ص 78 ؛ تحفة ، 139 ؛ شرح ، 145 .

67) [زَرْنيخ] :

(:) (لم يُعَرَّف) — طبائع العقاقير ، ص 81و .

(×) من اليونانيّة (Arsenikon).

(=) الكرملي : الكلم اليونانية ، 32 ؛ تحفة ، 145 .

(٪) لم ترد هذه المادّة في مخطوطة « الاعتماد » .

68) زَنْجَار :

(:) « الزَّنْجَارُ يُسْتَخْرَجُ من النّحَاسِ الأصْفر (263) بالخَلّ » — الاعتماد ، ص 205ظ .

(×) من الفارسية « زَنْكَار » .

(=) أدّي شير ، ص 80 ؛ تحفة ، 148 .

(263) في الأصل « والصفرة » .

69) زُوفَـا :

(:) الزوفَا هيَ حشـيشَةٌ تَنْبُتُ في جِـبَـالِ بَيْتِ المقْدِسِ ، وتفتَرِشُ أغْصَانُهَا علَى وَجْهِ الأرْضِ الذِّرَاعَ وأقلَّ ، ولهَا ورقٌ وأغصَانٌ ، فوَرَقُها (264) يُشْبِهُ في قَدْرِه ورَقَ المرْزَنْجُوشِ ، ولهَا رَائِحَةٌ طيِّبةٌ وطعْمُه مرٌّ، تُجْمَعُ في أيَّامِ الرَّبيعِ » ـــ الاعتماد، ص ص 182و ـــ 182ظ .

(×) من اليونانيّة (Hyssôpos).

(=) تحفة ، 142 ؛ شرح ، 136 .

70) زُوفَـا (رطب) :

(:) هُوَ شيْءٌ يتعلَّقُ بأذْنَابِ النِّعاجِ الرَّاعِـيَةِ بأرْمينِـيَةَ ، فيصيرُ كَعُالاً فِي أذْنَابِهـا فيُجْمَعُ ، ولوْنُه للسَّوَادِ إلَى الغُبْرَةِ » ـــ الاعتماد ، ص 202ظ .

(×) من اليونانيّة (Oisypos).

(=) تحفة ، 142 ؛ شرح ، 136 .

71) زِيبَـق :

(:) « الزيبَقُ بِالفَارسيَّةِ ، وهو الزَّاوُقُ بالعربيَّة ، وهو شَيْءٌ يُشْبِهُ الفضَّةَ الذَّائِبَـةَ (...) ، يُؤْتَى به من الأندَلُس (...) ، وهو جِنْسٌ من الفِضَّةِ لَوْلاَ أنَّهُ دَخَلَتْ عَلَيْه آفَاتٌ في مَعْدِنه ، وهو صَافٍ في لَوْنِه رَطْبٌ فِـي نَفْسِـه رَزِينٌ في وَزْنِه مُتَدَاخِلَةٌ أجْسَامُه

---

(264) في الأصل « فوقها » .

بَعْضُها في بَعْضٍ ، وهو يَحْمِلُ أجْسَادَ الأحْجَارِ كلِّها ، إلاَّ الذَّهَبَ فإنّه يَغُوص (265) فيه » — الاعتماد ، ص 213و .

(×) من الفارسية « زِيوَهْ » .

(=) الجواليقي : المعرّب ، ص 218 ، أدّي شير ، ص 76 ، تحفة ، 149 ، شرح ، 139 .

72) سَادَج :

(:) « وتَأويلُه « ورَقُ الهِنْدِ » (266) ، وزعم دِيَاسْقُورِيدُوس أنَّ السَّادَج نبات (267) يَنْبُتُ (...) بِمكَانٍ من بِلاَدِ الهِنْدِ وهو ورَقٌ أخضَرُ كَبِيرٌ يظهَرُ على وَجْهِ المَاءِ بِمنْزِلَة عدَسِ المَاءِ ، وهو معْروفٌ بالطُّحْلُبِ ، ولَيْسَ لَهُ عودٌ ولا أصْلٌ (268) » — الاعتماد ، ص 160و .

(×) من الفارسيّة « سَادَهْ » .

(=) الجواليقي : المعرّب ، ص 246 ؛ أدّي شير ، ص 88 ؛ المنجد : المفصَّل ، ص 122 .

73) سَاسَالْيُون (269) :

(:) « السَّاسَّاليُون (269) وهو السَّاسَالِي ، وهو حشيشةٌ تعْلُو (270) علَى الأرْضِ نحوَ الذِّرَاعِ ، وورَقُها أخضرُ إلى الصُّفْرةِ ، ويُشْبِهُ ورَق

(265) في الأصل « يقوى » ، والاصلاح من فقرة لأرسطو أوردها ابن البيطار في « الجامع » (177/2 في ط. بولاق) ، وابن الجزار في هذه الفقرة ينقل عن أرسطو .

(266) كذا في الأصل ، والصواب أن معنى هذا المصطلح بالفارسية « مالا نقش عليه » ، انظر أدي شير ، ص 88 .

(267) في الأصل « نباتا » .

(268) انظر قول ديوسقريديس في « المقالات الخمس » ص ص 19 — 20 .

(269) في الأصل « أساليون » وهو تصحيف .

(270) في الأصل « تعلوا » .

الجَزَرِ في خِلْقَتِه ، وقُضْبَانُه إلَى البيَاضِ غِلاَظٌ تُشْبِهُ قضبَانَ الإسْفنَّارِيَة (...) وطعْمُهَا فيه حلاَوَةٌ بدَسَمٍ وحَرَارَةٌ ، ولهَا نوَّارٌ أبيَضُ حَارّ في مشَمِّه ، ويَكُونُ فيه نَقَارِيسُ (271) فيهَا ثَمَرَةٌ تشْبِهُ ثَمَرَةَ الكَلَخِ ، ولَوْنُه بيْنَ البيَاضِ والصُّفْرةِ » — الاعتماد ، ص 167ظ .

(×) من اليونانية (Séselios).

(=) دوزى : المستدرك ، 713/1 ، شرح ، 196 و283 .

74) سُبَح (272) :

(:) « زعَم أرسْطَاطَاليس أنَّ هذا الحجَر يُؤْتَى به من بِلاَدِ المشْرِقِ ومن بِلاَدِ الهِنْدِ ، وهو أسْودُ شديدُ السَّوادِ ليسَ لَهُ شُفُوفٌ وهو برَّاقٌ رَخْوٌ شَدِيدُ الرخَاوَةِ (273) يتكَسَّرُ سَرِيعًا » — الاعتماد ، ص 138و .

(×) من الفارسيّة « شَبَه » .

(=) الجواليقي : المعرّب ، ص 231 ؛ أدّي شير ، ص 83 ؛ المنجّد : المفصّل ، ص 123 .

75) سَدَاب :

(:) « منهُ البرّيُّ ومنه البسْتَانيُّ (...) ويُسَمَّى الفَيْجَنَ » — الاعتماد ، ص 206ظ .

---

(271) في الأصل « نقارس » ، والنقاريس مفردها « نقريس » وهو « شيء يتخذ على صيغة الورد تغرزه النساء في رؤوسهن للزينة » : اللسان ، 703/3 .

(272) في الأصل « سبح » بالحاء المهملة ، وهو تصحيف .

(273) في الأصل « الرخوة » .

(×) من الفارسيّة « سَـدَاب » .

(=) الجواليقي : المعرّب ، ص 237 ؛ أدّي شير ، ص 88 ؛ تحفة ، 364 .

76) سَــرْو (274) :

(:) « السَّـرْوَ (274) هو شجـرة الأرزِ بالعَـربيَّـةِ ، ويُقَـالُ لهـا بالروميَّةِ « قُـفَـرِسُّسْ » (275) وهو شجَـرٌ عَـظِـيمٌ غَـلِـيظ الخَـشَـبِ أمْلَسُ دَسِمٌ ولَـهُ ورَقٌ كورقِ العَـرْعَـرِ ، ولَـه جَـوْز هو ثـمَـره وهو مِثْلَ صَغِـيرِ الجَـوْزِ ولونُه يشْبِـهُ لوْنَ جَـوْزِ بُـوَا بيْنَ السَّـوَادِ والغُـبْرةِ والبَـيَـاضِ ، ومذَاق ورَقِـه عَـفِـصٌ وكذلك مذَاق جَـوْزِه والمسْتَعْـمَلُ من هذه الشجرَةِ عرُوقـهُا وجوْزُها بمَـا فِـيهِ ويُـجْـمَـعُ جَـوْزها في أوّلِ أيْلُولَ (276) وَقْـتَ قِـطَـافِ العِـنَـبِ » — الاعتماد ، ص 128و .

(×) من الفارسيّة « سَرْو » .

(=) أدّي شير ، ص 90 .

77) سَعْتَــر :

(:) « السَّعْتَــر أصْنَـافٌ : فَـمِـنْـه بـريٌّ ، ومنه بُـسْتَـانِـيٌّ وهو الفَـارِسي ، وهو بالرّوميَّة « أرِغُـونُـسْ » (277) ، وهو دَقِـيقُ الورَقِ طَـوِيلٌ ، ولَـه فَـيْـقَـلَـةٌ فِـي رُؤُوسِ قُـضْبَـانِـه وله نَـوَّارٌ سمَـاويٌّ ؛ ومنْـهُ الصَّغِيرُ الجَـبَلِـيُّ يشْبِـهُ ورَقُـه [وَرَقَ] (278) المرْزَنْجُـوش ؛ ومنْـه السَّعْتَـر

(274) في الأصل « سرواس » وهو تصحيف .

(275) في الأصل « جثرمه » ، والمصطلح يوناني أصله : (Kyparissos) . أنظر تحفة ، 381 .

(276) في الأصل « يلول » .

(277) في الأصل : « اوقوونه » ، والأصل اليوناني لهذا المصطلح هو (Origanos) .

(278) إضافة يقتضيها السياق .

الكَـرْمَـانِـيُّ لَـهُ وَرَقٌ يُشْبِـهُ ورَقَ الإسْفِـنَّارِيَـةِ البُسْتَـانِـيَّـةِ أوْ أصْغَـر قَلِـيـلاً ، ولهُ فَيْـقَـلَـةٌ فِـي رَأْسِ قَـضِـيبٍ رَقِـيقٍ ، وورَقـه بين الخضْرَة والصُّفْـرَةِ » ـ الاعتماد ، ص 184ظ .

(×) من اللاّتينية (Satureia).

(=) دوزي : الألفاظ الأسبانية ، ص 219 ؛ تحفة ، 163 ؛ شرح ، 319 .

78) سَقَمُونْيَـا :

(:) « السقَـمُونْيا هو لبنُ شجَـرَةٍ صغيرَةٍ (279) تعْلُو (280) على الأرض قدْرَ ذِرَاع أو أكْثَر ، ولها أغْصَان كثيرَةٌ ومَخْرَجُها من أصْل واحِدٍ ويَفْتَرِش بعض أغْصانها على الأرض ولها قُضْبان رِقَاقٌ خُضْرٌ مَعْقُـودَةٌ غَضَّـةٌ ، وورَقٌ يُشْبِـه وَرَقَ الشّجَـرة التِـي يُقال لهَا « الحمـارة » (281) ولهـا عـروقٌ غِـلاَظٌ مثْـل الفجْـلِ » ـ الاعتماد ، ص 178و .

(×) من اليونانيـة (Skammônia).

(=) شرح ، 281 .

79) سَكَبِينَـج :

(:) « السَّكَبِـينَـجُ بالفارسيَّة هو « السَّكَبِـينَـهْ » (282) ، وهو صمغٌ يُؤْتَى بِـه من أصفَهان (283) وأجودُه ما كان منْه صافِـيًا وكان خَارِجُه

(279) في الأصل « مغيرة » .
(280) في الأصل « تعلوا » .
(281) كذا في الأصل ، ولم نعثر على هذا المصطلح عند غير ابن الجزار .
(282) في الأصل « السطبنة » وهو تصحيف .
(283) في الأصل « اصفهال » باللام .

أحمر وداخلُه أبيضَ ورائحتُه فيهَا رَائحَةُ الحُلْبَةِ ورَائحَةُ القُنَّةِ حَرِيفٌ دَسِمٌ فِيه شَيْءٌ مِنْ مَرَارَةٍ » — الاعتماد ، ص 186ظ .

(×) من الفارسية « سَكَبِينَه » .

(=) أدّي شير ، ص 92 ؛ تحفة ، 372 ؛ شرح ، 280 .

80) سُنْبَادَج :

(:) « زَعَم أرِسْطَاطَالِيسُ أن (...) مَعَادِنَهُ فِي جزَائِرَ فِي بَحْرِ الصّينِ وهوَ كأنَّه الجِبْسُ مِنَ الرَّملِ » — الاعتماد ، ص 167و .

(×) من الفارسية « سُنْبَادَه » .

(=) البيروني : صيدنة ، ص 238 ؛ أدّي شير ، ص 94 .

81) سَنْدَرُوس :

(:) « السَّنْدَرُوس صمغٌ أصْفَرُ يُشْبِهُ الكَهْرَبَاءَ إلاّ أنّه أرْخَى مِنْه وفيه شَيْءٌ مِن مَرَارَةٍ يُؤْتَى بِه من أرضِ الرُّومِ » — الاعتماد ، ص 125ظ .

(×) من اليونانية (Sandarakhê).

(=) تحفة ، 146 ؛ اليسرعي : غرائب ، ص 260 .

82) سُورَنْجَان :

(:) « السُّورَنْجَانُ عُرُوقٌ بِيضٌ وصُفْرٌ ، وداخِلُها كخَارِجِها . أحَدُ طرفَيْهِ أغْلَظُ من الآخر ، يكونُ قَدْرَ الإبْهَامِ ، تُشْبِهُ فُرُوجَ النسَاءِ ، وإذَا كَانَ أيّامُ الخَرِيف ينبُت له نوّارٌ مثل نوّار الزعْفَرَانِ في خَلْقِه ولوْنِه ، بلاَ وَرق ولا ثَمَرَةٌ ولا بَزْرٍ

والمسْتعْمَـل منه عِرْقُـه فقَـطْ ، يُجْمـع في يُـونيَـةَ » ــ الاعتماد ، ص 199ظ .

(×) من الفارسيَّة « سُورَنْكَـان » .

(=) تحفة ، 365 ؛ شرح ، 276 .

83) شَادَنَـة :

(:) « الشَّادَنَة ، وتُسَمَّى بالفارسيَّة الشَّادَنْجَ ، وهو « حَجَـرِ الدمِ » ، وهو « حجر الطور » وهو « حجر الشَّادَنْج » (...) . وهو حجَرٌ مخلُوق في جبَلِ « طور » (...) بالأرْدُن ، أحمَر اللون إلى السَّوادِ ، وأجْود ما يكونُ منه ما معَهُ صَلاَبَةٌ » ــ الاعتماد ، ص 148و ــ 148ظ .

(×) من الفارسية « شَادَنَـهْ » .

(=) البيروني : صيدنة ، ص 385 ؛ دوزي : المستدرك ، 715/1 ؛ شرح ، 369 .

84) شَاهتَرَج :

(:) « يُسَمَّى بالروميَّة « قَابْنُوس » (284) ، وهو إلى الدَّواءِ أقرَبُ منه إلى الغِذَاءِ » ــ الاعتماد ، ص 131ظ .

(×) من الفارسيَّة « شَاهْتَـرَهْ » :

(=) البيروني : صيدنة ، ص 418 ؛ أدّي شير ، ص 103 ؛ تحفة ، 440 ؛ شرح ، 358 .

85) شَاهْشِ بَـرَم :

(:) « الشَّاهْشِ بَرَم هو الحبَقُ الكَرمَانيُّ ، وهو صَغِـيرٌ » ــ الاعتماد ، ص 125ظ .

---

(284) في الأصل « جاينوس » وهو تصحيف ، والمصطلح يوناني أصله : (Kapnos) .

(×) من الفارسية « شَاهْ اسْبَرَمْ » .

(=) البيروني : صيدنة ، ص 388 ؛ دوزي : المستدرك ، 717/1 ؛ أدّي شير ، ص 104 ؛ تحفة ، 443 ؛ شرح ، 360 ؛ المنجّد : المفصّل ، ص 51 .

86) شِبِتّ :

(:) « الشبث حشيشة (285) ذَاتُ ورَقٍ وحَبّ يُسْتَعْمَلاَن جميعًا ، وَوَرَقُه بين الخُضْرَةِ والصّفرة ، وحبّه صغيرٌ ، أزْواجٌ متلاَصِقَة (...) ومذاقَتُه حارَّة بمَرارَةٍ ويُجْمَعُ في حزَيرَانَ » — الاعتماد ، ص 166و .

(×) من الفارسيّة « شِــوَذ » .

(=) البيروني : صيدنة ، ص 391 ؛ أدّي شير ، ص 83 ؛ تحفة ، 453 .

87) شُبْــرُم :

(:) « الشبرُمُ هو « البَاهُوتُ » وتُسميّه البربَرُ « التَّانَقِيتْ » (286) ويُسَمَّى بالسريَانِيَّة « حَلْمَادِيكُوتَا » (287) ، وهو شَجرٌ صَغِيرٌ وكَبيرٌ ، فكبيرُهُ قدْرُ القامة وأرجَحُ ، وله خشَبٌ وقُضْبانٌ حمرٌ ملمَّعَةٌ ببيَاضٍ ، ولَه جُمَّةٌ مِنْ ورَقٍ في رؤُوسِ قُضْبانِه ، وفيه نوّارٌ صغيرٌ أصْفَرُ إلى البيَاضِ يسْقُط وتَخْلُفُه مَزاوِدُ صِغَارٌ مُدَوَّرة فيها حَبٌّ صَغِيرٌ مثْلَ البُطْمِ وفي قدْرِه أحمَرُ اللوْنِ كَامِدٌ ، ولَهُ عروقٌ عليهَا قِشْرٌ أحْمَرُ وداخلُها أبيضُ مِنْها غِلاَظٌ ورِقَاقٌ والمسْتَعْمَلُ من هذه

(285) في الأصل « ورقة » وهو تصحيف .

(286) في الأصل « البانقيت »، والاصلاح من « الشرح » لابن ميمون (الفقرة 366) حيث سمى هذا النبـات بالبربرية « تاناغت » .

(287) في الأصل « جلباذيا » والاصلاح من الصيدنة للبيروني (ص 393) .

الشجَرَةِ قُشُور عرُوقِها ولبَنُ (288) قُضْبانِها . وقد يَنْبُتُ عِنْدنَا بالمغْرِب بأرْضِ باجَةِ إفْرِيقيَّةَ وجَزِيرَةِ صِقِلِّيَّةَ » ـ الاعتماد ، ص ص 207و ـ 207ظ .

(×) من الفارسيّة « شِبْرَم » .

(=) أدّي شير ، ص 98 ؛ تحفة ، 449 ؛ شرح ، 366 .

88) شَقَاقُل :

(:) (لم يُعرِّفْه) ـ الاعتماد ، ص ص 126و ـ 126ظ .

(×) من الفارسيّة « شَشْقَاقُل » .

(=) شرح ، 361 .

89) شَكُوهَج :

(:) « الشكُوهَجُ هو المعْرُوفُ بالحَسَك ، وهو بالرومية « ابربابوديا » (289) وهيَ حشِيشَةٌ ذَاتُ ورَق وقُضْبَان ، وهي شجَرَةٌ تفتَرِشُ علَى وجْهِ الأرْضِ ، ولها نوّارٌ صَغِيرٌ أصْفَرُ ، فتلْقِيه ثمَّ تَعْقد حسَكًا يشبه الفولَ أحرَشَ له شوْكَاتٌ ودَاخِلَه حبٌّ زَرِيعَةٍ صفراءَ شَبِيهَةِ الحُلْبَةِ ، وكثيرًا (290) ما تنبُتُ في البحائر والأرْضِ الرَّمِلَةِ » ـ الاعتماد ، ص 137ظ .

(×) من الفارسيّة « شِكُوهَنْج » .

(=) دوزي : المستدرك ، 669/1 و780/1 ؛ شرح ، 151 .

---

(288) في الأصل « لين » وهو تصحيف ، ومن المعلوم أن « الشبرم » يعتبر عند القدماء أحد « اليتوعات » وهي نباتات « لبنية » .

(289) كذا في الأصل ، والأصل اليوناني للمصطلح هو « (Tribolos) » .

(290) في الأصل « وكثير » .

90) [شَيطَرَج] :

(:) (لم يُعرَّفْ) ـ طبائع العقاقير ، ص 81و .

(×) من الفارسية « شَيْتَرَهْ » .

(=) البيروني : صيدنة ، ص 426 ؛ أدّي شير ، ص 106 ؛ شرح ، 367 .

(٪) لم ترد هذه المادة في مخطوطة « الاعتماد » ،

91) شَيْلَم :

(:) « الشَّيْلَمُ هو الزّوَانُ (291) بالعَرَبيَّةِ ، وهو حَبٌّ صغيرٌ أبيَضُ مستطيلٌ أحدُ رأسَيْه أعرَضُ من صَاحِبِه ، وشجَرتُه حَشيشَةٌ تَعْلُو (292) علَى الأرْضِ الذّرَاعَ وأكْثَرَ وأقلَّ ، ولَهَا ورَقٌ كوَرَقِ القَمْحِ ، ينْبُتُ على سَاقٍ كالقَمْحِ ، وحبُّهُ يَكُونُ في غُلُفٍ (293) مَلْتَصِقَةٍ بالقَصَبَةِ نَفْسِها ، وأكثَرُ ما ينْبُتُ في زَرْعِ القَمْحِ في السِّنِينِ الجَدْبَةِ الفَاسِدَةِ الهَوَاءِ القَليلَةِ المَطَرِ » ـ الاعتماد ، ص 202و .

(×) من الفارسية « شَلْمَك » .

(=) أدّي شير ، ص 102 ؛ تحفة ، 448 .

92) صَنْدَل :

(:) « الصَّنْدَلُ خَشَبٌ يُؤْتَى بِه (294) منَ الصِّينِ ، وهو ثَلاَثَةُ أصنَافٍ : أبْيَضُ وأصْفَرُ وأحْمَرُ ، وكُلُّهَا يُسْتَعْمَلُ » ـ الاعتماد ، ص ص 179و ـ 179ظ .

---

(291) في الأصل « الزوال » .
(292) في الأصل « تعلوا » .
(293) في الأصل « غلاف » .
(294) في الأصل « بها » .

(×) من الفارسية « جَنْدَل » .

(=) البيروني : صيدنة ، ص 248 ؛ الجواليقي : المعرَّب ، ص 268 ؛ دوزي : المستدرك ، 846/1 ؛ أدّي شير ، ص 108 ؛ تحفة ، 297 .

93) طالِقُون :

(:) « الطّالِقُون من جِنْسِ النّحَاسِ ، غيرَ أنّ الأوَائِلَ ألْقَوا عَلَيْهِ الأدْوِيَةَ حتّى حدَثَ في جِسْمِهِ سُمٌّ ... » — الاعتماد ، ص ص 205و — 205ظ .

(×) من اليونانية (Katholikon).

(=) دوزي : المستدرك ، 19/2 .

94) طَبَاشِير :

(:) الطبَاشِيرُ شَبِيهُ الرمَادِ » — الاعتماد ، ص 181و .

(×) من الفارسيّة « تَبَاشِير » .

(=) أدّي شير ، ص 111 ؛ شرح ، 171 .

95) طَرَخَشْقُون (295) :

(:) الطَّرَخَشْقُون (295) هو الهِنْدَبَاءُ البَرّيُّ ، وهو بالرّوميّة « طَرقَسْمَة » (296) ، وهو وَرَقٌ شَبِيهُ وَرَقِ الهِنْدَبَاءِ البسْتَانيّ ، وله عَسَاليجُ (297) رِقَاقٌ مقْدَارُ شِبْرَيْن وأقَلُّ ، فيهَا نوّارٌ سَمَاوِيٌّ صَغِيرٌ ، يَسْقُطُ النّوّارُ ويَخْلُفُه حَبٌّ صَغيرٌ » — الاعتماد ، ص 137و .

---

(295) في الأصل « طرحشفون » .

(296) كذا في الأصل ، ولعل المقصود بالرومية هنا اللغة اللاتينية ، لأن « الطرخشقون » يسمى باللاتينية (Taraxacum) .

(297) في الأصل « عسالج » .

(×) من الفارسية « طَاْخْ شُكُوجْ » .

(=) شرح ، 175 .

96) عَنْزَرُوت :

(:) « هو الأنزَرُوتُ ، وهو بالرّوميّةِ « السَّرْقَقُلَّس » (298) ، وهو « كُحْلُ فَارِسَ » ، وهو صمغٌ يؤْتَى بِه منْ فَارِسَ ، فمنْهُ أبيَضُ ومنْهُ أحْمَرُ ، وهما مسْتَعْمَلاَنِ ، فِي طعْمِهِمَا مَرارَةٌ » — الاعتماد ، ص 129و .

(×) من الفارسيّة « انْزَرُوت » .

(=) أدّي شير ، ص 115 ؛ تحفة ، 35 ؛ منتخب ، 37 ؛ شرح ، 4 .

97) غَـار :

(:) « الغَار هو شجَرةُ الرُنْدِ ، وهو شجَرَةُ الدهْمَسْة (299) بالفَارِسيَّةِ وله قُضْبَانٌ طِوَالٌ وأغْصَانٌ كَبِيرَةَ الوَرَقِ ، فمنْه مَا ورقُه دقِيقٌ ومنهُ ما هُو أعْرضُ منَ الآخَرِ ، وهو طَيِّبُ الرَّائحَةِ وحَبُّهُ كَبِيرٌ يُشْبِهُ حَبَ الزيْتُونِ ، وليْسَ لَهُ نَوارٌ ، ولَوْنُهُ إذَا كَانَ غَضًّا أخْضَرُ ، وإدا طَابَ اسْودَّ ، ويُسْتَعْمَلُ ورَقُه وحَبُّهُ وقِشْرُ عُرُوقِهِ » — الاعتماد ، ص ص 181و — 181ظ .

(×) من الفارسيَّة « غَـارْ » .

(=) أدّي شير ، ص 116 ؛ المنجّد : المفصَّل ، ص 56 .

---

(298) في الأصل « السرفقاس » ، والأصل اليوناني للمصطلح هو (Sarkokolla) .

(299) كذا في الأصل ، والرسم الشائع لهذا المصطلح بالتاء المفتوحة في آخره « دهمست » : انظر « الجامع » لابن البيطار ، 117/2 في ط. بولاق و131/2، (عدد 965) في الترجمة الفرنسية .

98) غَارِيقُــون :

(:) « هو شيْءٌ (300) أبيَضُ مُلَيَّفٌ شَبِيهٌ بالفُقَّاع يَنْبُتُ في أصولِ الشجر عليْه قِشْرٌ يضْرِب إلى السواد وداخلُه أبْيَض شَدِيدُ البَيَاضِ (...) . وهو علَى ضربَيْنِ : أحدهُما يُسَمَّى الذكَرَ والآخرُ يُسمَّى الأنْثَى ، وَصِفَةَ الأنْثَى أنَّ فِي جوْفِهَا طبقات مسْتَقيمةً (301) ، والذكرُ منْهُ مسْتَدِيرٌ ليسَ بِذِي (302) طبقَاتٍ بلْ هُوَ شيْءٌ وَاحِدٌ أمْلَسُ (...) ، وطعمُهُمَا في أول مَا يُذَاقَان (303) يُوجَدُ فِيه حَلاَوَةٌ ثمَّ منْ بَعْدُ يَتَغَيَّرُ طعْمُهُمَا (304) عَمَّا (305) كان يظهَرُ فيه من الحَلاَوةِ ، ثم يَتَزَايَدُ (306) فِي (307) التغيُّرِ إلَى أنْ يَظْهَرَ فيه شيْءٌ من مَرَارَةٍ » — الاعتماد ، ص 118و .

(×) من اليونانية (Agarikon).

(=) تحفة ، 435 ؛ منتخب ، 24 .

99) غَافَـث :

(:) « العَافَثُ يُسَمَّى بإفْرِيقيَّةَ « شجَرةَ البَرَاغِيثِ » ، وهي شجَرةٌ صغيرةٌ طولُهَا أرْجَحُ من ذِرَاعٍ ، ذَات أغْصَان وَوَرَق يتَدبَّقُ ويَلْصَقُ إذَا مُسَّ ، ورَقُهَا أخْضَرُ أحْرَشُ فِيهِ طولٌ

---

(300) في الأصل « عوشي » ، والملاحظ أن ابن الجزار ينقل في هذه الفقرة عن ديوسقريديس من « المقالات الخمس » ص 237 ، وعنه أصلحنا الأخطاء الموجودة هنا وقد أورد ابن البيطار نفس الفقرة أيضا في كتاب « الجامع » (147/3 في ط. بولاق) .

(301) في الأصل « مستعصية » .

(302) في الأصل « يرى » .

(303) في الأصل « يراان » .

(304) في الأصل « طعمه » .

(305) في الأصل « كما » .

(306) في الأصل « يتزيد » .

(307) في الأصل « إلى » .

[وَعَرْضٌ] (307م) علَى طُولِ الإبهَامِ وعَرْضِه ، وأغْصَانُها صفْرٌ ، لهَا قِشْرٌ ، ولهَا نوارٌ أصْفَر ، فإذَا جَفَ ابْيَضَّ . وقدْ يَنْبُتُ في أرْضِ تُونسَ وفي الجِبَالاَتِ والأوْدِيَةِ » ـــ الاعتماد ، ص 118ظ .

(×) من الفارسيّة « غَافَتْ » .

(=) أدّي شير ، ص 116 ؛ اليسوعي : غرائب ، ص 239 .

100) فَاوِينَـا :

(:) (لم يعرّفه) ـــ الاعتماد ، ص 149ظ .

(×) من اليونانية (Paiônia).

(=) دوزي : المستدرك ، 236/2 ؛ تحفة ، 318 ؛ شرح ، 304 .

191) فَراسِيُون :

(:) « هو شجَرةٌ تبولُ عليْها الكِلاَبْ » ـــ الاعتماد ، ص 160ظ .

(×) من اليونانية (Prasion).

(=) تحفة ، 324 ؛ شرح ، 225 و306 .

102) [فُرْبِيُون] :

(:) (لم يُعَرّفْ) ـــ طبائع العقاقير ، ص 81و .

(×) من اليونانية (Euphorbion).

(=) تحفة ، 249 ؛ شرح ، 25 .

(٪) لم ترد هذه المادّة في مخطوطة « الاعتماد » .

(307 م) اضافة يقتضيها السياق .

103) فَصْفَصَــة :

(:) « تُزْرَعُ علَى المَاءِ ، ولاَ تَجِفُّ صيْفًا ولاَ شِتَاءً ، وتسمَّى « الـرَّطْبَــةَ » ، والمسْتَعْمَــلُ منهـا زَرِيعَتُهَــا ووَرقُهَــا » — الاعتماد ، ص ص 131و — 131ظ .

(×) من الفارسية « اسْپَسْتْ » .

(=) الجواليقي : المعرّب ، ص 288 ؛ أدّي شير ، ص 10 ؛ تحفة ، 359 ؛ شرح ، 346 ؛ اليسوعي : غرائب ، ص 240 ؛ المنجّد : المفصّل ، ص ص 60 — 61 .

104) [فُلْفُــل] :

(:) (لم يُعَـرّفْ) — طبائع العقاقير ، ص 81و .

(×) من الفارسية « بُلْبُــلْ » .

(=) أدّي شير ، ص 121 .

105) [فُلْفُل (أبيض)] :

(:) (لم يُعرَّفْ) — طبائع العقاقير ، ص 81و .

(×) انظر المــادة السابقــة .

(=) هذه المادّة والمادة السّابقة لم تردا في مخطوطة « الاعتماد » .

106) فَلَنْجَمُوشَــة :

(:) « وهو بالفارسيَّةِ أيضًا « الفَلَنْجَمُون » ، وهو عُرُوقٌ رِقَاقٌ تُشْبِهُ في قَدْرِها « الأسَارُونَ » وَأَرَقُّ ، ولَوْنُها إلى الحُمْرةِ والغُبْرةِ ، ومذَاقَتُها حارَّةٌ ورَائِحَتُها طيِّبةٌ ، يُؤْتَى بِهَا من الصِّين ، ولهَا (308)

(308) في الأصل « وله » .

ثَمَــرة صُورَتُها وشكْلُهَــا ولَوْنُها كصُــورَةِ « الأتْـرُنْـــجِ » وشَكْلِهِ وَلَوْنِـهِ (309) » — الاعتماد ، ص 201و .

(×) من الفارسية « بُلْبُــلْ مُــولْ » .

(=) البيروني : صيدنة ، ص 294 ؛ دوزي : المستدرك ، 280/2 .

107) فَنْجَنْجُشْــةْ (310) :

(:) « إنّ هذا الإسْم بالفارسيّةِ ، ومعْنَاهُ في لسَانِهم « خمْس ورَقَات » (311) ولذلكَ سُمِّيَ باليونانيّةِ « فَنْطَافُلُّنْ » (312) ، لأنّ « فَنْطًا » (313) خَمْسٌ ، و« فُلُّنْ » (314) وَرَقَةٌ ، وإنّمَا اشتُقّ لهذَا النّبَات هذَا الإسْمُ مِنْ صُورَةِ ورَقِه ، وذَلكَ أنّ كُلّ ورقة منْهُ تَخْرُجُ مِنْ قَضِيبٍ ، فأصْلُها يكُون واحدًا (315) ثم تتفرّعُ منْه خمْسُ ورَقَاتٍ علَى شَكْلِ أصَابِع الإنسَانِ (316) لكنّهَا ملتفّةٌ مستَدِيرَةٌ (317) علَى صورَةِ القَضِيبِ ، ولوْنُها أخْضَرُ إلَى الغُبْرَةِ ، فإذَا كَانَ آبُ نَوّرتْ نَوّارًا صَغِيرًا (318) في عنقُودٍ منْهُ أبْيَضُ ومنه سَمَاوِيٌّ ، ثمّ يسْقُطُ ويخْلُفُه حبّ مُدَوّرٌ أغْبَرُ إلَى السّوَادِ كالفُلفُلِ. ومذَاقَةُ الشجَرَةِ كُلِها وثَمَرَتِهَا مُرّةٌ حَارّةٌ ، وتَنْبُتُ في بُطُونِ

---

(309) في الأصل « وشكلها ولونها » .

(310) كذا في الأصل ، والرسم المشهور لهذا المصطلح في العربية هو « فنجنكشت » بالكاف والشين المعجمة والتاء المفتوحة .

(311) كذا في الأصل ، والصواب أن معناه « خمس أصابع » — انظر أدي شير ، ص 27 .

(312) في الأصل « قبطاقلد » وهو تصحيف والأصل اليوناني للمصطلح (Pentaphyllon) .

(313) في الأصل « قبطا » .

(314) في الأصل « قلد » .

(315) في الأصل « واحدة » .

(316) في الأصل « الطابع الاسن » .

(317) في الأصل « لكنه ملتف مستدير » .

(318) في الأصل « نوار صغير » .

الأوْدِيَة ، ويُجْمَعُ حَبُّها في أيْلُول . والمسْتَعْمَلُ منْها حبُّها وورقُها . وفي وَرَقِ هذَا النبات وَزَهْرِه رَائِحة عِطْرِيَّةٌ ، كَأنَّ فيهَا شيْئًا (319) منْ رائِحَةِ البَسْبَاسَةِ » — الاعتماد ، ص ص 198و — 198ظ .

(×) من الفارسيّة « بَنْج انْكُشْتْ » .

(=) البيروني : صيدنة ، ص 244 ؛ أدّي شير ، ص 27 ؛ تحفة ، 81 ؛ شرح ، 308 .

(٪) قد أخطأ ابن الجزّار هنا في تحديد المَرادِف اليُونانيّ للمصطلح الفارسِيّ ، فالفنجَنْكُشْتُ يُرَادِفُه المصطلح اليونانيُّ « أغْنُسْ » (Agnos) ويبدُو أنَّ هذا الخلط كانَ شائعا ، وقد نبّهَ إليْه ابن البيطّار بقوله : « البنجنكشت : تأويلُه بالفارسية ذُو خَمْسَةِ أصَابِع ، وغلط من جَعَله البنْطَافُلُّن » : الجامع ، 115/1 في ط . بولاق. فالفَنْطَافُلُّن — أو البنْطَافُلُّن — إذَنْ نبات آخر يختلف عن « الفَنْجَنْكُشْتْ » الذِي هُو « الأغْنُس » باللّغَة اليونانيَّة ؛ على أنّ ابن الجزّار لم يُخْطِيءْ في التفْرِيقِ بيْن النَّباتَيْن في الوصْف ، ذلك أنّ تعريفه للفَنْجَنْكُشْتِ هُنا مُطابِق للتَّعْرِيف الذي ذكره له ابن البيطار في كتاب « الجامع » (115/1 في ط . بولاق) ، ومُطَابِقٌ — بعْضَ المطابقةِ — لتعريف « الأغْنُس » عند ديوسقريديس في « المقالات الخمس » (ص ص 98 — 99) .

108) فُـــو :

(:) « زعَم قومٌ أنّ الفُو أصْل السُّنْبُلِ الرُّومِيّ ولم يَثْبُتْ ذلكَ . وزعَـمَ بَعْضُ النَّـاسِ أنَّـه « نَـارْدِينٌ بَـرّيٌّ » ، وقالَ آخَرُ هو

(319) في الأصل « شيء » .

« المسحور » (320) بالعَرَبيَّةِ ، وهو بالسّريَانيَّةِ « القَرْصَعْنَةُ » (321) وَيُسَمَّى بإفريقيَّةَ « سَنْتُهْ قَابِدَهْ (322) الزرْقَاءَ » وتأويلُهَا « مائَةُ رَأس » ، وهو عرْقٌ طويلٌ قشْرُه بين السَّوَادِ والبَيَاضِ وداخلُه أبيضُ في غلَظِ الإصْبعِ حَارُّ الطَعْمِ وَرائِحتُه حارَّةٌ فيهَا شَيْءٌ من رَائحةِ النَّارْدِين (...) . لهَا ورَقٌ مسْتَطِيلٌ أخْضَرُ في عَرْضِ الإصْبعَيْنِ مستَدِيرُ الرأسِ يَنْبَسِطُ فوقَ الأرْضِ ، في وسَطِهَا عَسْلُوجٌ يَعْلُو (323) على الأرضِ شبْرًا وأكثَرَ في غلَظِ الإصْبعِ وأرَقُّ أزْرقُ اللَّوْنِ ، فِي رَأسِها جُمَّةٌ فيهَا شَوْكٌ أزْرَقُ والذِي يُسْتَعْمَلُ من هذِهِ الشجَرَةِ عِرقُها فَقَطْ » — الاعتماد ، ص ص 124ظ — 125و .

(×) من اليونانية (Phoù).

(=) تحفة ، 322 ؛ شرح ، 305 .

(٪) قد خلط ابن الجزّار هنا بيْن نباتيْنِ مختلفيْن هما « الفُو » و« القَرْصَعْنَةُ » ، والواقعُ أنّه منذ بداية التعْريف كان مُتَشكِّكًا ، وفي حديثه عن « الفو » هنَا نجِدُ شيْئًا مما ذكره ديوسقريديس عنها في « المقالات الخمس » (ص 19) وشيئا مما ذكره نفس العَالِم اليُونانيّ في نفس الكتاب (ص 248) عن « القرصعنة » التي تُسَمَّى باليونانية (Eryngion) ، وهذا الخلْط هوَ الذِي جعلَه يطلِقُ على « الفُو » إسْمَ « القَرْصَعْنَة » المغْرِبيَّ وهو « سَنْتُهْ قَابِدَة » : (انظر سيمونيت : المعجم ، ص 159) .

---

(320) كذا في الأصل ، ولم نعثر على هذا المصطلح فيما بين أيدينا من المراجع .

(321) في الأصل «الفرصيعة» وهو تحريف ، و«القرصعنة» معرب من السريانية (Qersaannà) . (انظر شرح ، 190) ويؤيد قراءتنا هذه مصطلح « سنته قابده » الذي سيورده ابن الجزار فهذا المصطلح يطلق على « القرصعنة » وليس على « الفو » في بلاد المغرب والاندلس ، (انظر أيضا ملاحظتنا حول هذه المادة) .

(322) في الأصل « قاندة » . ومصطلح « سنته قابدة » مصطلح لاتيني أصله (Centum capita) انظر : دوزي : المستدرك ، 168/1 وسيمونيت : المعجم ، ص 159 .

(323) في الأصل « يعلوا » .

109) فُـوَّا (324) :

(:) « الفُوَّا عِـرْقٌ نباتٍ لونُه أحْمرُ يستعْمِلُه الصَّبَّاغُونَ . ومن هذَا النبَات ما يَنْبُـتُ منْ غيـر أنْ يُـزْرعَ ومنه ما ينبُتُ بأنْ يـزرعَ ، وشجَرتُه تَتعلَّقُ بالشَّجَرِ وتطُولُ معَهَا ، ولها قُضْبَانٌ مربَّعَةٌ بِـيضٌ رِقَاقٌ خوَّارَةٌ (325) ذَاتُ قُشُورٍ (326) بِـيضٍ معَقَّدَةٍ ، وينْبُتُ لها في كلّ عـُقْدَةٍ ثَمانِـي ورقاتٍ وسِتٌّ وأرْبَعٌ (327) ، ورقٌ أخضَرُ أحرَشُ صغيرٌ شَبِـيهٌ ورَقٍ « الحبق السعدي » (328) مجردُ الرأسِ ، ويخرجُ لها في ذلك نوَّارٌ أصْفَرُ صغيرٌ إلَى البيَاضِ ، فإذَا سقَطَت النَّوَّارَةُ خلَّفَتْها حبَّةٌ بمنزِلَةِ الكُزْبُرةِ ، والمستعملُ مِنهَا عرقُهَا لاَ غَيْرَ » — الاعتماد ، ص ص 131ظ — 132و .

(×) من الفارسيّة « بُويَهْ » .

(=) الجواليقي : المعرّب ، ص 298 ؛ أدّي شير ، ص 122 .

110) فُـودَنْـج :

(:) « الفُودَنْجُ ثَلاَثَةُ ضُرُوبٍ : منه النهْرِيُّ (329) ومنهُ البَرّيُّ ومنه الجبَلِيُّ ، فأمَّا النهرِيُّ (329) فإنَّهُ ينبُتُ دائِماً علَى شوَاطِـيءِ (330) الأنهَارِ والسَّوَاقِـي التِـي تَجْرِي فِـيهَا المِيَاهُ ، ولذلك يسمَّى « رَيْحَان السَّوَاقِـي » ويُسَمَّى « الحَبَقَ النهْرِيَّ » (331) ، وهو « البُودَنْقُ » ،

(324) كذا في الأصل والرسم المشهور لهذا المصطلح «فوة» بالتاء المربوطة .

(325) في الأصل « حوارة » بالحاء المهملة ، والخوارة هنا نعني « اللينة » .

(326) في الأصل « قشر » .

(327) في الأصل « ستة وأربعة » .

(328) كذا في الأصل ، ولم نعثر على هذا المصطلح عند غير ابن الجزار ، وقد يكون هنا تحريفا لـ« الحبق السعترى » .

(329) في الأصل « الهندى » وهو تصحيف .

(330) في الأصل « شاطيء » .

(331) في الأصل « الهندى » وهو تصحيف .

وهوَ جِنْسٌ مِنَ « الفُلَيِّ » (332) ورَقُه كبيرٌ أخْضَرُ أكْبرُ من ورَق « المَنْتْهَا » (333) وله قُضْبانٌ وورَقٌ مرتفعَةٌ خوَّارَةٌ وفي رأسِها فَيْقَلَةٌ فيها نوَّارٌ صغيرٌ سَمَاوِيٌّ ولَهَا حبٌّ في الفَيْقَلَةِ صغيرٌ ؛ والجبليُّ منهُ هو « الفُلَيُّ » وهو « الفُولِيَة » (334) وهو « الهيودما » (335) وهو « الفودر » (336) ، وهي شجرةٌ تَعْلُو (337) على الأرض ذراعًا وأكثرَ ذاتُ قضبَانٍ رقَاقٍ غيْرِ صلاَبٍ وورَقٍ أحْرَش أغْبَرَ شَديدِ الرائحَةِ بِحرَارةٍ قَطَّاعةٍ ، ولهُ نوَّارٌ أبيضُ أحْمَرُ يسْقُطُ فيخلُفُهُ غلافٌ فيه (338) حَبٌّ صغيرٌ ، وينبتُ في الفُجُوج والجبَال . والمستَعْملُ مِنْهُ (339) وَرَقُه وزَرِيعتُه وقُضْبَانُهُ ، يُجْمَعُ في آخرِ حُزَيْرَانَ » — الاعتماد ، ص ص 194و — 194ظ .

(×) من الفارسيَّة « بُودِنَـهْ » .

(=) البيروني : صيدنة ، ص 296 ؛ أدّي شير ، ص 122 ؛ **تحفة** ، 325 ؛ شرح ، 309 ؛ اليسوعي : غرائب ، ص 240 .

111) [فُوفَـل] :

(:) (لم يُعَرَّفْ) — **طبائع العقاقير** ، ص 81و .

(×) من الفارسيّة « بُوبَـل » .

---

(332) مصطلح لاتيني أسباني أصله (**Poleo**) انظر دوزي : المستدرك 284/2، وسيمونيت : المعجم ، ص 452 .

(333) هو مصطلح لاتيني أصله (Mentha) انظر سيمونيت : **المعجم** ، ص 358 .

(334) في الأصل « الفودية » ، وهو مثل « الفلي » (انظر التعليق 332) .

(335) كذا في الأصل ، ولم نعثر على هذا المصطلح عند غير ابن الجزار .

(336) كذا في الأصل ، ولم نعثر على هذا المصطلح عند غير ابن الجزار .

(337) في الأصل « تعلوا » .

(338) في الأصل « فيها » .

(339) في الأصل « منها » .

(=) أدّي شير ، ص 122 ؛ شرح ، 311 .

(٪) لم ترد هذه المادّة في مخطوطة « الاعتماد » .

112) فِـيلزَهْـرَج :

(:) « الفِليزَهْـرَجُ بالفارسيَّـة « مَـرَّارَةُ (340) الفِـيـل » (...) ومـرائِـرُ (341) جميعِ الحيَـوَانِ تُسَمَّـى (342) مَاهِزَهْـرَج (343) » — الاعتماد ، ص 122ظ .

(×) من الفارسيّة « فِـيلْ زَهْرَهْ » .

(=) دوزي : المستدرك ، 295/2 ؛ شرح ، 148 و315 .

113) قَرْطَمَانَـا :

(:) « بالروميَّـة « قَرْدَامُومْ » ، وهي « الكَرَوْيَاءُ البرّيُّ » ، وهي حَشِـيشَةٌ كَشَبْـهِ حَشِـيشَةِ « البَابُونَق » في خِلْقَتِـهَا ، ولهَا ورَقٌ أخضَرُ وقُضْبَانٌ رِقَاقٌ بيْنَ الأحمَرِ والأسْمَانْجُونيّ (344) ولها نوَّارٌ أبيضُ شبيهٌ بنوَّارِ الكُزْبُرِ وثمرتها مزاود مُعْوَجَّةٌ صُفْرٌ إلَى البَيَاضِ ، والمستعملُ منها هذه المزاوِدُ ، وقد تنبُتُ عندَنَا بالغَرْبِ بأرضِ تُونسَ وَبِصَطْفُورِيَةَ » — الاعتماد ، ص ص 185ظ — 186و .

(×) من اليونانيّة (Kardamon) .

(=) دوزي : المستدرك ، 326/2 ؛ تحفة ، 340 ؛ شرح ، 327 و335 .

---

(340) في الأصل « مرار » .

(341) في الأصل « مرار » .

(342) في الأصل « يسمى » .

(343) كذا في الأصل والماهزهرج بالفارسية يعني « سم السمك » : انظر الجامع لابن البيطار ، 122/4 في ط. بولاق .

(344) في الأصل « الاسمايجوني » وهو تصحيف .

114) قَرَنْفُــل :

(:) « القرنفلُ بالعَربيَّة ، وهـو « القَرْيُفُلُّنْ » (345) بالرّوميَّة ، له ثمرَةٌ ولَهُ عِيدَانٌ يُسْتَعْملاَن جميعًا ، يُؤْتَى به من أرْضِ الهِنْدِ » ــ الاعتماد ، ص 146 ظ .

(×) من اليونانية (Karyophyllon).

(=) أدّي شير ، ص 27 ؛ تحفة ، 351 .

115) قُسْــط :

(:) « القُسْط ضرْبَان : أحَدُهما الذي يُقَالُ له البحريُّ والآخر الهِنْدِيُّ ، فَالهِنْدِيُّ منه غليظٌ أسْوَدُ خَفِيفٌ مُـرٌّ المذَاقِ حرِّيفٌ (...) والبَحْرِيُّ هو القُسْطُ الأبْيَضُ ، وهو من بِلاَدِ العَرَبِ » ــ الاعتماد ، ص 173ظ .

(×) من اليونانية (Kostos).

(=) تحفة ، 350 ؛ شرح ، 338 .

116) قَنْطُورْيُـون :

(:) « القَنْطُورْيُون ضَرْبَان : فمنهُ صَغيرٌ ومنهُ كَبِيرٌ ، ويُسَمَّى بالروميّة « جَنْتُورِيَةَ » (346) وهيَ حشِيشَةٌ تُشْبِهُ شجَرَ الكتَّانِ في قَدْرِهَا وأغْصَانِهَا ولهَا نوّارٌ سَمَاوِيٌّ وأحْمَرُ كَلَوْنِ نَوَّارِ الكتَّان ومَذَاقُهُ مُرٌّ » ــ الاعتماد ، ص 163و .

(×) من اليونانيّة (Kentaurion).

(=) دوزي : المستدرك ، 413/2 ؛ تحفة ، 333 ؛ شرح ، 333 .

---

(345) في الأصل « القرنافان » وهو تصحيف .

(346) هو مصطلح لاتيني أصله (Centaurea) ، انظر : سيمونيت : المعجم ، ص 162 .

117) قِـيشُـور :

(:) « هذا الحَجَرُ الذي تُحَكُّ به الرُّقُوقُ يُسَمَّى القِـيشُورَ ، وهو حَجَرٌ خفَـيفٌ مثْقُوبٌ لونُهُ بيْنَ البيَاضِ والسَّوَادِ والصُّفْرةِ مخلْخَلُ الجِسْمِ خفَـيفُهُ ، ومن خِفتِّهِ يعُومُ علَى المَاءِ ولا يَغْرَقُ ، وَلَهُ معَادِنُ ببِـلاَدِ سقِلِيَّةَ في جبَلِ النَّارِ في البُرْكَانِ وَفي بِلاَدِ أرْمينيَةَ » — الاعتماد ، ص 214ظ .

(×) من اليونانيّة (Kissêris).

(=) دوزي : المستدرك ، 432/2 ؛ شرح ، 141 .

118) كَافُـور :

(:) « الكافورُ مِنْه « الريَاحِـيُّ » (347) وهو (438) المخْلُوقُ ، وهو صمغ شجرة في جِـبَال « الزَّابج » (349) ولونه أغبرُ ملمَّع بحمرة (350) ويُصَعَّد هذا « الريَاحِـيُّ » (351) فيَـكون منه الكافورُ المصعَّد الأبْيَـضُ » — الاعتماد ، ص 181و .

(×) من الفارسية « كَافُور » .

(=) الجـواليقـي : المعـرّب ، ص ص 316 — 317 ؛ أدّي شيـر ، ص 136 ؛ تحفة ، 212 ؛ شرح ، 206 .

---

(347) في الأصل « الريحي » وهو تصحيف والملاحظ أن ابن الجزار ينقل هنا عن اسحاق بن عمران كما تدل على ذلك فقرة مطولة أوردها له ابن البيطار في كتاب « الجامع » (43/4 في ط. بولاق) ، وقد حققنا هذه الفقرة في بحثنا « المصادر التونسية » (124/2 — 125) وعلقنا عليها ، وقد قال ابن عمران فيها : « وإنما سمي رياحيا لان أول من وقع عليه ملك يقال له رياح » .

(348) في الأصل « ومنه » ، وهو تصحيف .

(349) في الأصل « الزانج » بالنون ، وانظر تعليقنا على هذا الاسم في بحثنا « المصادر التونسية » ، 125/2 .

(350) في الأصل « لجمورة » .

(351) في الأصل « الريحي » .

119) كَاكَنْــج :

(:) « الكَاكَنْــجُ هو « العُبَـبُ » (352) بالعربيَّـة وهو شجَـرَةٌ تعلُو (353) على الأرض مقدَارَ الذراعيْن ، فيها شيْءٌ من مَرَارَةٍ ، وهي ذَاتُ ورقٍ أخضرَ شَبيهٍ بورَقِ « عِنَبِ الثعْلَبِ » إلاّ أنّه أوسَعُ وأكثر استدَارَةً ، وارتفاعُ قضْبانِـه من الأرضِ أكثرُ من ارتفاع « عِنَبِ الثعْلَبِ » ، وإذَا طالت قُضبَانُه مالَتْ إلى أسْفَلَ ، ولونُهَا بيْنَ الخُضْرَةِ والغُبْرَةِ ، ويخرجُ في أصُولِ الورَقِ مزَاودُ كَالنُّفَّاخَاتِ (354) بيْنَ الخُضْرَةِ إلَى الصُّفْرةِ ، وفي دَاخِلِهَا حَبٌّ عليْهِ (355) قِشْرٌ أحمرُ شَدِيدُ الحُمْرَةِ يُشْبِهُ في القَدْرِ حَبَّ عِنَبِ الثعْلَبِ . وجَميعُ الشّجَرَةِ يُسْتَعْمَلُ ، وهي بَاقِيَةٌ الشِّتاءَ والصّيْفَ » — الاعتماد ، ص ص 170ظ — 171و .

(×) من الفارسية « كَاكَنْج » .

(=) أدّي شير ، ص 136 ؛ تحفة ، 219 ؛ شرح ، 201 .

120) كَبَابَــة :

(:) « وهي حبَّةُ العرُوس » — الاعتماد ، ص 126و .

(×) من الفارسيّة « كَبَابَــهْ » .

(=) أدّي شير ، ص 131 ؛ شرح ، 194 .

---

(352) في الأصل « العنب » وهو تصحيف . والاصلاح من كتاب « الجامع » لابن البيطار ، أنظر فيه مادة « عبب » 116/3 — 117 في ط. بولاق و436/2 (عدد 1512) في الترجمة الفرنسية .

(353) في الأصل « شجر يعلوا » وقد أصلحنا العبارة اعتمادا على ما سيرد في التعريف .

(354) في الأصل « مزاود لفاخات » وهو تصحيف . والملاحظ أن ديوسقريديس في « المقالات الخمس » (ص 336) ذكر أن الكاكنج « له ثمر في غلف مستديرة شبيهة بالمثانة » .

(355) في الأصل « عليها » .

121) كَبَـر :

(:) « الكَبَرُ ، وهو الأصَفُ ، ويُسمَّى بالرومية « الكَبَّرِسْ » (356) ، وهو شجرة (357) تَعْلُو (358) على الأرضِ الذراعينِ والثلاثةَ ، تنبُتُ في الصَّخرِ ، ولها قُضْبانٌ رِقَاقٌ خُضْرٌ وحُمْرٌ ، ولهَا ورَقٌ أخْضَرُ مُدوَّرٌ ، ولها نوّارٌ أبيضُ صَغيرٌ في غُلُف تُشْبِهُ غُلُفَ الوردِ ، تَسْقُطُ هذه الغُلُفُ ويَخْلُفُها ثَمَرٌ (359) . وزعم دياسْقُورِيدُوس أنَّه (360) شَبِيهُ الزيتُونِ في شَكْلِه إذَا فَتَّحَ ظهر منه زهرٌ أبيَضُ ، وإذَا سَقَطَ منْه الزهْرُ كانَ شَبِيهًا بالبَلُّوط مستطيلاً إذَا فَتَّحَ ظهرَ من جَوْفه (361) شَبِيهُ حَبِّ الرمَّانِ صغيرٌ أحمَرُ (362) . والمسْتَعْمَلُ مِن هذه الشَّجَرة عِرقُهَا وورَقُهَا ، ونَوَّارُهَا في نيْسَانَ ، وحبُّهَا يُجْمَعُ في آبَ » — الاعتماد ، ص 172و .

(×) من اليونانية (Kapparis).

(=) الجواليقي : المعرّب ، ص 341 ؛ دوزي : المستدرك ، 299/2 و438/2 ؛ سيمونيت : المعجم ، ص 92 ؛ تحفة ، 223 ؛ شرح ، 197 .

122) [كبْرِيت] :

(:) (لم يُعَرَّفْ) — طبائع العقاقير ، ص 81و .

(×) من الفارسيّة « كُـوكُـرْد » .

---

(356) في الأصل « الكبرم » وهو تصحيف (انظر أصل المصطلح اليوناني عقب التعريف) .

(357) في الأصل « شجر » .

(358) في الأصل « يعلوا » .

(359) في الأصل « يسقط هذا الغلاف وتخلفه ثمرة » وقد أصلحنا الجملة اعتمادا على ما سيرد في التعريف .

(360) في الأصل « انها » والمقصود هنا « الثمر » .

(361) في الأصل « منه زهر أبيض في جوفه » والاصلاح من « المقالات الخمس » لديوسقريديس .

(362) انظر قول ديوسقريديس في « المقالات الخمس » ، ص 226 . وقد أورد ابن البيطار في كتاب « الجامع » (45/4 من ط. بولاق) قول ديوسقريديس أيضا .

(=) الجواليقي : المعرّب ، ص 338 ؛ اليسوعي : غرائب ، ص 242 .

(٪) لم ترد هذه المادة في مخطوطة « الاعتماد » .

123) كَـرَوْيَـا :

(:) « الكَرَوْيَا تُسمَّى بالفارسيَّة « القُرُنْبَاد » (363) (...) ، وهو بَزْرٌ يَضْرِبُ إلَى السَّوادِ والغُبْرةِ ، يُجْمَعُ في شَهْرِ أيَّار وهو مَايه » — الاعتماد ، ص 185ظ .

(×) من اليونانية (Karô).

(=) سيمونيت : المعجم ، ص 250 ؛ شرح ، 195 ؛ اليسوعي : غرائب ، ص 267 .

124) [كِلْـس] :

(:) [وهو الجِـيرُ] — طبائع العقاقير ، ص 81و .

(×) من اللاتينية (Calx).

(=) دوزي : المستدرك ، 483/2 ؛ سيمونيت : المعجم ، ص 78 ؛ شرح ، 260 ؛ اليسوعي : غرائب ، ص 268 .

(٪) لم ترد هذه المادّة في مخطوطة « الاعتماد » .

125) كَمادَرْيُوس :

(:) « الكمادَرْيوسُ بالعربيَّة ، وهو بالروميَّة « خامادَرْيوس » (364) وهو عِرْق شجَرَةٍ شِبْهِ البلُّوطِ يَكُونُ تحْتَ الأرضِ وجَالِينوسُ

(363) في الأصل « العرنباد » وهو تصحيف ، و« القرنباد » اسم الكرويا بالفارسية (انظر : دوزي : المستدرك ، 340/2 ؛ شرح ، 195) .

(364) في الأصل « حاماريدبوس » وهو تصحيف (انظر أصل المصطلح باليونانية عقب التعريف) .

يُسمِّيه « بلُّوطَ الأَرْضِ » ، وهو المسْتَعمَلُ ، ونباتُه الذي يظهَرُ على الأَرْضِ منْهُ ورقٌ عرِيضٌ أخضَرُ يشْبِهُ ورَقَ « السَّرِيس » (365) الصَّغيرِ ومنْبَتُه (366) فِي الرمَالِ » — الاعتماد ، ص 190ظ .

(×) من اليونانية (Khamaîdrys).

(=) دوزي : المستدرك ، 487/2 ؛ تحفة ، 218 ؛ شرح ، 189 .

126) كَمَافِيطُوس :

(:) « إنَّ معْنَى « الكَمافِيطُوس » بالروميَّة « المفتَرِشُ على وجْه الأَرْض ذراعًا أوْ أدْنَى » (367) . وهي حشِيشَةٌ ذَاتُ ورَقٍ رِقَاقٍ في خِلْقَةِ وَرَقِ « حَبِّ الرَّشَادِ » أخْضَرَ ، وقُضْبانُهَا خُضْرٌ رِقَاقٌ معَقَّدَةٌ (368) ، ولهَا نوَّار أبيضُ ومزْوَدٌ صغيرٌ ينبُتُ في أصْلِ الوَرَقِ مثلَ نوَّارِ « حَبِّ الرَّشَادِ » . وإذَا سقطَ النوَّارُ خلفَهُ غلاَفٌ فيه حبَّةٌ صغِيرَةٌ دُونَ الكزبُرَةِ كَمِدَةُ اللوْنِ ولهَا طعْمٌ مرٌّ . والمسْتَعْمَلُ منهَا ورقُها وقضْبَانُهَا وبزْرُهَا » — الاعتماد ، ص 190و .

(×) من اليونانيّة (Khamaîpitys).

(=) دوزي : المستدرك ، 487/2 ؛ تحفة ، 217 ؛ شرح ، 190 .

127) كُنْدُر :

(:) «الكُنْدُرُ هو « اللُّوبَانُ » ، وهو صمغُ شجرَةٍ يُؤْتَى بها من بلاَدِ اليمَنِ ، ولَهُ قُشُورٌ ، يُستَعْمَلُ هو وَقُشُورُهُ » — الاعتماد ، ص 145ظ .

---

(365) السريس مصطلح يوناني أصله (Séris) ، وهو من أسماء الهندباء : انظر دوزي : المستدرك 648/1 ؛ تحفة ، 124 ؛ شرح ، 285 .

(366) في الأصل « ومنبتها » .

(367) هذا التفسير ليس صحيحا والمعنى الصحيح للمصطلح هو « صنوبر الارض » ، وهو مركب من (Khamaî) ومعناه « الارض » و (Pitys) وهو « الصنوبر » .

(368) في الأصل « مقعدة » .

(×) من اليونانيّة (Khondros).

(=) تحفة ، 214 ؛ شرح ، 188 ؛ اليسوعي : غرائب ، ص 268 ..

128) كَهْرَبَـاء :

(:) « الكَهْـرَبَــاءُ هو القَهْـرِبَــاء ، وهو أَيْـلاَقِطْــرُون (369) [بالروميَّة] (370) وهو « العصف » (371) بالعربيّة ، وهو مِصْبَاحُ الرُّوم ، وهو صمغٌ صَافٍ أَصْفَرُ فيه شيْءٌ من مَرَارَةٍ يُؤْتَى به منْ أَرْضِ الرُّوم » — الاعتماد ، ص 125و .

(×) من الفارسية « كَاهْ رُبَـا » .

(=) أدّي شير ، ص ص 138 — 139 ؛ تحفة ، 216 ؛ شرح ، 199 .

129) لاَزُوَرْد :

(:) (لم يُعرّفه) — الاعتماد ، ص 161ظ .

(×) من الفارسية « لاَزْوَرْد » .

(=) أدّي شير ، ص 141 ؛ تحفة ، 239 ؛ اليسوعي : غرائب ، ص 244 .

130) لَـكّ :

(:) « هو شيْءٌ أحمرُ يكونُ على عِـيدَانٍ رِقَاقٍ ، طعمُه طيِّبٌ ، يُطْبَخُ وتُصْبَغُ بِه الثيابُ الحُمْرُ ، فذَلك الصَّبَّاغُ هو « القِرْمِزُ » ومَا

---

(369) في الأصل « المراعاقطروس » وهو تصحيف والمصطلح يوناني أصله (Elektron) .

(370) اضافة يقتضيها السياق .

(371) كذا في الأصل ، ولم نعثر على هذا المصطلح عند غير ابن الجزار .

(372) في الأصل « يصنع » .

بقِـيَ من حَشَفِ ما يُصْبَغُ (372) بِه فهو اللَّكُ الذي تُشَدُّ به أيْدِي (373) السَّكَاكِـينِ ، والمستعملُ منه في الأدْوِيَةِ هو الذِي لم يُعْمَلْ بِه ، ويُؤْتَى به مِـن أرْمِنِـيةَ » ــ الاعتماد ، ص 161و .

(×) من الفارسية « لَكْ » .

(=) أدّي شيـر ، ص 142 ؛ تحفـة ، 245 ؛ اليسوعي : غـرائـب ، ص 244 .

131) مَازَرْيُون :

(:) « بعضُ الأطباءِ يُسمِّيه « أسَدَ الأرْضِ » (374) ، وهوَ [نبَـات له] (375) ورَقٌ أخْضَـر يشْبِـهُ ورقَ السَّـنَـا ، ومنـهُ (376) صنف [له ورَق] (377) يُشْبِهُ ورق الزيتون العَرِيضَ في خِلْقَتِهِ ولوْنه إلاّ أنّه عريضُ الطَّرَفِ ، ولهُ أغصَانٌ طولُها نحوٌ من شِـبْـرٍ ، وَهو مُتَكَاثِفٌ يَلْذَعُ اللسَانَ ويَجْرَحُ (378) الحَلْقَ » ــ الاعتماد ، ص ص 167ظ ــ 168و .

(×) من الفارسية « مَازَرْيُون » .

(=) أدّي شير ، ص 144 ؛ تحفة ، 267 ؛ شرح ، 237 ؛ اليسوعي : غرائب ، ص 245 .

(٪) قد وقع كثيرٌ من الأطبَّاءِ عند الحديثِ عَنْ هذا النباتِ في الخَلْط بينَهُ وبيْنَ نباتٍ آخرَ إسْمُه العربيُّ « أسَدُ الأرض » . وهؤلاء الأطِبـاءُ

(373) في الأصل « يد » .
(374) في الأصل « أمد الارض » وهو تصحيف (انظر تعليقنا على هذه المادة) .
(375) إضافة يقتضيها المعنى .
(376) في الأصل « وهو » .
(377) إضافة يقتضيها المعنى .
(378) في الأصل « يخرج » .

– مِمَّنْ قبْلَ ابن الجزّار أو في عصره – هم الذين عنَاهُم بقوله هنا « بَعضُ الأطباءِ تسميه أسد الأرض » ولكن ابنَ الجزّار لم يقع هنا في هذا الخلْط لأنَّ وصفَه للمازَرْيُون يتطابقُ مع وصفِ ديوسقريديسَ لَه في « المقالات الخمس » (ص 366) . وقد بقيَ الخَلْط في هذا النباتِ متواصِلاً حتّى بعد ابن الجزّار ، وقد حلّل ابن البيطار في كتاب « الجامع » أسباب خلْطِهم بقوله في تعريف « أسد الأرض » : « زعم جماعة من الترَاجمَة المفسّرين أنه المازَرْيونُ ، وغلطوا في ذَلِكَ ، إنّما أسَدُ الأرض على الحقيقة هو الحِرْباءُ ويُسمَّى باليونانية « خَامَالاَوُن » ، واسمُ المازريُون باليونانيّة « خَامَالاَا » فتَدَخلَ عليهم الغلَطُ من هذا الاشْتِراكِ الواقع بينهُما في صُوَرِ حروفِ الأسمَاءِ ولم يُفَرِّقُوا من جَهْلِهِم بيْنَ « خَامَالاا » و« خَامَالاونُ » ، (« الجامع » ، 34/1 في ط . بولاق (وفيها بعض التصحيف في رسم المصطلحات) ، و81/1 (عدد 81) في الترجمة الفرنسية) . واسم المازريون باليونانيّة – «خامالاا» هو (Khamelaia) ؛ أما « أسَدُ الأرض » – « خامالاَوُن » – فهو (Khamaileôn).

132) [مــــاس] :

(:) (لم يُعرّف) – طبائع العقاقير ، ص 81ظ .

(×) من اليونانية (Adamas).

(=) اليسوعي : غرائب ، ص 253 .

(٪) أ) لم ترد هذه المادة في مخطوطة « الاعتماد » .

ب) الرسْم المشهورْ لهذا المصطلح بالألف واللاّم الاصليّتَيْن في أوّله ، أي « الألْمَاسُ » ، ولكنه قد يرد مجرَّدا منهُمَا كما هو هنا ، وكما رسمَهُ ابنُ البيطار في كتاب « الجامع » (مادة « ماس » ، 126/4 في ط. بولاق و272/3 (عدد 2064) في الترجمة الفرنسيّة) .

133) [مَامِـيرَان] :

(:) (لم يُعَرّف) – طبائع العقاقير ، ص 81و .

(×) من الفارسية «مَامِـيرَان » .

(=) تحفة ، 252 ؛ شرح ، 205 ، و241 .

(٪) لم ترد هذه المادّة في مخطوطة « الاعتماد » .

134) مَخِـيطَـا :

(:) « المخِـيطَـا هـو « السَّبَسْتَـانُ » (379) بالفـارسيَّـة ، وهو « المكساس » (380) بالسريانيّة ، وهو الدّبْقُ بالعربيّة ، وهي شجَـرةٌ تَعْلُو (381) علَى الأرْضِ القامةَ وأكْثرَ ، لهَا (382) خَشَبٌ ، لـونُ قِشْرِهَا وأغْصَانِهَا الخُضْرةُ ، ولَهَا (382) ورَقٌ مُدَوَّرٌ كَبِـيرٌ ، ولَهَا (382) عِنَبٌ في عنَاقِيدَ ، طعْمُه (383) حُلوٌ ، وعِنَبُها (384) في قَدْرِ الجِلَّـوْزِ وألْطَفُ ، يَكُـونُ أخْضَرَ ثم يَصْفَـرُّ ويَطِـيبُ ، في دَاخِلِه لُزُوجَةٌ بيْضَاءُ تَتَمَطَّطُ ، وحَبُّهُ كَنَـوَى الزيْتُونِ يُجْمَعُ ويُجَفَّفُ حتَّى يَصِـيرَ زَبِـيبًا ، وهو المسْتَعْمَلُ » – الاعتماد ص 132و .

(×) من اليونانية (Myxon).

(=) تحفة ، 254 .

---

(379) في الأصل « ساسبان » وهو تصحيف ، والسبستان : مصطلح من الفارسية « سيستان » ، أنظر : أدي شير ، ص 84 ؛ شرح ، 264 .

(380) كذا في الأصل ، ولم نعثر على هذا المصطلح عند غير ابن الجزار .

(381) في الأصل « تعلوا » .

(382) في الأصل « له » .

(383) في الأصل «طبعه » .

(384) في الأصل « عنبه » .

135) مَرْتَك :

(:) « المَوْتَكُ هو « المُرْدَ اسَنْجُ » ، وهو شَيْءٌ يُعْمَلُ من الرَّصَاصِ (...) صُلْبٌ ثَقِيلٌ بَرَّاقٌ أصْفَرُ » — الاعتماد ، ص 155و .

(×) من الفارسيّة « مَرْتَكْ » مُخَفَّفَة من « مُرْدَا سَنْك » .

(=) الجواليقي : المعرّب ، ص 365 ؛ أدّي شير ، ص 144 ؛ شرح ، 239 .

136) مَرْزَنْجُوش :

(:) « المَرْزَنْجُوشُ هو « المَرْدَقُوشُ » وتأويله « حبَقُ الفَتَى » (385) » — الاعتماد ، ص 182ظ .

(×) من الفارسيّة « مُرْزَنْ كُوش » .

(=) الجواليقي : المعرّب ، ص 357 ؛ أدّي شير ، ص 144 ؛ تحفة ، 253 ؛ شرح ، 236 ؛ اليسوعي : غرائب ، ص 245 ؛ المنجّد : المفصّل ، ص 71 وص 256 .

137) مَرْو (386) :

(:) « المَرْوُ (386) أربعَةُ ضُرُوبٍ ، وهو صِنْفٌ منَ الأحْبَاقِ حبُّهُ وورَقُهُ أغْبَرُ أحْرَشُ ، وهو « حَبَقُ الشُّيُوخ » وبَعْضُهُ يُسمَّى « مَرْدارُون » (387)(...)،وصنفٌ منه يُسَمَّى « أزْدَشِي رْدار » (388) ،

---

(385) كذا في الأصل ، وقد أورد أدي شير (ص 144) هذه العبارة أيضا . أما ابن البيطار في « الجامع » (6/2 في ط. بولاق و403/1 (عدد 586) في الترجمة الفرنسية فقد رسمها « حبق الفناء » ، ومعنى « مرزنجوش » الأصلي هو « آذان الفأر » .

(386) في الأصل « مزو » بالزاى ، وهو تصحيف .

(387) في الأصل « مزادون » ، وقد أصلحنا مصطلحات هذه الفقرة اعتمادا على ابن البيطار الذي أورد فقرة مطولة لاسحاق بن عمران (الجامع ، 149/4 في ط. بولاق و307/3 (عدد 2668) في الترجمة) تبين لنا أن ابن الجزار هنا ينقل عنها .

(388) في الأصل « ادرسي رزار » .

وصِنْفٌ منه يُسَمَّى « دَارَمَا » (389) وهو « مرْوُالجَبَلِ » (390) ويُسَمَّى عندنَا بافريقيَّة « أومَسْهَبُونَه » (391) وتفسيرُه « رجُلٌ صالِحٌ » (392) ويُجْمعُ في أيَّامِ الرَّبِيع ، ولهُ عودٌ مُربَّع خَوَّارٌ خَاوٍ ، وعلَى العُودِ زرِيعَةٌ تُشْبِه زرِيعَة الحَبَقِ والمَرْمَاحُورِ » — الاعتماد ، ص ص 165ظ — 166و .

(×) من اليونانية (Maron) .

(=) دوزي : الألفاظ الاسبانية ، ص 157 ؛ سيمونيت : المعجم ، ص 338 ؛ تحفة ، 261 .

(٪) ذهب أدّي شير (ص 145) إلى أنّ مصطلح « مرو » من الفارسية « مَرُو » ، وقد تابعه في ذلك اليسوعي في « الغرائب » ، ص 245 ، والمنجد في « المفصل » ، ص 72 .

138) مِسْك :

(:) « هو شيْءٌ يُجْمعُ من نَوافِجَ (393) مِنْ أسَافِلِ بُطُونِ دَوَابَّ نحْو الأرانِبِ (394) ، وأكثرُ مَا يكُون بالتِّبَت (395) وبالصّينِ » — الاعتماد ، ص 140و .

---

(389) كذا في الأصل، ورسم المصطلح عند ابن البيطار « داروما » في ط. بولاق و« دراما » في الترجمة الفرنسية .

(390) في الأصل « جزء الجبل » .

(391) كذا في الأصل ، ورسم عند ابن البيطار « أو سهومة » في ط. بولاق و « أومهبونة » في الترجمة الفرنسية . و المصطلح كما يبدو من تفسيره — لا تيني مركب من (Homo) — أي رجل — و (Bonus) أي طيب أو صالح .

(392) في الأصل « رخل صالح » .

(393) النوافج : مؤخرات الضلوع ، واحدتها نافجة ونافج : اللسان ، 683/3 (نفج) .

(394) كذا في الأصل ، ومن المعلوم أن الحيوان الذي يستخرج منه المسك هو نوع من الظباء يسمى « أيل المسك » .

(395) في الأصل « بقبت » ، وانظر تفاصيل أكثر عن المسك ومواضعه في كتاب « الجامع » لابن البيطار ، 155/4 — 156 في ط. بولاق .

(×) من الفارسيّة « مُشْك » .

(=) الجواليقي : المعرّب ، ص 373 ؛ اليسوعي : غرائب ، ص 245 ؛ المنجد : المفصل ، ص 73 و86 و148 و260 .

139) مَصْطَكَا :

(:) « المَصْطَكَا تُسَمَّى بالرّوميّة « الكِيُّهْ » (296)، وهو « العَلَكُ الرُّومِي » يُؤْتَى بِهِ مِنْ قُبْرُسَ ، وهي جَزِيرَةُ المَصْطَكَا من ناحِيَةِ إقْرِيطِشَ ، وهيَ صَمَغُ شَجَرَةٍ يُلْتَقَطُ فِي شِدّةِ الحَرّ ، وأجْوَدُ ما يَكُونُ أبيَضَ (397) برَّاقًا وكَانَتْ رائحَتُه طَيِّبَةً . والصَّفْرَاءُ من المَصْطَكَا دُونَ البيْضَاءِ ، ومنْهَا سودَاءُ » — الاعتماد ، ص 140و .

(×) من اليونانية (Mastikhê).

(=) الجواليقي : المعرّب ، ص 368 ؛ تحفة ، 251 ؛ شرح ، 232 ؛ اليسوعي : غرائب ، ص 269 .

140) مُومِيَا :

(:) « المُومِيَا بالفارسيّة ، وهو شيْءٌ أسْودُ ، يُشْبِهُ القَار (398) يتحلّبُ من عُيُونِ [مَاءٍ] (399). وهو [أيْضًا] (400) شَيْءٌ يُوجَدُ في القُبُورِ إذا حُفِرتْ ، وإنّما يُجْعَلُ فِي القُبُورِ لأنّهُ إذا جُعِلَ مع الميِّتِ لمْ يَمَسَّهُ الدُّودُ » — الاعتماد ، ص 186و .

(396) هو مصطلح يوناني أصله (Khiô) وهو اسم جزيرة « خيو » (Chio) انظر : دوزي : المستدرك ، 503/2 ؛ شرح ، 232 .

(397) في الأصل « ابيضا » .

(398) في الأصل « الغار » والاصلاح من جملة لديوسقريديس ذكر فيها أن الموميا « يلقيه الماء إلى الشواطىء وقد جمد وصار قارا » : انظر الجامع لابن البيطار 169/4 في ط. بولاق وقد وردت نفس الجملة محرفة في « المقالات الخمس » ، ص 77 .

(399) إضافة يقتضيها المعنى .

(400) إضافة يقتضيها السياق .

(×) من اليونانيّة (Moumia).

(=) دوزي : المستدرك ، 625/2 .

(٪) ذهب مترجَما التحْفة (فقرة 263) ومترجم الشّرْح (فقرة 234) واليسُوعيّ في « الغرائب » (ص 247) إلى أنّ « موميا » من الفارسية « مُومْ » وقد ذهبْنَا مذْهَب دوزي لأنّ الموميا — كما يقول ابن البيطار — « خَلْطٌ كَانَتِ الرُّومُ قديمًا تُلَطِّخُ بِهِ موتاهُمْ حَتَّى تُحْفَظ أجسَادُهم بحالِها ولا تتغَيَّر » — الجامع ، 169/4 ، على أنّه يمكن أنْ يكُون المصطلح اليونانيّ قد دخل العربيّة عن طريق الفارسية .

131) نَارَمُشْك :

(:) « النَّارَمُشْكُ بالفارسيَّة ، وتأويلُ « مُشْك » « الرمَّانُ » (401) وهو رُمَّانٌ صغيرٌ يتَفَتَّحُ كَأنَّه ورْدٌ ، ولونُه ما بيْن البياضِ إلى الحُمْرةِ والصُّفْرَةِ ، وفي وَسَطِهِ نَوَّارٌ لوْنُه كَذَلِكَ ، وطَعْمُه عَفِصٌ ورَائِحَتُه طيِّبَةٌ ويُؤْتَى بِه منْ خُراسَانَ » — الاعتماد ، ص ص 137ظ — 138و .

(×) من الفارسية « نَارَمُشْك » .

(=) دوزي : المستدرك ، 631/2 ؛ أدّي شير ، ص 152 ؛ تحفة ، 287 ؛ شرح ، 250 .

142) نَانَخَة :

(:) « النَّانَخَةُ حَبٌّ صغيرٌ بيْنَ الحُمْرَةِ والصُّفْرَةِ ، تُسَمَّى بالروميَّة « باسِلِيقْيَا » (402) وتُسمَّى بالسريانيَّة « التِّينْيَا » (403)

---

(401) كذا في الأصل والصواب أن « مشك » هو المسك بالعربية والمعنى التام للمصطلح هو « رمان المسك » : انظر أدي شير ، ص 152 .

(402) في الأصل « اسليبيا » ، ولا شك أن المصطلح محرف من « باسليقون » فقد ذكر ديوسقريديس في « المقالات الخمس » (ص 268) ان « من الناس من سماه باسليقون » ، أما الاسم اليوناني الذي يطلق على النانخة فهو (Ammi) ، انظر تحفة ، 284 .

(403) في الأصل « اليمسا » وقد أصلحناه من « الصيدنة » للبيروني ، ص 359 .

وتُسَمَّى بإفريقيةَ « خبزَ الفَراعِنَة » (404) ، وهو بزْرُ بقْلَةٍ تعلُو (405) علَى الأرضِ الذرَاعيْنِ ، تُشْبِه شجرًا طويلاً (406) ولهَا غصونٌ (407) لُجٌّ خضْرٌ في رؤُوسِهَا نَقَارِيسُ خُضْرٌ نوَّارُهَا أبيَضُ وفيهَا يكُون حبُّ النَّانَخَةِ ويُجْمعُ البزْرُ في حزَيْرَانَ وهو المسْتَعْملُ منْهَا » — الاعتماد ، ص ص 179ظ — 180و .

(×) من الفارسية « نَانَخْوَاهْ » .

(=) البيروني : صيدنة ، ص 359 ؛ دوزي : المستدرك ، 632/2 ؛ أدّي شير ، ص 155 ؛ شرح ، 259 ؛ اليسوعي : غرائب ، ص 246 .

143) نَرجِسٌ (408) :

(:) « النرجِسُ (408) نوّار دَاخِلُه أصفَرُ وخارجُه أبيضُ ، وله ورقٌ أخْضَرُ طويلٌ يشبِهُ ورَقَ الكراثِ ورائحتُه طيِّبةٌ ولَهُ مزاودُ تَخْلُفُ نوَّارَهُ فيها حبٌّ صغيرٌ أسْودُ ، وأصْلُهُ بَصَلٌ والمستعْمَلُ منْه بَصَلُه ونوَّارُه » — الاعتماد ، ص 150ظ .

(×) من الفارسية « نَرْكِس » .

(=) الجواليقي : المعرّب ، ص 379 ؛ أدّي شير ، ص 151 ؛ شرح ، 245 ؛ المنجّد : المفصّل ، ص 79 .

---

(404) في الأصل «دون القرابعة». وقد اعتمدنا في قراءة هذا المصطلح «كشف الرموز» لعبد الرزاق الجزائري ص 164 في النص العربي (ط. الجزائر 1916) و ص 239 (عدد 586) في الترجمة الفرنسية (ترجمة لوسيان لكلرك ط. باريس 1874) وعلى « معجم أسماء النبات » لأحمد عيسى ص 41 عدد 3 .

(405) في الأصل « تعلوا » .

(406) في الأصل « شجر طويل » .

(407) في الأصل « غصن » .

(408) في الأصل « نرجص » بالصاد .

144) نِسْرِين :

(:) « النِّسْرِينُ نوَّارٌ أبيضُ ، وهو وَرْدٌ برِّيٌّ ، شَجَرهُ شَبِيهُ شَجَرِ الوَرْدِ ، ونَوَّارُهُ يُشْبِهُ نوَّارَ الوَرْدِ ، وسمَّاهُ بعضُ النَّاسِ « وَرْدَ صِينِي » (409) وأكثرُ ما يُوجَدُ مع الورْدِ الأبْيَضِ » — الاعتماد ، ص 157ظ .

(×) من الفارسيَّة « نَسْرِين » .

(=) دوزي : المستدرك ، 667/2 ؛ أدّي شير ، ص 153 ؛ شرح ، 253 ؛ اليسوعي : غرائب ، ص 247 .

145) نُشَادِر :

(:) « النُّشَادِر هو ملْحٌ أبيَضُ وأحْمَر يُسْتَخْرجَان من معَدِن حَصَى (410) وهْو صُلْبٌ صافٍ مذاقتُه مالِحَةٌ حَدِيدةٌ جِدًّا يُؤْتَى به من خُراسَان » — الاعتماد ، ص 210و .

(×) من الفارسية « نُوشَادر » .

(=) أدّي شير ، ص 153 ؛ اليسوعي : غرائب ، ص 247 .

146) نُعْمَان (شَقَائِقُ ال) :

(:) « شَقَائِقُ النُّعْمَانِ صِنْفَانِ : [مِنْهُ] (411) بَرِيٌّ ومنهُ بُسْتَانِيٌّ ومن البسْتَانيّ مَا زهْرهُ أحمرُ ومنْهُ مَا زهْرُهُ إلى البيَاضِ ،

---

(409) في الأصل « ورد صين » والإصلاح من « الجامع » لابن البيطار (179/4 في ط. بولاق و369/3 (عدد 2222) في الترجمة الفرنسية ، وفيه فقرة لابن عمران قد نقلها ابن الجزار هنا .

(410) كذا في الأصل ، ولعل الصواب « عيون حمأة » كما عند ابن البيطار في « الجامع » 185/4 في ط. بولاق .

(411) إضافة يقتضيها السياق .

ولَهُ ورقٌ شَبِيهٌ بورَقِ الكُزْبُرِ (412) إلاّ أنَّهُ أدَقُّ ، وأمَّا البَرّيُّ فإنَّه أعْظَم مِنَ البسْتَانيّ وأعرَضُ ورَقًا مِنْهُ وأصْلَبُ ، ورُؤُوسُه للطُّولِ (413) ولوْنُ زَهْرِهِ أحْمر قَانِيءٌ » ـ الاعتماد ، ص 119ظ .

(×) من اليونانية (Anemônê).

(=) الكرمليّ : الكلمُ اليونانية ، 85 ؛ تحفة ، 441 ؛ شرح ، 359 .

(٪) كانَ الاعتقادُ الغالبُ عند العَرب هو أنّ هذا النباتَ منْسُوبٌ الى النُّعْمان بن المنذرِ ملِكِ الحيرةِ في العراق (انظر ملخَّص تلك الآراء عند ابن منظور في «اللسان» ، 341/2 ، مَادّة «شقق») . وقد تَوَاصَلَ هذا الاعْتِقَادُ حتّى العَصْرِ الحديثِ (انظر مثلا أحمد عيسى في « معجم أسْماء النبات ، ص 17 عدد 6) ، ولعَلّ أولَ من تفطَّنَ إلى خطإ هذا الاعتقاد الأب انستاس مارى الكرمليّ في بحثه المذكور أعلاَه ، فأعاد المصطلح العربيّ إلى أصْله اليوناني . وقد نَاقشَ نفس المسْألة مُتَرجِما التحفَة ومترجمُ الشَّرْحِ ، وانتهوا إلى ما انتهَى إليه الأب الكرمليّ .

147) [نَفْـط] :

(:) (لم يعرف) ـ طبائع العقاقير ، ص 81و .

(×) من اليونانية (Naphtha).

(=) تحفة ، 150 ؛ اليسوعي : غرائب ، ص 271 .

148) نِيلَـج :

(:) « النيلَجُ يُسَمَّى الطِّينَ الأخْضَرَ ، وتُصْبَغُ (414) بِه الثّيابُ وشجَرتُه مِنْها بُسْتَانِيٌّ ومنها بَرّيٌّ ، وفيه عُفُوصَةٌ وشَيْءٌ مِن مَرَارَةٍ » ـ الاعتماد ، ص 136ظ .

---

(412) في الأصل « الكزبرة » .

(413) في الأصل « ورونسه لطول » وهو تصحيف .

(414) في الأصل « يسبغ » .

(×) من الفارسيّة « نـيلَــه » .

(=) أدّي شير ، ص 155 ؛ تحفة ، 292 ؛ شرح ، 249 ؛ اليسوعي : غرائب ، ص 248 .

149) نَيْلُوفَــر :

(:) « النيلوفَرُ شجَرةٌ عريضَةُ الورَقِ ، تنبُتُ في دَاخِلِ المَاءِ ، ولَوْنُ وَرقِها إلَى الصُّفْرةِ أخضَرُ ، ولَهَا نقارِيس مدوَّرَةٌ فيهَا نوَّارٌ أصْفَر ثمّ يَسْقُطُ (415) ذَلِكَ النوَّارُ وتَعْقُبُه ثَمَرةٌ لَهَا قِشْرٌ تُشْبِهُ صَنَوْبَرَ المُلُوكِ يُقَالُ لَهَا « فُسْتُقُ المَاءِ » وتُكْسَرُ ويُؤْكَلُ ما بِدَاخِلِهَا (416) وهو أخْضَرُ » ــ الاعتماد ، ص 159ظ .

(×) من الفارسية « نِـيلُـوبَــر » .

(=) أدّي شير ، ص 156 ؛ تحفة ، 288 ؛ شرح ، 252 ؛ اليسوعي : غرائب ، ص 248 .

150) هِنْدَبَــا :

(:) « الهِنْدَبَا صِنْفَانِ : منه صَيْفِيٌّ ومنْهُ شِتْوِيٌّ » ــ الاعتماد ، ص 136ظ .

(×) من اليونانيّة (Intybos).

(=) سيمونيت : المعجم ، ص 184 ؛ تحفة ، 124 ؛ منتخب ، 263 ؛ شرح ، 144 ؛ اليسوعي : غرائب ، ص 271 .

---

(415) في الأصل « يبقى » وهو تصحيف .

(416) في الأصل « ماداخلها » .

151) هيُوفَارِيقُون :

(:) « الهيُوفَارِقُونُ يُسَمَّى بالسريانية « النوارقن » (417) وتأويلُه المُدَوَّرُ الوَرَقِ ، وبالفارسيَّة « فَاشِرَسْتِين » (418) وبالبربَرِيَّة « وَرْحَالُون » (419) ، وهي بقْلَةٌ يُشْبِهُ ورقُهَا ورَقَ القُثَّاء في الخلْقة والقدْرِ ، وهي أشَدُّ حُرُوشَةً منْها ، ولها قُضْبَانٌ تُشْبِهُ قُضْبَانَ القُثَّاء ، ولَهَا (420) عُروقٌ تُشْبِه عُرُوقَ الحَنْظَلِ ، بِيضٌ إلى الصفْرَة ، ولها نوّارٌ أصْفَرُ يُشْبِهُ نَوَّارَ قُثَّاءِ الحِمَارِ ويكونُ في أطْرَاف قُضْبَانِهَا عُنْقُودٌ صَغِيرٌ إلَى الصُّفْرَةِ [فيه] (421) زَرِيعَةٌ تُشْبِهُ زَرِيعةَ البَاذنْجَانِ (422) (...) والمسْتَعْملُ مِنْهُ الحَبُّ الأحمَرُ الذِي في العَنَاقِيدِ بمَا في دَاخِلِه » — الاعتماد ، ص 179و .

(×) من اليونانية (Hypérikon).

(=) دوزي : المستدرك ، 776/2 ؛ **تحفة** ، 125 ؛ **منتخب** ، 266 ؛ **شرح** ، 115 .

(=) قد خلط ابنُ الجزّار في هذه الفقرة بيْنَ نوعيْنِ من النباتِ ، هما « هيُوفَارِيقُون » و« بْرُوَانْيَا » والبروَانيا (Byonia) هو الذِي يُسَمّى بالبرْبريّةِ « ورْحَالُون » — ويُسَمّى صِنْفٌ منه بالسّريانية

---

(417) كذا في الأصل ، والملاحظ أن ابن الجزار في هذه الفقرة قد أخطأ في تحديد هذا النبات ، ولذلك فإن ما ذكره من مصطلحات لا تنطبق عليه (انظر تعليقنا على هذه المادة) .

(418) في الأصل « الفاشرسين » وهو تصحيف و« الفاشرستين » مصطلح سرياني (انظر أدي شير ص 120) .

(419) كذا في الأصل وقد ورد هذا المصطلح عند ابن البيطار مختلفا فقد رسم عنده « ورحالوز » و« وراجالوز » (154/3 و192/4 في ط. بولاق) و« ورجالوز » و«ورحالوز » (18/3 عدد 1694 و412/3 عدد 2286 في الترجمة الفرنسية) وهو يقابل عنده « الفاشيرا » وهو « الكرمة البيضاء » بالعربية .

(420) في الأصل « وله » .

(421) وردت الجملة في الأصل مضطربة : « ولها نوار أصفر يشبه نوار قثاء الحمار ، ويكون في أطراف قضبانها عنقود صغير إلى الصفرة يشبه نوار قثاء الحمار ، ويكون في أطراف قضبانها زريعة تشبه ... » وقد حذفنا من الجملة ما اعتبرناه زائدا .

(422) في الأصل « البادنجال » .

« فَاشِرَسْتِين » — ويُسَمَّى بالفارسية « هَزَارْجِشَان » وبالسّريانيّة « فَاشِرًا » ، وهو يُسمّى بالعربيّة « الكرمةَ البيضاءَ » . وقد تحدّث ديوسقريديسُ عنْ هذيْن النباتيْن في موضِعَيْن مختلفيْن وعرّفَ كل واحدٍ منْهُمَا مُسْتَقِلاًّ عن الآخرِ في « المقالات الخمس » (ذكر « الهيوفاريقون » في ص 306 و« البروانيا » في ص ص 368 — 370) . والحقيقةُ أنّ ابنَ الجزّار قد اتّبعَ في هذا الخطإ إسْحَاقَ بنَ عِمْرانَ ، وقد نبّهَ ابنُ البيْطار إلى ذلك في كتابِ « الجامع » (201/4 في ط. بولاق) بقوله : « زعمَ اسْحاقُ بنُ عِمْرانَ أن الهيوفارِيقُونَ هو الفَاشِرَا ، وهذا من أعْظَمِ الخَطَإِ (...) وتابَعَهُ على ذلك جماعةٌ منهُم ابنُ الجزّار في كتاب « الاعْتِمَادِ » وغَيْرُه » .

152) وَجّ :

(:) « هو « الأشبَطِيلَةُ » (423) يَصِيرُ بيْن الزَّرْعِ ، وهو (424) « الأقَارُونُ » (425) بالرّوميّةِ ، وهو « الوجُّ » (426) بالفارسيَّة وهو عرْقٌ أبيَضُ إلى الصفْرةِ ، وفيه كَطَعْمِ مَرَارَةٍ » — الاعتماد ،ص 142و.

(×) من الفارسيـة « وجْ » .

(=) البيروني : صيدنه ص 368 ؛ أدّي شير ، ص 159 ؛ تحفة ، 129 ؛ منتخب ، 272 ؛ شرح ، 125 .

(423) هو مصطلح لاتيني أصله (Spatula) ؛ انظر : سيمونيت : المعجم ص ص 193 — 194 وشرح ، 125 .

(424) في الأصل « هو » فقط بدون واو العطف .

(425) في الأصل « الافاروق » وهو تصحيف ، والأصل اليوناني للمصطلح هو (Akoron) .

(426) في الأصل « اللوج » بلامين ، وهو تصحيف .

153) وُشَّــق :

(:) « الوُشَّــقُ هو « الأشَّــجُ » (427) بالفارسيَّــة ، وهو بالروميَّة « أمُّنْيَــاقُن » (428) وهو صمغُ نبَاتٍ ، وزعم بعضُ الأطبَّاءِ أنّه صمغُ الكَلَخِ » ــ الاعتماد ، ص 192و .

(×) من الفارسيّة « أشَــهْ » .

(=) أدّي شير ، ص 11 ؛ تحفة ، 29 ؛ شرح ، 124 ؛ المعجم الكبير ، ص 315 .

154) يَاسَمِــين :

(:) « الياسَمِــينُ منهُ أبْيَضُ ومنه أصْفَرُ » ــ الاعتماد ، ص 157و .

(×) من الفارسيّة « يَاسَمِــين » .

(=) الجواليقي : المعرّب ، ص 404 ؛ أدّي شير ، ص 160 ؛ شرح ، 181 ؛ اليسوعي : غرائب ، ص 249 ؛ المنجّد : المفصّل ، ص 80 .

155) يَاقُــوت :

(:) « الياقُوتُ ثلاثةُ أجْنَاسٍ : الأحْمَرُ والأصْفَرُ والكحْلِــيُّ ، فالأحْمَــرُ أشرفُهَــا وأنْفَسُهَــا ، وهو حجَــرٌ إذا نُفِــخ عَلَيْــه في النَّارِ ازْدَادَ حُسْنًا وحُمْـرَةً ، وإذَا كانَــتْ فِــيه نكْتَــةٌ (429) شديدَةُ الحمْـرةِ ونُفِــخَ عَلَيْــه في النَّــارِ انبسَطَتْ في الحَجَــرِ فَشَفَتْه من تلك الحمرَةِ وحسَّنَتْه وإنْ كَانَــتْ فِــيه نكتَةٌ (429) سودَاءُ انفطَرَ سوَادُها ،

(427) في الأصل « اللسج » وهو تصحيف ، والمصطلح يكتب « أشق » و« أشج » و« وشج » أيضا : انظر « الجامع » لابن البيطار ، 34/1 و193/4 في ط. بولاق .

(428) في الاصل « امريافد » وهو تصحيف ، والمصطلح يوناني أصله : (Ammôniakon) .

(429) في الأصل « نكثه » بالثاء المثلثة وهو تصحيف .

والأصفر من الياقُوتِ أقلُّ صبْرًا على النار من الأحْمَرِ . فأمَّا الكحليُّ فلاَ صبْرَ لَهُ البتَّةَ على النارِ . وجميعُ ألوانِ الياقوت لا تَعْمَل فِـيهِ المبَارِدُ » — الاعتماد ، ص 134و .

(×) من اليونانية (Hyakinthos).

(=) الجواليقي : المعرّب ، ص 404 ؛ سيمونيت : المعجم ، ص 278 وص 610 ؛ اليسوعي : غرائب ، ص 271 .

خاتمـــة :

إنّ كتابَ « الاعتماد » لابن الجزّار شاهدٌ حيٌّ على متانة الصّلَةِ التي كانت بين اللغةِ والثقافَةِ العربيَّتَيْنِ في ميدانَيْ الطبّ والصيدَلَةِ وغيرهما من اللغَاتِ والثقافات . فاللغة العربيَّة — كما تبدُو عند ابن الجزار في كتابه هذا — قد استطاعَتْ رغم حدَاثَةِ عهْدِهَا بعلمَيْ الطبّ والصيدَلة أن تستوْعِبَ بِيُسْرِ المصطلحاتِ الأعْجمِيَّةَ في مستوى المُعْجَمِ ، فكانَتْ — بذلك — لغَةً علميَّةً بحقّ ، حيَّةً متطوّرةً متقدّمَةً . والثقافة العربيَّة قد استطاعت هي أيضا — وليس عهدُ البدَاوَةِ عنْها بِبَعِـيدٍ في عصْر ابن الجزّار — أنْ تستوْعِبَ بسهُولةٍ نتَاجَ الثقافَاتِ الطبيَّة والصيدليَّة الأخرَى ، وخاصّة الثقافةَ اليونانيَّةَ . فقد أفْقَدَتْ تلك الثقافاتِ الأعْجميَّةَ عُجْمَتَهَا وصيرَّتْها جُزْءًا منْها مُنْدَمِجًا فِيهَا غيْرَ غريبٍ عنْها ، فكانت الثقافَةُ العربيَّـةُ — بذلك — ثقافَةً حركيَّـةً نَشِطَـةً في كتاب ابن الجـزّار .

ومَا وَصَلَتْ إليْه اللغةُ والثقافةُ العربيَّتَان من حركيَّةٍ وتطوُّر عندَ ابن الجزّار ناتِجٌ بدون شَكّ عن موقفِ هذَا الطبيبِ العربيّ الجَليل من اللغَاتِ والثقافَات الأعْجميَّةِ ، وموْقفِه من العِلْمِ عمومًا ، فهو لا يقِفُ

من تلك اللغاتِ والثقافاتِ موقفًا « عُدْوانيًّا » إيدْيُلُوجيًّا مُنْطَلَقُه الخوفُ على العُروبَةِ والإسْلاَمِ والشخصيَّة العربيَّةِ الإسْلاَمية ، بل كانَ يَرَى فيهَا وسَائِلَ مجرَّدَةً من المضَامينِ السياسيَّةِ ، يَتَحتَّمُ عليْهِ الاعتمادُ عليْهَا والاقتراضُ منْها لتطوير الاختصَاصِ العِلْميّ الذي يعْنيه . وهو يَرى في العِلْمِ تطبيقًا لما انتهَت إليه معارفُ الإنسانِ ، الغايةُ الأولى والأساسيَّة منْه هيَ ترقيَةُ الإنسان نفْسه ، وليسَ العلمُ عندَه تنظيرًا يُوَظَّفُ لخدمة مذْهبٍ أو إيديُولوجيَّة مَّا .

ولاشكّ أنّ هذا الموقفَ هو الذي جعَل ابنَ الجزّار يعتبر الاقتراضَ اللغويَّ والأخذَ من الثقافاتِ الأخْرى وسيلتيْن مُهِمَّتَيْن لترقيةِ اللغَة والثقافة العربيّتيْن في ميدانَيْ الطبِّ والصيدلَة . فالاقتراضُ اللغويّ عنده وسيلَةٌ من وسائل الخَلْقِ المعجَميّ والتوْليدِ اللغويّ تُمكّنُه من سَدّ الفَراغَاتِ الموْجودَةِ في المُعْجَمِ العربيّ الطبيّ والصيدليّ في عَصْره ، والأخْذُ من الثقافاتِ الأخرى بالنسبَة إليْه ضرورةٌ حضاريَّة لا غَنَاءَ عنها لخَلْقِ ثقافةٍ عربيَّةٍ إسلاميَّة طبيَّة وصيدليَّة متقدّمة .

ونحنُ نَرى أنّ ابن الجزَّار بهذا المَنْحَى الذي نَحَاهُ — بتفتّحِه على اللغَاتِ والثقافات الأعجميّةِ — قد أقَرَّ منذ القديمِ مبدَأ قد أصبَح اليومَ من البديهيَّاتِ اليقينيَّاتِ حَولَ قضيَّةِ الاتصَال والتمازُحِ بين اللغَات والثقافَات ، وهو أنّ أيَّ لغَةٍ وأيَّ ثقافة مهما تكونَا منعزلتيْن ومهما يكُنْ أهْلُوهُمَا محافظِين لا يمكن لهُما بأيّ حال أن تَتخلّصَا من تأثيرِ اللغَاتِ والثقافَات الأخْرى فيهمَا (430) . فالتقَارُضُ بينَ اللغَاتِ

(430) انظر في ذلك :
Guilbert (Louis) : La Créativité lexicale, 1ère éd., Paris (Larousse), 1975, (285 p.), p. 89.

والثقافات ظاهرة كونية ليس لأحد أن ينكرها (431) . ولقد تواصل هذا المبدأ الذي أقره ابن الجزار بعده وظل قويا طيلة ما نصطلح على تسميته بـ« العصر الذهبي » للثقافة العربية الاسلامية في الطب والصيدلة (432) . وما أحوجنا اليوم إلى مراجعة تراثنا الطبي والصيدلي فنستقرئه استقراء صحيحا ، وندرس — انطلاقا منه — قضية الاقتراض اللغوي والثقافي في التراث العلمي العربي الاسلامي دراسة موضوعية بعيدة عن المواقف المذهبية والاهواء والمنازع الخارجة عن اللغة ، وننزل هذه القضية المنزلة التي تستحقها في أعمالنا المعجمية خاصة والعلمية عامة .

إبراهيم بن مراد

---

(431) انظر : رشاد الحمزاوي : « التداخل الأسلوبي في الفرنسية والعربية » ، في « حوليات الجامعة التونسية » ، 11 (1974) ، (ص ص 27 — 38) ، ص 38 .

(432) ذلك ما انتهينا إليه في اطروحة لنا جامعية قد انتهينا منها موضوعها « المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة العربية » ، فما وجدناه عند ابن الجزار هنا في هذا البحث قد وجدناه أيضا عند أبي جعفر أحمد الغافقي (ت 560هـ/1165م) في كتابه «الادوية المفردة»، وعند ابن البيطار (ت 646هـ/1248م) في كتابه «الجامع»، بل وجدنا أن ظاهرة الاقتراض اللغوي — خاصة — قد تواصلت قوية حتى القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي)، فهي متميزة عند عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري (ت بعد 1161هـ/1748م) في كتابه « كشف الرموز » .

مصادر البحث ومراجعه (*)

1 — المصادر :

1) الاعتماد : كتاب « الاعتماد في الأدوية المفردة » لاحمد بن الجزار القيرواني . قد اعتمدنا منه على :

أ) مخطوطة المكتبة الوطنيّة بالجزائر ، رقم 1476 (5) . (وقد اعتمدناها أصلا في هذا البحث) .

ب) مخطوطة المكتبة الوطنيّة بتونس ، رقم 20327 (2) ، (وهي قطعة صغيرة من الكتاب في 11 ورقة ، ورمزنا إليها بحرف (ع) في هذا البحث) .

2) طبائع العقاقير : « صِفَـةُ طبائع العقـاقير على مذهب ابن الجزّار في كتـاب الاعتمـاد » لمؤلّفٍ مجهـول ، مخطوطـة المكتبـة الظاهريّـة بدمشق ، رقـم 136 (5) ط — م . وقـد نشـرنـا — وهـذا البحـث تحـت الطبـع — نصّ هـذا المختصر محقّقـا في بحثنـا :

« Les propriétés des médicaments d'après Ibn Al-Ğazzār », in : IBLA, 151 (1983-1), (pp. 43-76), pp. 53-74.

(*) لم نثبت في هذه القائمة إلا المراجع التي أحيل إليها أثناء البحث أكثر من مرة واحدة ، وقد رمنا إليها بمختصرات لعناوينها التي راعيناها في ترتيب هذه القائمة وقد عربنا عناوين المراجع الأعجمية واتخذنا لها مختصرات هي أيضا مثل المراجع العربية والمعربة. على أننا قد اهملنا إثبات « دائرة المعارف الاسلامية » — التي اعتمدناها في طبعتيها القديمة والجديدة — في هذه القائمة لأنها من وضع مؤلفين كثيرين، وقد رمزنا إليها أثناء البحث بـ (EI 1) و (EI 2) وحافظنا على الرسم الأعجمي لأسماء المؤلفين الذين اعتمدناهم منها .

2 – المراجـع :

1) ابن الجزّار القيروانيّ : « أحمد بن ابراهيم بن الجزار القيرواني ، سيرته ومؤلفاته » لسليمان قطاية ، بحث في مجلة المورد العراقية ، المجلد 9 ، العدد الأول ، 1980 ، ص ص 47 – 60 .

2) أدّي شير : « كتاب الألفاظ الفارسيّة المعرّبة » للمطران أدّي شير الكلداني (ت. 1915م) ، ط 1 ، بيروت ، 1908 (194ص) .

3) الألفاظ الاسبانية : (لدوزي وانقلمـان) .
« Glossaire des mots espagnols et portugais dérivés de l'arabe », par R. Dozy et W.H. Engelman, 2èm éd., Leyde, 1869 (425 p.).

4) البيان المُغْـرب : « البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب » لابن عذاري المراكشيّ (ت. بعد 712هـ/1312م) ، نظرنا في الجزئين الأول والثاني تحقيق ج. س كولان وليفي بووفنسال ، ط. ليـدن ، 1948 .

5) تاريخ : « تاريخ الأدب العربـي » لكارل بروكلمان ، الترجمة العربيّة ، تعريب عبد الحليم النجار ويعقوب بكر ورمضان عبـد التواب (صدر منها ستة أجزاء) ط 1 ، القاهرة بداية من سنة 1960 .

6) تاريخ الحكماء : « تاريخ الحكماء وهو منتخب الزوزني المسمّـى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء » لجمال الدين القفطي (ت. 646هـ/1248م) تحقيق يوليوس ليـّر ، ط 1 ، ليبرزيق ، 1903 (495 + 22 ص) .

7) تاريخ الطبّ العربـيّ : (للكلـرك) .
« Histoire de la médecine arabe » par Lucien Leclerc, 1ère éd., Paris 1876, (2 vol.).

8) تحفة : « كتاب تحفة الأحباب في ماهية النبات والأعشاب » لمؤلف مغربيّ مجهول ، حقق النص العربيّ وترجمه إلى الفرنسية هـ. رنو(H. Renaud)

وجورج كولان(G. Colin)ط 1 ، باريس ، 1934 (75 + 218 ص ، والاحالات إليه عندنا تعيد إلى أرقام الفقرات فيه) .

9) التراث العربي : (لسزكين) .

« Geschichte des Arabischen Schriftums » par Fuat Sergin, 1ère éd., Leiden 1967-1974 (5 vol.).

10) الجامع : « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية » لعبد الله بن أحمد بن البيطار (ت. 646هـ/1248م) ط 1 ، بولاق 1291هـ/1874م (أربعة أجزاء في مجلدين) وقد اعتمدناهُ في ترجمته الفرنسية أيضا :

« Le traité des simples d'Ibn El-Beîthâr ». trad. franç. par Lucien Leclerc, 1ère éd., Paris, 1877-1883 (3 vol.).

11) زاد المسافر : (لدوقا)

« Etude sur le traité de médecine d'Abou Djafar intitulé Zad al-Moçafir » par Gustave Dugat, in : Journal Asiatique, N° d'avril-août 1853, pp. 189-353.

12) سياسة الصبيان : « سياسةُ الصبيان وتدبيرُهم » لأحمد بن الجزار ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة ، ط 1 ، تونس ، الدار التونسيّة للنشر ، 1968 (194 ص).

13) شرح : « شرح أسماء العقار » تأليف الشيخ الرئيس أبي عمران مُوسَى بن ميمون القرطبيّ (ت. 601هـ/1204م) حقق النص العربيّ وترجمه إلى الفرنسية ماكس مايرهوف (M. Meyerhof) ، ط 1 ، القاهرة 1940 (69 + 258 ص ، والاحالات إليه تعيد إلى أرقام الفقرات) .

14) صيدنة : « كتاب الصيدنة في الطبّ » لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني (ت. 440هـ/1048م) حقّق النصّ وترجمه إلى الانقليزية محمّد سعيد ورنا إحسان إلهي ، ط 1 ، كراتشي (الباكستان) ، 1973 (430 + 376 ص ، وإحالاتنا تعيد إلى النصّ العربيّ) .

15) الطبقات : « طبقات الأطبّاء والحكماء » لسليمان بن حسّان بن جلجل (ت. بعد 384هـ/994م) ، تحقيق فؤاد السيّد ، ط 1 ، القاهرة ، 1955 (138 ص) .

16) طبقات الأمم : « كتاب طبقات الأمم » لأبـي القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسيّ (ت. 462هـ/1069م) تحقيق لويس شيخو ، ط 1 ، بيروت ، 1912 (124 + 16 ص) .

17) العيـون : « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » لموفق الدين بن أبـي أصيبعـة (ت. 668هـ/1270م) تحقيـق أوغست مـوللر (Müller) ط 1 ، القاهرة ، 1299هـ/1882م (جزآن) .

18) غرائب : « غرائب اللغة العربيّة » لرفائيل نخلة اليسوعي ، ط 2 ، بيروت 1960 (328 ص) .

19) الكَلِمُ اليونانيّة : « الكلم اليونانية في اللغة العربيّة » لأنستاس مارى الكرمليّ (ت. 1947) بحث صدر في مجلّة المشرق، (بيروت)، 2 (1899) ص ص 345 — 349 ؛ 489 — 491 ؛ 840 — 847 ؛ 923 — 928 ؛ 1046 — 1048 ، و3 (1900) ص ص 63 — 69 ؛ 318 — 322 ؛ و4 (1901) ، ص ص 252 — 261 (وفي البحث 135 فقرة ، والاحالات تعيد إلى أرقام الفقرات) .

20) اللسـان : « لسـان العـرب » لابن منظـور الافريقـي (ت. 711هـ/1311م) ، إعداد وتصنيف يوسف الخياط ، ط 1 ، بيروت ، بدون تاريخ ، (3 أجزاء) .

21) مختصر الدّول : « تاريخ مختصر الدول » لأبـي الفرج غريغوريوس ابن العبريّ (ت. 684هـ/1286م) تحقيق أنطون صالحاني اليسوعي ط2، بيروت، 1958 (346 ص) .

22) المسالك : « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » لابن فضل الله العمريّ ، (ت. 749هـ/1348م) ، نظرنا في الجزء الخامس ، مخطوطة معهد المخطوطات العربية رقم ف 26 ، معارف عامة (626 لوحة) .

23) المستدرك : (لدوزي)
« Supplément aux Dictionnaires arabes », par R. Dozy, 3ème éd., Leyde-Paris, 1967 (2 vol.).

24) المصادر التونسية : « المصادر التونسية في كتاب « الجامع » لابن البيطار » لابراهيم بن مراد ، بحث صدر في مجلة الحياة الثقافية (تونس) في جزئين ، الأول في 8 (1980) ، ص ص 117 — 158 ، والثاني في 10 (1980) ص ص 107 — 144 .

25) المعجم : (لسيمونيت)
« Glosario de Voces Ibericas y Latinas usadas entre Los Mozarabes », par F.J. Simonet, 1ère éd., Madrid, 1888 (CCXXXVI + 628 p.).

26) معجم أسماء النبات : « معجم أسماء النبات » لأحمد عيسى (ت. 1946) ، ط 1 ، القاهرة ، 1930 ، (227 + 64 ص) .

27) المعجم الكبير : « المعجم الكبير ، حرف الهمزة » ، وضع لجنة من مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، لم يصدر منه إلا الجزء الأول ، ط 1970 القاهرة .

28) المعرّب : « المعرّب من الكلام الأعجمي » لأبي منصور الجواليقي (ت. 540هـ/1145م) تحقيق أحمد محمد شاكر ، ط 2 ، القاهرة ، 1969 (503 ص) .

29) المغْرِب : « المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك » لأبي عبيد البكريّ (ت. 487هـ/1094م) ، نشر

البـارون دوسـلان (De Slane) ط 1 ، الجـزائـر ، 1857 (212 + 19 ص) .

30) المفصّل : « المفصّل في الألفاظ الفارسيّة المعرّبة » لصلاح الدين المنجّد ط 1 ، بيروت ، 1978 (287 ص) .

31) المقالات الخمس : « المقـالات الخمس » لديوسقريديس العيـن زربـي ترجمـة حنيـن بن اسحاق واصطفن بن بسيـل ، تحقيـق قيصر دوبـلار (C. E. Dubler) والياس تـراس (E. Teres) ط 1 ، تطـوان (المغـرب) ، 1957 (626 ص + 180 ص) .

32) المقدّمة : (لسارتون)

« Introduction to the History of Science », par Georges Sarton, Baltimore, 1927-1948 (3 vol.).

33) منتخب : «منتخب جامع المفردات لأحمد الغافقي» (ت. 560هـ/1165م) وضع المنتخب أبو الفرج غريغوريوس ابن العبرى ، حقق موادّ الحروف الستة الأولى منه وترجمها إلى الانقليزية ماكس مايرهوف وجورجـي صبحي ، أربعة أقسام ، ط 1 ، القاهرة 1932 ــ 1940 (والاحالات إليه تعيد إلى أرقام الفقرات فيه) .

34) نزهة المشتاق : « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » لأبـي عبد الله محمد الحسّاني الشريف الإدريسي (ت. 560هـ/1165م) صدر منه ستة أجزاء ، بداية من سنة 1970 ط 1 ، رومة ــ نابلي .

35) الورقات : « ورقات عن الحضارة العربيّة بإفريقيّة التونسيّة » لحسن حسنـي عبـد الوهـاب (ت. 1968) ط 1 ، تـونـس ، 1965 ــ 1972 (3 أجزاء ، نظرنا في الجزء الأول) .

ملاحظات حول مصطلحات « الكتـاب » لسيبوية (1)

بقلم : محمد رشـاد الحمزاوي

قدّم لهذا المؤلف بحوليات الجامعة التونسية (2) . وهو تقديم وصفي مهم قد سعى إلى أن يشمل محتوى هذا المؤلف الذي وفر لنا معلومات تستحق العناية والتقدير وذلك لطرافته وغزارة مادته ولمساهمته مساهمة طيبة في وضع أسس المعجم اللغوي العربي الذي ننتظر منه أن يكون مراة للمصطلح اللغوي العربي القديم والحديث وماله من صلة بالمصطلح اللغوي عموما .

فبقدر ما كان العمل مفيدا والوصف وافيا والتقديم مصيبا ، رأينا أن نبدي بعض الملاحظات في شأنه لان أمورا مهمة لم تؤخذ بعين الاعتبار لا سيما ونحن أمام محاولة تقيم وتحكم وتقر اراء تتعلق بمنزلة مساهمة سيبويه سواء ضمن النحو العربي أو التفكير اللغوي عموما القديم منه والحديث . ولقد بدا لنا أن تلك المكانة تكاد تكون « معزولة » (3) لأن المؤلف قد قطع غالبا

(1) نركز هذه الملاحظات على المصطلحات التي جاءت مذكورة في مؤلف جيرار تروبو (Gérard Troupeau) بعنوان : المعجم المفهرس لكتاب سيبويه
(Lexique - Index du Kitàb de Sabawayh, édit. Klincksieck, Paris 1976, 266 p.

(2) انظر : المعجم المفهرس لكتاب سيبويه . بقلم جيرار تروبو . تقديم المنصف عاشور . حوليات الجامعة التونسية ج 313/20 – 323 .

(3) انظر جيرار تروبو – المعجم المفهرس ص 12 وما بعدها .

الصلة بينها وبين أهم الثقافات اللغوية الكبرى المجاورة من يونانية ولاتينية وكذلك الثقافة اللغوية المعاصرة لا سيما الألسنية الحديثة . فيقول متحدثا عن مشكلة ترجمته مصطلحات سيبويه إلى الفرنسية « لأن دراسة « الكتاب » تبرز بوضوح أن النحو العربي كما يعرضه سيبويه بمؤلفه يختلف اختلافا عميقا باعتبار تصوره العام ومنهجه، عن النحو اليوناني اللاتيني وكذلك عن الالسنية الحديثة»(4) .

ولا يمكن في هذه المحاولة أن نتتبع جميع الاراء التي جاءت مذكورة في مقدمة المؤلف المعنى بالأمر بل يكفينا الاشارة إلى البعض منها .

1) فمن أهمها قضية ترجمة مصطلحات سيبويه . من الواضح أنه لا يصح على العموم أن نقيم معادلة بين مصطلحات النحوي العربي والمصطلحات اليونانية اللاتينية السائدة لأن للعربية شجاعتها حسب رأي ابن جني ولأن اللغات تتميز غالبا بما تختلف فيه لا بما يتشابه منها كما أقر ذلك دي سوسير (De Saussure) . ولقد سبق للمستشرق ج . فايس أن بيّن مثلا أن مفهوم « العمل » في النحو العربي لا يمت بصلة إلى مفهوم « (gouvernance) » اللاتينية(5). ولا شك أن مفهوم المعادلات الكونية (les universaux) من القضايا الشائكة العويصة لأن وراء كل لفظ دلالات تحف بها سياقات ثقافية وتجارب إنسانية ومقاربات وعقليات تختلف بحسب الامم والشعوب دون أن يكون ذلك مدعاة إلى نكران وجود مفاهيم كونية مشتركة عند اللغويين قديما وحديثا لها طبعا أسبابها ومبرراتها اللغوية والفلسفية القائمة إلى الان . فمدرسة بور روايال (Port Royal) الداعية إلى وضع نحو عام معقلن (grammaire générale raisonnée) عاد إليه اليوم شومسكي صاحب الألسنية التوليدية ،

(4) نفس المرجع ص 11 .

(5) انظر ج. فايس : « النحو العربي القومي واللاتينيون »
J. Weiss. Die arabische wationnalgrammatik und die laterner, ZDMG 64/1910

(6) انظر جورج مونان « القضايا الفنية في الترجمة » .
G. Mounin : Les problèmes théoriques de la traduction

ليست خاطئة ، عندما اعتنت « بأسباب ما هو مشترك بين جميع اللغات وأهم الاختلافات التي توجد بها » . والألسنية الحديثة تهدف أساسا إلى استخلاص قوانين عامة لتطبق على جميع اللغات باعتبار أن العلم لا يستقيم إلا بالاعتماد على ما عمّ .

وبالتالي يبدو أن مصادرة المؤلف الداعية إلى عزل مصطلحات سيبويه عن غيرها قديما وحديثا ، وإلى ترجمتها بحسب أصولها (étymologies) قد أوقعتنا في حيرة لها وجوه عدة .

1) أنه يوثر المعنى اللغوي الاصلي على المعنى المجازي وبالاحرى الاصطلاحي . فإن كان الأمر كذلك كفانا أن نترجم « سيارة » لا بـ« automobile » بل بـ« caravane » و« avion » لا بطائرة بل بحسب معناها الاصلي اللاتيني وهو « طائر » . لقد استعمل سيبويه بالطبع مصطلحات اخلاقية سلوكية مثل « حسن » و« قبيح » . وهما مصطلحان أصبح لهما مجاز جديد في المستوى النحوي مثلما هو الشأن بالنسبة لـ (correct, incorrect wrong, wrigt). وهي كلها متعادلة باعتبار أصلها الاخلاقي واستعمالها النحوي. وفي المؤلف من هذا نصيب يستحق النظر . لذلك لم ندرك السبب الداعي إلى جعل مصطلحات سيبويه تقبع في مستوى سطحي ساذج، منبت من سياقه ، تغلب عليه « فلكلورية » اريد منها خير ، إلا أنها أساءت من حيث أرادت أن تحسن . فلا غرابة عندئذ أن يستغرب طالب العربية الغربي من أن يواجه مصطلحات تترجم بجمل كاملة من ذلك :

— مفعول به : Ce sur quoi on opère

— استكراه : fait de trouver détestable

— ألثغ : qui prononce le rà ou le lam comme un c ayn

2) يجنح المؤلف أحيانا إلى ترجمة المصطلحات السيبويهية بمصطلحات النحو اليوناني اللاتيني والالسنية الحديثة التي أنكرها على سيبويه . فنجد مثلا :

جنس (genre) وعمل (réction) ومعنى (signification) وفسر (explique) واستفهـام (interroger) وفـم (bouche) وفـاعل (opérant) ومفعول بـه (le sur quoi on opère) والمصطلحـان الاخيران يذكـران بـ (operator) و (operated on) الالسنيين الحديثين . والملاحظ أن منطق المـؤلف يستـوجب أن تترجم المصطلحات بحسب أصولها اللغوية المعتمدة في أغلب المصطلحات المعنية بالأمر .

3) يوهم المؤلف أن « الكتاب » ومصطلحاته لا يمكن أن يقاربا مقاربة السنية حديثة وا لحال أن اساطين هذا العلم الحديث من أمثال جاكبسون قد عـادوا إلى التـراث اللغـوي اليونانـي واعتمـدوه في مقارباتهم وان نفـرا من المستشرقين والعرب المحدثين قد سعوا إلى قراءة كتاب سيبويه ومصطلحاته قراءة ألسنية حديثة تستحق العناية والاعتبار (7) مع العلم مثلا أن نظرية سيبويه في علم الاصوات جديرة بأن توظف توظيفا ألسنيا حديثا .

وعلى العموم فنحن لا نشك في أن مقاربة ترجمة هذه المصطلحات تثير مشاكل منهجية عويصة لا محالة إلا أننا نعتقد أنّ معالجتها تستوجب نظرة عامة وشاملة تأخذ بعين الاعتبار سياقها الاصطلاحي وخاصة تطبيقاتها التعليمية والبيداغوجية لطلاب العربية من غير الناطقين بها الذين نريد أن نيسر لهم لا أن نعسـر .

2 — أما القضية الكبرى الثانية المطروحة في مؤلف جيرار تروبو فهي تتعلق بتأثر كتاب سيبويه بغيره من المؤلفات اليونانية والهندية والسريانية الخ .

---

(7) انظر ميخائيـل ح. كارتـر : نحـوي عربـي من القـرن الثامن الميلادي : مجلـة جمعية الاستشراف الامريكية 2 — 93 (1973) ص 146 — 157

Michel G. Carter : An Arab Grammarian of the eigth Century A.D. Journal of the american Oriental Society 93.2 (1973)

وقد ترجمناه إلى العربية ؛ انظر كذلك قراءتنا لنظرية الخليل المعجمية بمؤلفنا « من قضايا المعجم العربـي » .

فإننا نوافق المؤلف في سعيه إلى مناقشة اراء أ. ميركس (A. Merx) القائلة بتأثر النحو العربي بالنحو اليوناني (8) (والجدل ما زال حسب رأينا قائما) . إلا أننا نخالفه في نقطة منهجية مهمة وهي أن ميركس لم يعن بذلك — كما يوهم الكاتب — اثر النحو اليوناني في « كتاب » سيبويه فحسب بل في مؤلفات أخرى معاصرة له أو لاحقة به . فمقاربة ميركس تشمل ميدانا أوسع من « الكتاب » وبالتالي فإننا نرى أنها وغيرها تستحق الاعتبار في مستويات عدة منها مثلا مفهوما « الوضع » و« التوقيف » المأخوذان حسب بعضهم من مصطلحين يونانيين (9) .

أما فيما يتعلق بأثر السريانية في العربية ، فإننا لا نستبعد ذلك وإن كنا نتساءل عن ترجمات الحركات السريانية التي يرى المؤلف أنها أثرت في وضع أسماء الحركات العربية . فهو يعبر عن الحركة السريانية (a) بترجمتين وهما : ouverture وélévation والحركة (i) بـ (pression) و (dépression) و(u) بـ contraction و élévation (10) . الا أن المراجع في اللغة السريانية (11) تفيد بأن نظام الحركات السريانية يعود إلى القرن الرابع الميلادي . وهي حروف (أ ، و ، ي) أو علامات خاصة . ويبدو أنها تطورت عندما تأثرت في القرن الثامن بالحركات اليونانية والكلدانية ؛ والقرن الثامن هو العصر الذي وضع فيه حسب تروبو Jaque d'Edesse (633—708) الحركات السريانية (12) ؛ وهو أيضا القرن الذي توفي فيهه سيبويه بين 777 و809 فاصبحت باعتبار اليونانية خمس حركات وهي : (a) بتوجو ouverture و(é) رقوصو « (dépression) » ،

(8) جيرار تروبو : المعجم المفهرس ص 12 — 13 .

(9) انظر ل. كوكنهايم — نظرة تاريخية في الألسنية الفرنسية — ليدن 1962 ص 11
L. Kukenheim : Esquisse historique de la linguistique française, 1962 p. 11.

(10) جيرار تروبو : المعجم المفهرس ص 13 .

(11) ل. كستاز س. ج. النحو السرياني — المطبعة الكاثوليكية — بيروت — لبنان الطبعة الثانية 1964 ص 7 — 9
L. Costaz S.J. grammaire syriaque. Imprimerie Catholique p. 7-9.

(12) جيرار تروبو : المعجم المفهرس ص 13 .

و(i) خفـوزو « compression » ، و(o) زقوفـو « (élévation) » و(ù) عصوصو « resserrement » . فيظهر أن مؤلفنـا قد أطلق اسمين مترجمين على حركة واحدة فحسب والحال أن كل اسم من الاسميْن يدل على حركة واحدة معينة طويلة أو قصيرة يضاف إلى ذلك أن هذه ا لحركات مهما كان نوعها ، فهي في نهاية الأمر متأثرة باليونانية التي يبدو أنها أثرت بصفة غير مباشرة في العربية .

بقيت مشكلة أثر النظرية النحوية السنسكريتية في « كتاب » سيبويه . الملاحظ أن المؤلف لا يقرها نهائيا بل يرجح عليها النظريّة الايرانية وإن كان قد صرح « بأننا لا نعرف شيئا عن النحو الايراني القديم » (13) . ولقد أصبحت نظريـة فولر (Vollers) في تـأثر العربية بالسنسكريتية محل نظر إذ أن بعضهم يرى أن اليونانية هي المؤثر الكبير في النحو العربـي من خلال معجم الخليل (14) أستاذ سيبويه . والراجح أن ما زودنا به المؤلف في هذه النقطة الثانية يحتاج إلى نظـر وإلى تمحيص يستمـد دعامته من النصوص والوثائـق التي ليست دائما متوفرة بحسب المطلوب .

3 — يشير المؤلف إلى قضية قدم (15) بل بدائية (primitif) مصطلحات سيبويه . ويعلل ذلك مثلا بوجود اسم نسبة وحيد مشتق من أسماء الاعيـان (non commun) وهو « نحوي » لأن اسم النسب يشتـق عـادة من أسمـاء الاعلام ، والقبيلة ، والشعب ، والبلد ، والمدينة الخ . وهو يرى بالتالي أن سيبويـه يجهل كلمـات من أمثـال الثلاثي والرباعـي والخماسي ويعبر عنها بـ« بنات » الثلاثة ، والأربعة الخ . فهل هذا دليل على أن سيبويه كان يجهل ذلك وعلى أن مصطلحاته قديمة عتيقة بالنسبة له ولغيره ؟ ذلك ما يبدو مستعبدا

(13) نفس المرجع ص 14 .

(14) انظر : ف روندغرن : المعجمية العربية بكوادرني دي سميتكا
Frithiof Rudgren : La lexicographie arabe, in Quaderni di Semitica : Studies of semitic lexicography 2/1973 p. 145-159.

(15) جيرار تروبو : المعجم المفهرس ص 14 — 15 .

لأنّ الليث بن النضر معاصر سيبويه ، وناقل « كتاب العين » للخليل بن أحمد ، أستاذ سيبويه ، قد استعمل النسبة بالياء في مؤلفه كما يلي « قال الليث : قال الخليل :

كلام العرب مبني على أربعة أصناف : على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي (16) » . كما نجد كذلك في « العين » نفسه « قال الخليل اعلم أن الحروف الذّلق والشفوية ستة وهي ... » .

4 — أما المسألة الرابعة فهي تهم مرجعا هاما اعتمده المؤلف لمقارنة مصطلحات سيبويه بمصطلحات النحويين من التابعين المتأخرين . والمؤلف المذكور هو لـ(A. Goguyer) (18). والغرض من هذا تنزيل مصطلحات الكتاب من مصطلحات المدارس النحوية المتأخرة للنظر في أثرها فيها . فيفيدنا المؤلف بأن استقراء (Goguyer) يشمل 1073 مصطلحا وهو حسبه « يكون أكمل فهرس بين أيدينا اليوم لأنه يحتوي على مجموع المصطلحات المثبة في أربعة فهارس متوفرة لدينا من جهة أخرى وهي :

— مجموع أهم المصطلحات الفنية للنحو العربي (763 كلمة) ، التي نشرها Machuel إثر إعادة طبع النحو العربي لـ Sylvestre de Sacy والاستقراءات الثلاثة الشاملة لكتاب التصريف للزنجاني (241 كلمة) ، وكتاب العوامل المائة للجرجاني (156 كلمة) ، ومقدمة ابن أجرم (159 كلمـة) (19) » .

فيكفي أن نقوم باحصاء بسيط لنلاحظ أن مجموع المصطلحات الواردة في المراجع الأربعة المذكورة يساوي 1319 مصطلحا . وهو ما يفوق الـ1073

(16) الخليل بن احمد : كتاب العين — تحقيق عبد الله درويش — بغداد 1386هـ/1967 ص 53 .
(17) نفس المرجع ص 57 .
(18) (A. Goguyer) ألفية ابن مالك — بيروت 1889 .
(19) جيرار تروبو : المعجم المفهرس ص 18 — 19 .

مصطلحا عند Goguyer . وقد أكّد المؤلف بصريح كلامه على أنها شملت مجموع مصطلحات المراجع الأربعة . فما هي أسباب هذا الرأي ؟

ويمكن أن نثير في هذا السياق مسألة أخرى تتعلق بمقارنة مصطلحات فهرس Goguyer بمصطلحات المعجم المفهرس لـ Troupeau الذي يرى أن هذه المقارنة تفيد بأن كثيرا من مصطلحات « الكتاب » غير موجودة عند Goguyer والعكس بالعكس . وبالتالي يستخلص المؤلف « ولما كان استقراء « الكتاب » كاملا ، يجوز أن نؤكد على أن تلك المصطلحات لم يستعملها سيبويه ، وهي بالتالي لا تنتسب إلى مصطلحاته (20) » . إلاّ أن مقارنة بين ما جاء مذكورا من مصطلحات Goguyer عند Troupeau (21) ومصطلحات « الكتاب » تفيد بوجود نفس المصطلحات بالفهرسين من ذلك : اعتراض — جنس ، مستوي ، معنى ، عين ، حاضر ، لازم ، تحقيق جوف الخ . فما معنى هذا ؟ لا سيما وأن المؤلف يعني بتلك المقارنة الاحصاء لا تطور معنى المصطلحات إذ أن مفهوم بعضها تختلف ترجمته في الفهرسين . والملاحظ أن المؤلف لم يؤكد بالخصوص على هذا التطور الدلالي الذي لا يمكن اعتماده في كل الحالات وذلك لأمرين :

— أولهما أن بعض المصطلحات المشتركة قد ترجمت بنفس المعنى في الفهرسين — من ذلك «genre» لتأدية « جنس » .

— وثانيهما أن ترجمات Goguyer نفسها هي محل نظر كبير . ويبدو أن المؤلف قد أخذها مسلمة . من ذلك أنه قد يترجم « غابر » و« آت » بـ« futur » ؛ وهما يفيدان مضى وولّى في العربية . ويستعمل ترجمة

---

(20) نفس المرجع ص 19 . وهذا الرأي قائم على أساس ان استقراء (Goguyer) لم يكن جامعا شاملا مثل استقراء (Troupeau) « للكتاب » .

(21) نفس المرجع ص 19 — 24 .

(22) المرجع نفسه ص 20 .

فرنسية واحدة للتعبير عن مصطلحين عربيين مختلفين من ذلك «parenthèse» للتعبير عن « اعتراض » و« التفات » و« entreprise » للتعبير عن « شروع » و« إنشاء » (22) الخ .

ولا يفوتنا أن نضيف إلى هذا كله أن عمل جيرار تروبو قد زودنا — على أهميته وقدره الذي لا ينكر — بقائمة وصفية بحتة كنا نرجو منها أن تكون وسيلة ينطلق منها للتفكير والتأمل لاستخلاص نظرة مجملة عن منزلة نحو سيبويه مقارنة بالنحو العربي اللاحق وبالنحو عموما في المستوى النظري والبيداغوجي وذلك باعتماد نظرة داخلية تعقبها نظرة خارجية مقارنة ، تؤيدها نصوص قديمة وحديثة ثابتة لاثراء هذا المعجم المفهرس وتدعيم مكانته من المصطلح اللغوي العربي المعاصر وتوظيفه استعمالا في مؤلفات التدريس والمعاجم اللغوية العربية الحديثة التي وضعتها المجامع (23) . والباحثون (24) . ولعل ذلك ات لاريب فيه بفضل هذا النوع من الدراسات المفردة ، مثل دراسة تروبو التي تعتبر مساهمة طيبة في وضع أسس المعجم اللغوي العربي التاريخي .

محمد رشاد الحمزاوي

(23) مجمع اللغة العربية : مجموعة المصطلحات العلمية والفنية جزء 3 إلى جزء 10 من سنة 1962 إلى 1968 .

(24) محمد رشاد الحمزاوي : المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية : حوليات الجامعة التونسية عدد 14 سنة 1977 — تونس 199 صفحة .

التعليـــل و « نظـــام اللغـــة »

بقلم : عبد القــادر المهــيري

من الشائع عن التعليل في النحو أنه تكلف في القول وتحميل للغة ما ليس فيها وأن العلل « واهية ومتمحلة » (1) ، فلا يمكن أن تكون غير ذلك لأنها « تكون تابعة للوجود لا الوجود تابعا لها » (2) ؛ ليست العلل إذن نابعة من الواقع اللغوي يجسمها الاستعمال فيكسبها صبغة مشروعة وإنما هي افتراض بل تخمين .

وإذا كان هذا الموقف من التعليل هو حسب السيوطي ما « يذهب إليه الغفلة العوامّ » فإن الباحث في النحو العربـي الجاد في تفهم أسسه واستكناه أصوله قد يتيه في شعابه ، ويتعذر عليه أحيانا أن يتخلص من الشعور بالضيق مما قد يبدو له مجرد رياضة ذهنية لا تستند إلى واقع ولا تعتمد في أكثر الحالات إلا على نوايا تنسب إلى الناطقين بالعربية أو بالاحرى إلى واضعيها ، ويستحيل التثبت من حقيقتها ؛ ويتفاقم احترازه من التعليل لما يجده في جدل النحاة من اختلاف بين المدارس بل بين نحاة المدرسة الواحدة ، ولما قد يبدو

---

(1) الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي ص 112 ، ط القاهرة 1396 — 1976 .
(2) طبقات النحويين و اللغويين للزبيدي ص 25 .

له في عملهم التعليلي من تغليبهم براعة الاحتجاج على البرهان القاطع ، ولما قد يلاحظه أخيرا من توظيفهم لنفس العلل لتبرير ظواهر متناقضة أو تبدو كذلك .

لكنه ليس من الحكمة في شيء أن يتسرع الدارس في الحكم بانعدام جدوى التعليل وبأنه نوع من العمليات المنطقية الشكلية استخدمت في الجدل بين المدارس وتناقلها نحاة العصور المتتالية باعتبارها جانبا من التراث النحوي لا يجوز التفريط فيه أو جزءا من عملهم يغذون به مؤلفاتهم ويوسّعون بواسطته شروحهم وحواشيهم . ذلك أن التعليل سابق لظهور النزاع بين البصريين والكوفيين ويبدو – عندما تتحدث عنه كتبُ التراجم – نشاطا لا يمكن فصله عن التقعيد وبدونه لا يتضح دور أقدم الاعلام في هذا العلم . فعبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي اشتهر بأنه أول من « بعج النحو ومدّ القياس وشرح العلل (2) ، والخليل ابن أحمد استنبط ... « من علل النحو ما لم يستنبط أحد وما لم يسبقه إليه سابق » (3) .

ثم إن نظرة الخليل إلى التعليل – حسب ما أورده الزجاجي في كتابه « الايضاح في علل النحو » – تدلّ على أن أستاذ سيبويه كان ينظر إلى العلل باعتبارها مجموعة من الضوابط يستنبطها النحوي أو يفترضها قصد تفهم ما يمكن أن نسميه اليوم « نظام » اللغة العربية وتناسق عناصرها ، كل ذلك بغضّ النظر عن كون ما يهتدي إليه النحوي منها هو ما يقصده الناطقون باللغة على السجية والطبع أم لا ؛ والمهم أنه أمر « محتمل » لا يمكن رفضه إلا إذا عوّض بما هو « أليق » منه (3) معنى هذا أن التعليل يمكن أن يعتبر جهازا تفسيريا يهدف إلى تحقيق نظرة شاملة إلى نظام اللغة وكشف الغطاء عن « منطقه » الداخلي . وإذا كان من حق الناظر في النحو لتعلم اللغة أن يرفضه أو يستخف

(3) المرجع المذكور ص 43 .

به فإن المتفقه في اللغة بل الباحث فيها من وجهة نظر لسانية حديثة لا يرفض السعي إلى تجاوز ظاهر الأمور من قواعد ومعطيات مباشرة بحثا عن الخصائص العامة للغة المدروسة بل اللغات عامة .

لكن السؤال المطروح هو هل يمكن اعتبار العمل التعليلي هذا سعيا إلى وضع جهاز تفسيري للنظام النحوي العربي ؛ وهل للعلل النحوية من المدى ما يجعل منها مجموعة من المبادىء التفسيرية الكفيلة بأن تفي بهذا النظام ؟ ليس من اليسير الجواب عن هذا السؤال في الوقت الراهن لانعدام البحوث الكافية لبيان أبعاد كل نوع من أنواع العلل وتحديد دورها في تفسير ظاهرة من ظواهر اللغة الأساسية .

لذا سنكتفي في هذا الفصل بالوقوف عند نموذج واحد من العلل لننظر في مدى استغلال النحاة له طبقَ نظرة شاملة للنظام النحوي وقصدَ الوصول إلى تفسير متناسق لمعطيات جزئية في ظاهرها متباينة في شكلها . والافتراض الذي ننطلق منه أن العلل النحوية ليست دائما مجرد تبرير لاستعمالات مفردة أو ظواهر محدودة ولا تفسيرا ملتويا لما يبدو مستعصيا عن التفسير بل قد تهدف إلى وضع جهاز تفسيري غايته الكشف عن نظام العربية من الوجهة النحوية .

وقد اخترنا لهذا مفهوم الخفة والثقل أو علة التخفيف وعلة الاستثقال حسب التسمية الواردة في كتاب الاقتراح للسيوطي نقلا عن الدينوري (4) . لقد عبر النحاة عن هذين المفهوم بجملة من المصطلحات والعبارات التي يتجلى فيها البحث عن التماس الاقتصاد في المجهود المبذول أثناء التلفظ ومنها طبعا ما يرجع إلى « خَفَّ » و« ثقل » كخِفَّة وثِقَل واستخف واستثقل والأخف والأثقل ... ومنها ما يخرج عن هذين الاصلين مثل قوة الكلفة ونفور الحس والمشقة على النفس وتجشّم المشقة والإيجاز ... (5) .

(4) ص 65 – 66 .
(5) الخصائص لابن جني ج 1 من ص 48 إلى ص 95 .

وقد شاع الالتجاء إلى هذين المفهومين واستعمالهما علة في تفسير عدد كبير من الظواهر حتى أن ابن جني لم يتردد في الذهاب إلى أنه إذا تعذر عليك الاعتلال بأمر اخر « جنحت إلى طريق الاستخفاف والاستثقال فإنك لا تعدم هناك مذهبا تسلكه ومأمًّا تتورده ... » (6) . وهذا الموقف هو في حد ذاته دليل على مدى شمول هاتين العلتين . وإن المتتبع لمواطن إحالة النحاة عليهما يلاحظ فعلا أنهما وراء معطيات متعددة متنوعة بالنظر إلى المستوى الذي تنتمي إليه فمنها ما هو من مجال الأصوات ومنها ما هو من مجال الصيغ ومنها أخيرا ما هو من حيّز التركيب .

ليس من العسير إبراز أهمية الخفة والثقل في الصوتيات وما انجز عنهما حسب النحاة من نتائج في تكييف الكلمة العربية وصيغها . فالأمر راجع هنا إلى النطق فكل من الخفة والثقل يقاس بالمجهود الذي يبذله المتكلم أثناء التلفظ بصوت أو كلمة ؛ وثقل الصوت أو الكلمة يتزايد بقدر ما يتزايد المجهود ويتضاءل بقدر ما يخفّ . وعلى هذا الأساس اعتبرت بعض الحروف أثقل من بعض أو دونها خفّة ؛ والشائع عند النحاة أن حروف الحلق أثقل حروف العربية والهمزة أثقلها على الاطلاق « لتباعدها » حسب عبارة ابن يعيش (7) أو « لأنها حرف سفل في الحلق » على حدّ تعبير ابن جني (8) . وهذا ما يفسر إلحاح صاحب « سر صناعة الاعراب » في اخر كتابه على أن الأصوات الحلقية أقل الحروف تآلفا في الكلمة الواحدة ، فلا يجتمع اثنان منها في اللفظ الواحد إلا بحاجز بينهما أو حسب ترتيب معين يحتم أن يتقدم أقواها . فالهمزة تتقدم الهاء والحاء والخاء والعين تسبق الحاء ، والخاء ترد قبل العين (9) . وكذلك

(6) المصدر المذكور ص 77 — 78 .
(7) شرح المفصل ج 10 ص 124 .
(8) سر صناعة الاعراب ج 1 ص 81 .
(9) المصدر السابق الذكر ، مخطوط تركيا و249 وجه .

الشأن بالنسبة إلى « حروف أقصى اللسان » وهي القاف والكاف والجيم فهذه لا تتجاور البتة فلا تجد في الكلام نحو قج ولا جق ولا كج ولا جك ولا قك ولا كق » (10) . وليس الثقل من خصائص حروف الحلق وما جاوره من جهاز التصويت فقط ، بل إن حروف الطرف المقابل أي الفم لا تخلو هي أيضا منه ولذا فهي حسب ابن يعيش « أشق على المتكلم من غيرها » (11) .

على أن ما تتميز به الحروف في الكلمة من خفة أو ثقل لا يرجع فقط إلى مخرجها واتصال التلفظ بها بجزء من أجزاء جهاز التصويت ؛ فمن الحروف ما لا يعتبر ثقيلا في حدّ ذاته كالصاد والسين والزاي، أو الذال والثاء، أو التاء والثاء . ومع ذلك فهي لا تتجاور في اللفظة الواحدة ، وإن حصل ذلك مع بعضها فلا يكون إلا بالتزام ترتيب معين يقدم بمقتضاه الأقوى أي ما كان أضيق مخرجا منها جميعا (12) .

وسبب الثقل هنا ليس في الحروف ذاتها وإنما في تجاور المتقاربة المخرج منها فإذا « تقارب الحرفان في مخرجهما قبح اجتماعهما » كما يقول ابن جني (13) ؛ فالتلفظ بحرفين متقاربين يكلف المتكلم من المشقة ما لا يكلفه النطق بحرفين متباعدين ، وإلى نفس هذه الخاصية ترجع ظاهرة الادغام والغرض منها — على حدّ تعبير ابن يعيش — « طلب التخفيف لأنه ثقل عليهم التكرير والعود إلى حرف بَعْـد النطق به » (14) ؛ فالادغام يُعفي جهاز التصويت من تكرير عملية « القطع » في نفس الموضوع فيوضع اللسان « على مخرج الحرف المكرر وضعة واحدة ... ويُرفع بالحرفين رفعة واحدة ... » .

---

(10) المصدر السابق الذكر ، مخطوط باريس و225 وجه .
(11) شرح المفصل ج 9 ص 136 .
(12) شرح المفصل ج 1 ص 75 .
(13) سر الصناعة ج 1 ص 75 .
(14) شرح المفصل ج 1 ص 121 .

والمهم من كل هذا أننا نجد في تفسير هذه الظواهر من شرط تباعد المخارج لحروف اللفظة الواحدة أو من إدغام النزعة المتمثلة في النفور من الثقل واجتناب المشقة والبحث عن الخفة .

ولا يكتفي الأصوليون من النحاة بمخارج الحروف أو تنافرها تفسيرا لثقل الكلمات أو استحالة وجودها بل يعللون ذلك أيضا في بعض الحالات بعدد الحروف ؛ وقد تضمنت كتب النحو ومقدمات بعض المعاجم نظرية متكاملة فى عدد حروف الكلمة فى اللغة العربية تحدد أدناها وأقصاها باعتبار الأصل والزائد منها ، وتستند هذه النظرية إلى مجموعة من المبادىء ترجع في نهاية الأمر إلى البحث عن الخفة واجتناب الكلفة .

وملخص ذلك أن الكلمة العربية لا تقلّ حروفها الأصول عن الثلاثة ولا تزيد على الخمسة (15) . ونجد عند النحاة تبريرا لهذين العددين يستند أيضا إلى الخفة والثقل . فالصيغة المثلى في نظرهم هي الثلاثي المجرد لأنه « أعدَلُ » الصيغ « تركيبا » لتكونها من « حرف يبتدأ به وحرف يحشى به وحرف يوقف عليه » (16) . ولعل الطريف في هذا التعليل أنه لا يقوم على العدد فحسب بل على ما ينتج عنه من توازن ييسر النطق بالكلمة . ويضمن إدراك المخاطب لها إدراكا واضحا ؛ وعلى هذا الأساس قيل : « ليس اعتدال الثلاثي لقلة حروفه حسب ؛ لو كان كذلك لكان الثنائي أكثر منه لأنه أقلّ حروفا وليس الأمر كذلك ؛ ألا ترى أن جميع ما جاء من ذوات الحرفين لا قدر له فيما جاء من ذوات الثلاثة نحو من وفي وعن ... » (17) .

---

(15) الانصاف في مسائل الخلاف للانباري المسألة 114 ؛ شرح الرضي على الشافية ج 1 ص 47 ط 1975/1315 ؛ الرأي الذي أوردناه هو رأي البصريين ، وقد أهملنا عمدا قول الكوفيين الرافض لوجود الأصول الرباعية والخماسية ، لأنه لا يفيدنا فيما نحن بصدد النظر فيه .

(16) الخصائص ج 1 ص 55 ؛ انظر أيضا كتاب العين للخليل بن أحمد ج 1 ص 49 . نشر دار الرشيد ؛ بالعراق 1980 .

(17) الخصائص ج 1 ص 55 — 56 .

إن ما يتسم به الثلاثي من الاعتدال والخفة يضمن له في نظر النحاة كثرة الاستعمال ويفسر طغيان الأصول الثلاثية على سائر الاصول . بل يكسب لوجوده – إن صحّ التعبير – صبغة مشروعة ليست لسائر الأصول . وكان من المنطقي – حسب هذه النظرة – أن يُعتَبر الثلاثي أصلا لكل الأسماء والأفعال كما ذهب إلى ذلك الكوفيون . إلا أن البصريين أقروا أيضا الرباعي والخماسي أصلين للكلمة العربية ، ولعل ذلك راجع إلى صعوبة اعتماد الاشتقاق للتدليل على مازيد في الرباعي والخماسي ، وصعوبة الحصول على أصول ذات معنى من كلمات مثل جعفر وسفرجل فضلا عن حصر حروف الزيادة في مجموعة « سألتمونيها » .

على أن الأصول الرباعية والخماسية أقل استعمالا بالقياس مع ذوات الثلاثة ؛ وتفسير ذلك في ثقلها مما يلخصه ابن جنيّ بقوله : « فقد وضح إذا بما أوردناه وجه خفة الثلاثي من الكلام ، وإذا كان كذلك فذوات الأربعة مستثقلة غير متمكنة تمكن الثلاثي لأنه إذا كان الثلاثي أخف وأمكن من الثنائي – على قلّة حروفه – فلا محالة أنه أخف وأمكن من الرباعي لكثرة حروفه ثم لا شك فيما بعد في ثقل الخماسي وقوة الكلفة به ... » (18) .

وهذا ما يفسر في نظر النحاة استغلال اللغة لتقاليب الأصول الثلاثة على نطاق واسع وندرة الالتجاء إلى تقليب الاصول الرباعية أو الخماسية، فحروف الأصل الواحد الثلاثي يمكن أن تكوّن بتغيير مراتبها ستة أفعال مختلفة قد تستغل اللغة جلها بينما لا تركن اللغة إلى تقليبات الأصول الفعلية الرباعية (19) . أما إذا اعتبرنا الاسم وصيغه المختلفة من الثلاثي المجرد فإننا نلاحظ أن اللغة تستعمل أحد عشر وزنا من مجموع اثني عشر مما يقوم دليلا اخر على كثرة

(18) المصدر السابق الذكر ص 61 .
(19) المصدر السابق الذكر .

الثلاثي لخفته بينما لا يوجد للاسم الرباعي أكثر من خمسة أبنية ولا يستعمل للخماسي إلا أربعة أو خمسة ابنية والحال أن تنويع الحركات مع أربعة أو خمسة أحرف يوفر امكانيات من الابنية النظرية تبلغ — حسب إحصاء الاستراباذي — 45 صيغة في الرباعي و171 صيغة في الخماسي (20) .

فالخفة والثقل يفسران كثرة الثلاثي وندرة الرباعي والخماسي كما يبرران إحجام اللغة عن تجاوز خمسة حروف أصول في بناء كلماتها . لكن هذا العدد الأقصى خاص بالاسم ؛ أما الفعل فأقصى أصوله أربعة ، ويرجع ذلك مرة أخرى إلى الخفة والثقل . ذلك أن الفعل قابل للزيادة أكثر من الاسم فلم — يكن — حسب تعبير ابن جني « على خمسة أحرف كلها أصول لأن الزوائد تلزمها للمعاني » (21) لذا يمكن أن يُزاد الفعل بعدد من الحروف يساوي عدد الأصول ؛ فكأن قابلية الزيادة هذه اقتضت أن يترك في الفعل مجال للتوسع فيه مع اجتناب الإغراق في الثقل ؛ ولو لم يكن الأمر كذلك لأدّى إما إلى تضييق نطاقه وإما إلى استعمال أفعال متناهية في الطول أي في الثقل . أما الاسم فهو لا يتحمل من الزيادة ما يتحمله الفعل إلا إذا كان قريبا منه أي « جاريا على الفعل » على حد تعبير النحاة وذلك هو شأن الصفة (22).

وبصفة أعم فإن الثلاثي — فعلا كان أو اسما — يتحمل الزيادة أكثر من الأصلين الاخرين فهو « أحقّ » بها منهما لخفته » (23) ولذا قلت الزيادة في الخماسي مثلا ولا تكون إلا بحرف واحد بينما قد تصل الزيادة في الاسم الجاري على الفعل الثلاثي إلى أربعة أحرف كما هو الشأن في مصدر افعالّ

(20) شرح الشافية ج 1 ص 47 .
(21) المنصف في شرح تصريف المازني ج 1 ص 28 — 29 .
(22) المصدر السابق الذكر ص 29 .
(23) المصدر السابق الذكر ص 32 .

(افعيلال) ؛ والواقع أن تصريف الخماسي لا يكون — لطوله — إلا بالحذف بينما هو في غيره كثيرا ما يتحقق بالزيادة .

وهكذا يُركن إلى مفهوم الخفة والثقل لتفسير نظام الصيغ في الكلمة العربية من حيث عدد الحروف ونسبة أصليها من زائدها كما يُركن إليه لتفسير ظاهرة الاعلال في اللغة وشكل الألفاظ المعنية به . وليس من الضروري التوسع في هذا الموضوع لأن كل من درس قواعد الاعلال في أمهات الكتب النحويه لاحظ كثرة تواتر المصطلحين المذكورين ، فلنكتف بالتذكير ببعض المنطلقات الأساسية في هذا المجال .

ومن هذه المنطلقات أن الحركات الثلاث أي الفتحة والكسرة والضمة تقابل ثلاثة حروف هي أبعاضها وجزء منها ؛ فهي تجتذب الحروف الذي تقترن به نحوها بدون أن تبلغ مداه « فإن بلغت مداها — على حدّ تعبير ابن جني — تكملّت له الحركات حروفا أعني ألفًا وياءً وواوًا » (24) ؛ والحركات الثلاث تتفاوت خفة وثقلا وكذلك حروف المدّ الموازية لها ، وهذا راجع إلى طريقة التلفظ بها وتكييف جهاز التصويت بكيفيات مختلفة أثناء النطق بها ؛ فمع الألف يكون « الحلق والفم منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر » ومع الياء تكون « الأضراس سفلا وعلوا قد اكتنفت جنبتي اللسان وضغطته وتفاجّ الحنك عن ظهر اللسان » ومع الواو أخيرا يضم المتكلم معظم الشفتين ويدع بينهما بعض الانفراج ليخرج فيه النفس ويتصل الصوت (25) وعلى مختلف هذه الهيئات يكون جهاز التصويت أثناء التلفظ بالفتحة والكسرة والضمة ؛ وخفة الحركة والحرف رهينة اتساع المخرج وثقلهما ناتج عن ضيقه ؛

(24) سر الصناعة ج 1 ص 30 .

(25) المصدر السابق الذاكر ص 8 — 9 .

ولذا فأخف الحركات وحروف المدّ الفتحة والألف وأثقلها الضمة والواو ؛ أما الكسرة والياء فهما أثقل من الفتحة والألف وأخف من الضمة والواو (26) .

ولا نبالغ إن قلنا إن جانبا هاما من ظواهر الإعلال تفسر بما ينتج من صعوبة في التلفظ عن تجاور الحركات أو حروف المدّ المعتبرة ثقيلة – أي الكسرة و الياء والضمة والواو ، وإن التغييرات الحاصلة سببها الرغبة في التخلص من هـذا التجـاور وضمـان خفة الالفـاظ (27) . ومن المـلاحـظ أن الحرص على اجتناب التجاور بين الكسرة والضمة يعتمد أيضا لتفسير خلـو اللغة من صيغة فِعُل اجتنابا للخروج من صوت ثقيل إلى ما هو أثقل منه (28) .

ويتجاوز تفسير الظواهر اللغوية عن طريق خفة الحركات وثقلها ميدان الصرف إلى ميدان النحو والإعراب بصفة خاصة ؛ فلقد تساءل النحاة في أثناء دراستهم للإعراب عن الأسباب التي من أجلها كان الضم للرفع والفتح للنصب والكسر للجر ، وأرجعوا هذا التوزيع إلى الخفة والثقل ، فاعتبروا أن ما كان ثقيلا جعل علامة لما كان قليلا « فأعطوا الفاعل الذي هو قليل الرفع الذي هو ثقيل وأعطوا المفعول الذي هو كثير النصب الذي هو خفيف » (29) . وإلى تفسير شبيه بهذا يرجع تصنيف علامات الإعراب إلى أصليه وفرعيه ، فقد اعتبرت الحركات أصلية والحروف فرعية لأن الأولى « أخف وبها نصل إلى الغرض فلم يكن بنا – حسب ابن يعيش – حاجة إلى تكلف ما هو أثقل » (30) .

إن الالتجاء إلى علتي الخفة والثقل لتفسير الظواهر التي ذكرنا منها نماذج يبدو فيه إلى حد الان حرص على اعتماد معطيات حسية ملموسة « مواطية للطباع –

---

(26) المنصف ج 1 ص 187 ، 195 ، 196 .

(27) انظر على سبيل المثال : المصدر السابق الذكر ص 184 ؛ الخصائص ج 1 ص 49 ، 50 ، 59 ، 151 ؛ شرح المفصل ج 10 ص 55 .

(28) الخصائص ج 1 ص 68 .

(29) شرح المفصل ج 1 ص 75 .

(30) المصدر السابق الذكر ص 51 .

كما يقول ابن جني – تقبلها النفس وينطوي الحس على الاعتراف بها » (31) ولا بـد من الاقـرار بـأن التفسيـرات المقدمـة لشتـى الظـواهر المذكـورة لا تخلو من الانسجام بمقتضى رجوعها إلى نفس المبادىء ومن ثَـمَّ تبدو على جانب كبير من الوجاهة . إلا أن مثل هذه التفاسير قد تبدو أقل وجاهة عندما يركن النحاة إلى سلم الخفة والثقل لتعليل الظواهر النحوية والتركيبية وتصنيف أقسام الكلام باعتبار دورها في الجملة .

ومن الملاحظ أن نزعة التصنيف حسب هذا النوع من المقاييس قديمة إذ نجد بوادرها في كتاب سيبويه ؛ فالاسم عند إمام النحاة أخف من الفعل ، والنكرة أخف من المعرفة ، والمذكر أخف من المؤنث (32) .

وإذا كان مقياس الخفة والثقل في الأصوات والصيغ يقدّر بالحس ويُقَوَّم بمدى المجهود المطلوب من جهاز التصويت فإنه في أقسام الكلام مثلا يبدو من مجال التصور الذهني ومن ثمّ يفتح الباب للتأويل والتخمين ؛ وهذا ما جعل النحاة يجتهدون في التدليل على حقيقة هذين المفهومين وبيان أسبابهما .

وأول هذه الأسباب – في نظرهم – يكاد يكون حسيا فمما يقوم دليلا على خفة الاسم أن له أصولا ثلاثية ورباعية وخماسية وأنه يقبل من الحروف المزيدة ما يبلغ الأربعة وهذا ما يفسر كثرة صيغه إذ له تسع عشرة صيغة مجردة وما يزيد على ثلاثمائة صيغة مزيدة . أما الفعل فدليل ثقله أنه لا تكون أصوله إلا ثلاثية أو رباعية وأن أقصى ما يزاد فيه ثلاثة أحرف ثم إن صيغه المجردة ليست إلا أربعة وأن مجموع صيغه لا يبلغ الثلاثين حسب ابن النحاس (33) ، فلو لا اتسام الاسم بالخفة لما كان على القدْر المذكور من التنوع ولو لا ثقل الفعل لكانت صيغه أكثر .

(31) الخصائص ج 1 ص 49 ، 51 .
(32) الكتاب ج 1 ص 21 – 22 تحقيق عبد السلام هارون .
(33) الاشباه والنظائر للسيوطي ج 1 ص 270 ط 2 حيداراباد 1359 .

وتفسر خفة الاسماء بكثرتها في الكلام أيضا إذ أنها تكون عمدة وفضلة فيكثر تداولها وبذلك تألفها الألسن وتتعود بالنطق بها ويسهل انطلاقها وفي هذا الصدد يقول ابن يعيش متحدثا عن الاسم :

« وإذا ثبت أنه أكثر في الكلام كان أكثر استعمالا ، وإذا كثر استعماله خفّ على الألسنة لكثرة تداوله ؛ ألا ترى أن العجمي إذا تعاطى كلام العرب ثقل على لسانه لقلّة استعماله ، وكذلك العربي إذا تعاطى كلام العجم كان ثقيلا عليه لقلّة استعماله له » (34) .

لكن النحاة لا يكتفون باعتماد حجم الاسم والفعل — إن جاز التعبير — وبمدى تداول كليهما لتفسير مفهومي الخفة والثقل فيهما إذ يبحثون في معناهما عن أسباب أخرى وقد لُخِّص ذلك بقولهم « فالخفيف من الكلمات ما قلّت مدلولاته ولوازمه والثقيل ما كثر ذلك فيه » (35) ويمكن توضيح هذا من وجوه :

أولها أن الاسم لا يدلّ إلا على مسماه ولا يوحي إلا به ولا يقتضي من الفكر أن يتجاوز حدوده ؛ أما الفعل فإن التلفظ به ينجر عنه التفكير في فاعله والذهن مدعو من أجل ذلك إلى تجاوز معناه والانشغال بما أسند إليه وفي هذا يقول الزجاجي : « وجه ثقل الفعل وخفة الاسم أن الاسم إذا ذكر فقد دلّ على مسمّى تحته ... ولا يطول فكر السامع فيه ، والفعل إذا ذكر لم يكن بدّ من الفكر في فاعله لأنه لا ينفك منه ويستحيل وجوده من غير فاعل » (36) ؛ وليس الفاعل وحده هو الذي يتجه الفكر إليه عند ذكر الفعل بل قد يهتم أيضا — على حد تغيير الزجاجي — بالمفعول « والمفعولين والثلاثة والمصدر والظرفين من الزمان والمكان والحال وما أشبه ذلك » (37) .

---

(34) شرح المفصل ج 1 ص 51 .
(35) الاشباه والنظائر ج 1 ص 148 .
(36) الايضاح في علل النحو ص 100 .
(37) المصدر السابق الذكر ص 101 .

فالثقل والخفة يقاسان هنا أيضا بالمجهود المبذول ، غير أن هذا المجهود ذهني يتمثل فيما يجب على المتكلم أن يتحمله من عناء للتحكم في معنى الكلمة المستعملة والإلمام بمقتضياتها .

والوجه الثاني أن الاسم يدلّ في عرف النحاة على معنى مفرد والفعل على معنى مزدوج ، فالاسم لا يدل إلا على مسماه والفعل يفيد الحدث والزمان ، فالأول مفرد والثاني مركب «والمفرد أخف من المركب» على حد تعبير ابن يعيش(38).

والوجه الثالث والأخير لثقل الفعل وخفة الاسم هو ما يقترن به الأول من حروف المضارعة والضمائر وما ينجر عن ذلك من تجمع معان عدة في كلمة واحدة يقتضي الإلمام بمدلولها أكثر مما يقتضيه الإلمام بمدلون الاسم .

وتجدر الملاحظة أنه إن كان الاسم خفيفا من الناحية المبدئية فليست كل أصنافه في مستوى واحد من الخفة ؛ فإذا كان من صنف الصفات كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة كان أثقل من الاسم الدال على الجنس غير المأخوذ من الفعل ، وسبب ذلك أنه يحتاج إلى موصوف احتياج الفعل إلى الفاعل ؛ وفي حالة انعدام الموصوف فإنه يدلّ حتما على ذات وصفة فيزدوج معناه ويتعقد ويقتضي ادراك مدلوله مجهودا كبيرا (39) .

ويستعمل مفهوم الخفة والثقل لتفسير مجموعة أخرى من الظواهر ذات الصلة بالنحو سنقتصر على ذكر بعض النماذج منها : فمن ذلك نوع الاعراب الذي يلحق الاسم والفعل المضارع وبصفة أدق اختصاص الاسم بالجرّ والفعل بالجزم ؛ ويفسر ذلك بأن الجزم في جوهره حذف فمن الطبيعي أن يطرأ على الفعل الموسوم بالثقل فيكون نوعا من التخفيف وألا يصيب الاسم لأنه لا مجال لتخفيف الخفيف .

---

(38) شرح المفصل ج 1 ص 148 .
(39) الكتاب ج 1 ص 21 ؛ الأشباه والنظائر ج ص 55 .

ومن ذلك انعدام التنوين في الأفعال وفي هذا يقول الوراق : « فأمّا التنوين فإنما امتنع من الفعل لأنه زيادة والفعل ثقيل فلم يحتمل الزيادة » (40) ؛ ويفسرون — تبعا لهذا — امتناع بعض الأسماء عن التنوين بقرابتها من الفعل وشبهها به وهذا هو شأن الصفة التي على وزن أفعل أو الاعلام التي على وزن الفعل مثل يزيد « لأن الصفات — حسب سيبويه — أقرب إلى الأفعال فاستثقلوا التنوين فيها كما استثقلوه في الأفعال » (41) .

وبالخفة والثقل تعلل الخصائص العامّة لبنية الجملة العربية وإمكانية وجود جمل خالية من الفعل ؛ فثقل الأفعال يجعلها في حاجة إلى الفاعل أي إلى اسم ؛ أما الاسم فخفته تغنيه عن الفعل ولذا يمكن أن تعقد الجمل من الاسماء فحسب (42) . وبصفة أعم فإن بحث المتكلم عن خفة الكلام كثيرا ما يعتمد تفسيرا :

أ) لما يختاره المتكلم من عناصر للتعبير عن مقاصده بل لما يوجد في اللغة من « أدوات » كأسماء الاستفهام وأسماء الشرط وأسماء العدد التي يغني الواحد منها « عن الكلام الكثير المتناهي في الأبعاد والطول » (43) .

ب) لما يطرأ على بنية الجملة من تغيير بالنسبة إلى نمطها النظري كحذف المضاف والموصوف والتزام التلويح دون التصريح وإيثار الإيجاز على الأطناب « فهذا ونحوه — حسب ما يقول ابن جني — مما يزيل الشكّ عنك في رغبتهم فيما خفّ وأوجز عما طال وأملّ » (44) .

---

(40) علل النحو ص 22 : نسخة مرقونة تحقيق م. م. حجـي .
(41) الكتاب ج 3 ص 194 .
(42) المصدر السابق الذكر ج 1 ص 20 — 21 .
(43) الخصائص ج 1 ص 86 .
(44) المصدر السابق الذكر ص 86 .

هكذا يعتمد النحاة مفهومي الخفة والثقل لتفسير أهم العناصر التي يقوم عليها ما نسميه اليوم بنظام اللغة العربية ولإخضاع ظواهر تبدو متباينة لنظـرة واحدة موحدة ، فالصوت والصيغة والجملة والخطاب نفسه كل هذه المكونات للكلام يمكن أن تفسر خصائصها أو بعض خصائصها بمبدإ تفسيري واحد ؛ ولاشك أن طريقة تفسير النحاة لا تخلو من التكلف وليس في تحليلاتهم أحيانا من قوة الحجة ما يكفي لاقناع الدارس لتراثهم بوجاهة مذهبهم . لكن ليس غرضنا هنا إقامة الدليل على أن كل ما علل باعتماد الخفة والثقل يتسم بوجاهة التفكير وسداد الرأي ، وإنما نريد أن نبيّن – من خلال هذا النموذج – أن التعليل النحوي يتضمن من المبادىء التفسيرية العامة ما يُكوّن مقومات لنظرة شاملة تستوعب أكثر ما يمكن من الظواهر وتسمح بتجاوز شتات المعطيات الجزئية للسيطرة عليها حسب جهاز تفسيري متماسك العناصر . ومن هذه المقومات علة الخفة وعلة الثقل ومنها أيضا عدد اخر من العلل اعتمدها النحاة على نطـاق واسـع . ولاشك أن دراسـة مفصلة لكل واحـدة من هذه العلل لاستقصاء مواطن البحث التي استغلت فيها من شأنها أن تعين على إبراز دور التعليل باعتباره عملا يهدف إلى تفهم بنية اللغة العربية وعقلنة نظامها .

عبد القادر المهيري

تقديم الكتب

الاصول : دراسة ايبستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي

1 ــ النحــو ،

2 ــ فقه اللغة ،

3 ــ البلاغـة . » ــ

تأليف : الدكتــور تمــام حســـان
دار الثقافة ــ الدار البيضاء
الطبعة الاولى ــ 1401 هـ .
1981 م ــ 395 صفحة .

تقديم : المنصف عاشــور

ينقسم كتاب تمام حسّان « الأصول » إلى ثلاثة أبواب من المشاغل اللغوية هي :

1 ــ النحــو :

من صفحة 22 إلى صفحة 239 : (217 صفحة) .

2 ــ فقه اللغـة :

من صفحة 242 إلى صفحة 293 : (51 صفحة) .

3 ــ البلاغـــة :

من صفحة 293 إلى صفحة 391 : (95 صفحة) .

فالنّحو يحتلّ المقام الأوّل ثمّ البلاغة ففقه اللّغة ، وقد مهّد المؤلّف لكتابه بتقديم استعرض فيه حوافز الكتابة في هذا الموضوع ثمّ أورد مقدّمة

(6 صفحات : من صفحة 13 إلى صفحة 19) ركّزها على بيان الفرق بين الصناعات والمعارف ، وإذا به يقرّر – في شأن اللغويات العربية – أنّ النّحو صناعة والفقه معرفة والبلاغة بين بين ، وحدّ التّمايز عند المؤلّف يكمن في كون الصّناعة تؤدّي إلى « التّمرّن » في حين أنّ المعرفة تؤول إلى النّظر والاعتبار ، ثمّ يستعرض في هذا السيّاق خصائص العلوم المضبوطة وهي مجموعة من السّمات العامة التي ترجع إلى المنهج الوصفي من « موضوعية وشمول وتماسك واقتصاد (1) . وأوّل ما يتجلّى من خلال هذه السّلسلة من الألفاظ تحديد الخصائص المشتركة في مستوى الدّراسات اللّغوية قديما وحديثا وخاصة في مجالات البنيوية المعاصرة . والذي يسترعي الانتباه في المقدّمة اعتبار المؤلف النحو تمرّنا ، وهذا الفهم قد يغمر جملة ما اهتدى إليه جمهور النّحاة واللّغويين العرب من طرافة عند تحديدهم النّحو ، وخلاصة حدودهم تؤكّد أنّ النّحو إنّما هو « علم » تطبيقي أساسا ثمّ هو في الآن نفسه معرفة نظرية تعتمد الاختبارية مع الاستنباط وتعالج معاني الكلام في نسيج العلاقات التركيبية ، فالتمرّن غايته بناء أنماط من الوحدات المفيدة وتوليد مجموعات من الأشباه والنّظائر ، ولكنّ النّحاة لم يقفوا عند البناء والصّوغ وإنّما ناقشوا المقدّمات النّظرية فيما يتعلّق بالوظائف النّحوية عندما تناولوا قضيّة الإعراب والعوامل ، فالنّحو لا يقف عند حدّ الصناعة فحسب وإنّما هو رؤية تأليفية بين التطبيق والتّنظير ولنا مقنع في هذا المجال في نصوص سيبويه وخصائص ابن جنّي .

ويسعى المؤلّف في حديثه عن عوامل نشأة النّحو العربي إلى تقسيم ثلاثي يُعَلِّلُ به نظرته، وهذه الثلاثية هي الدّين والقومية والسّياسة وهي من العوامل

---

(1) تمام حسان – الأصول – ص 14
ثم يحسن أن ننظر في كتاب – يالمسلاف – مقدمات في النظرية اللغوية – ص 19 وهو يستعرض مفاهيم « الشمول والانسجام والتجريد والسهولة في الوصف والاقتصاد وعدم التناقض مع توخي الاستقراء والاستنباط » ، وهي من خصائص العلوم عامة والعلوم الاختبارية واللغوية خاصة .

المتداولـة في مختلف الكتب التي عالجت ظهـور النّحـو العربي مع تكرار التّأكيد على مسألة « اللّحن » في منزلتها القومية ؛ ونحن نعتبر أنّ الثّقافات الجديـدة التي دخلت نظـام المجتمـع العربي بحكم الحـدث القرآني هي التي ولّدت حاجات جديدة في مستوى أنظمة الكلام عند المتخاطبين وليس اللّحن سوى مجموعة من القوانين التركيبية وهي مستقراة في الخطاب اليومي للمخبرين وقد لاحظ ذلك ابن جنّي في كتاب الخصائص (2) حيث يبرز أنّ اللّحن يتأصّل في خصائص التركيب الإعرابي ، وليس من قبيل التجوّز أن يُفهم من ذلك ظهور التداخل والتنقّل بين ضروب متعدّدة من التراكيب النّحوية المسموعة لدى المتكلّمين . وينتقل المؤلّف مباشرة بعد ذلك إلى الحديث عن دور البصرة والكوفة في النّشاط النّحوي مع إيراد القياس والسّماع ، ويقيم مقابلة بين المدرّسين في مستويات الرّواية والمصطلحات (3) ويؤول به هـذا العرض إلى توضيح طـورين من أطـوار الثّقافـة العربية سيساعدانـه على نفي نقـل النّحـاة العرب للمنطـق الأرسطي في مؤلّفاتهم فوسـم منطقهم بالمنطق الطبيعي .

وفي القسم الأخير من باب النّحو يقدّم المؤلّف عرضا لمنهج القيـاس بعد السّماع والاستصحاب وهي عناصر الاستدلال ، وأكّد بالخصوص على الاستصحاب فعالج في نطاقه وضع الحرف والكلمة والجملة وأصّل القواعد في هذا المجال كما جعل فصلين لظاهرة العدول والرّدّ : العدول عن الأصل في مستوى الأصوات والأبنية الصّرفية والأبنية الجملية (4)، والردّ إلى الأصل، وقد انحصرت هذه الظاهرة في التأويل وردّ الفروع إلى الأصول لسببين هما

(2) انظر كتاب الخصائص – 2 – ص ص 12 – 13 وص 29 حيث يبرز مفهوم الفصاحة باعتبارها توخي القواعد النحوية في الكلام ويتجلى ذلك أيضا في تنوع الوسائل الإعرابيـة (نص الإعراب – الخصائص – ج 1 – ص ص 35 – 37) .

(3) تمام حسان – الأصول – ص ص 39 – 43 .

(4) نفس المرجع – ص ص 144 – 156 .

ارتباط المعنى بالأصول لا بالفروع وحدس المتكلّم والسّامع بالأصل دون الانتباه إلى اختلاف الفرع (5). وأمّا فيما يتعلّق بالقياس فلم نعثر على وجه من وجوه الطرافة، وكان يحسن بالمؤلّف أن يشير في هذا الباب إلى نظرية التعليل وطغيانها في القرن الرّابع الهجري وهي سمة غالبة في الدّراسات اللّغوية العربية في تلك المرحلة التاريخية ، ثمّ يمكن الاعتناء بتصنيف العلل ومدى تدرّجها عند بعض النّحاة، وذلك التصنيف والتدرّج قد يكشفان عن طرافة بارزة في التّعليم النّحوي فيؤدّي ذلك إلى ظهور بعض الاستفهامات في جوهر « المعرفة » النّحوية عامة (6) .

والباب الكبير الثّاني من كتاب « الأصول » عبارة عن عرض ملخّص لفقه اللّغة وتقسيماته المتنوّعة ، فقد تناول المؤلّف في هذا القسم الأصوات والصّرف والنّحو مع ذكر دور المقارنة بين اللّغات الساميّة والمعاجم العربية في الدّراسات الفقهيّة ، وما يمكن استخلاصه من هذا القسم هو ثبات العلاقة بين لغة الأصول الفقهية ولغة الأصول اللغوية في حين أنّنا نلاحظ إمكانية الفصل بين العلوم اللغوية وغيرها من العلوم على الأقلّ في المنطلقات المبدئية والمنهجية .

وفي الباب الثالث والأخير من الكتاب يقدّم لنا المؤلّف عرضا شاملا للتفكير البلاغي عند العرب من الجاحظ إلى عبد القاهر الجرجاني مؤكّدا على أهميّة علم المعاني ومتانة صلته بالدّرس النّحوي فقد جعل المؤلّف البلاغة تحتلّ من العلوم منزلة بين المنزلتين بالمقابلة الثّنائية التي أقامها في أوّل المقدّمة بين الصّناعات والمعارف ، فالبلاغة بين الصّناعة والمعرفة لكنّها تختصّ بنفس خصائص الصّناعة أي النّحو وفقه اللّغة . ولعلّ الجانب المتميّز في هذا الباب

---

(5) نفس المرجع – ص 158 .

(6) انظر – الزجاجي – الإيضاح في علل النحو – ص ص 64 – 65 ؛ تحقيق مازن المبارك – دار النفائس – بيروت ؛ 1393هـ/1973م .

هو إثارة بعض الاستفهام حول تعريف « معاني النّحو » لدى الجرجاني ثمّ تقديم أسئلة ثلاثة في قضيّة البلاغة العربية وهي (7) :

1) إلى أيّ حدّ نجحت البلاغة العربية في الكشف عن أبعاد المعنى ؟
2) ما موقع البلاغة في حقل الدّراسات اللّسانية ؟
3) ما علاقة البلاغة بالنّقد الأدبي ؟

فالباب الأخير طريف إذ هو يبرز اطّراد رؤية بنيوية في الدّراسات اللغوية العربية وخاصة مع الجرجاني ، وهي تتمثّل في الاهتداء إلى فكرة النظم و« المعاني النحوية » المتوخّاة في نسيج الكلام ، وذلك يعتبر من أبرز خصائص النظرة الأصولية في التّراث اللّغوي العربي .

إنّ كتاب « الأصول » يتضمّن مجموعة من الآراء اللّغوية سابقة في الزّمن لما جاء في كتاب : « اللّغة العربية : معناها ومبناها » (1972) ، وهو عمل تأليفي يذكّرنا بداهةً بأعمال لغوية طريفة ذهبت من حيث التنظيم والشّمول والكشف شوطا كبيرا في مجال مقوّمات النظرية اللغوية العربية وأبعادها المتميّزة في مستويات الرؤية العقلية للنحو والمجهود التأليفي خاصة مع ابن جنّي (8) ، ويمكن أيضا أن نجد صدًى لما ورد في كتاب « الأصول » في مجموعة من المساهمات التأليفية في اللسانيات العربية والتفكير البلاغي عند العرب (9) .

فليس للنّحو العربي « قصّة » بسيطة كما يزعم البعض وإنّما يمكن أن نميّز بين الحاجة للنّحو في الدّراسة الوصفية وهي حاجة العالم اللّغوي وحاجة المتكلّمين إلى لغة مقبولة في الإبلاغ اليومي وفرق ما بين الحاجتين إذ العلم

---

(7) انظر – الأصول – ص 382 .
(8) انظر – عبد القادر المهيري – نظريات ابن جني النحوية (1973) – منشورات الجامعة التونسية .
(9) انظر أعمال – عبد السلام المسدي – التفكير اللساني في الحضارة العربية (1981) ؛ الدار العربية للكتاب – ليبيا – تونس ؛ و– حمادي حمود – التفكير البلاغي عند العرب (1981) منشورات الجامعة التونسية .

تنظير ومنهاجية والتّخاطب سليقة مترسّخة في عملية الكلام إذا وصفها النّحوي استنبط قوانينها العامة وسماتها المميّزة .

ويعتبر عمل تمام حسّان في هذا الكتاب الجديد خطوة هامة تثري البحث اللغوي في ميدان العربية وتبعث على الاستفهام الإيجابي المتواصل من أجل قراءة التّراث اللغوي وكتابته .

خـير الديـن التـونسي

مقدمة كتاب أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك

تحقيق ودراسة الدكتور معن زيـادة
دار الطليعة للطباعة والنشر ـ بيروت
الطبعة الاولى 1978 ـ 231 صفحة .

تقديم : محمد الهادي عيسى

ـ « ولمّا كانت الدراسات عن خير الدين نادرة إلى حدّ يثير الدّهشة وخاصة باللغة العربية ، ولمّا كانت مقدمة « أقوم المسالك » تشكّل المصدر الأوّل لدراسة فكر خير الدين وتجربته في الإصلاح ، فقد رأيت ضرورة إعادة نشر هذه المقدمة وقدّمت لها بدراسة تحليلية كما زوّدت المقدّمـة بهوامش تلقي المزيد من الضوء على فكر خير الدين ، وأثبتّ فهارس الطبعة الأولى بكاملها تعميما للفائدة ، آملا أن يملأ ذلك بعض الفراغ الموجود في ميدان دراسة كتاب أقوم المسالك وتجربة خير الدين وتونس بل والتجربة العربيّـة عامّـة في محاولـة النهـوض ومواجهـة التحدّيـات الفكـريّـة خاصة » ـ (ص 7) .

وردت هذه الفقرة في نهاية « التمهيد » (ص ص 5 ـ 7) الذي صدّر به الدكتور معن زياده تحقيقه لمقدمة كتاب أقوم المسالك ؛ وقد تضمّنت في

الآن ذاته حوافز الإقدام على انجاز هذا العمل ثم أشارت إلى أقسام الكتاب فالغاية التي ينشدها المحقّق من ورائه .

ولقـد احتـلّ نـصّ مقدمـة أقـوم المسالك أهمّ جزء من الكتاب (ص ص 105 — 228) ، وكان مسْبوقا — فضلا عن التمهيد المشار إليه سابقا — بدراسة (ص ص 9 — 89) فصورة لغلاف الطبعة الأولى (1) يليها « فهرس الكتاب » (ص ص 93—103) (2) ؛ ثمّ شُفع النصّ بقائمة « مراجع مختارة » (ص ص 229—230) وخُتم بـ« فهرست » (ص 231) .

وباطلاعنا على هذا الكتاب في طبعته الجديدة هذه ، عنّت لنا جملة من الملاحظات سنوردها بمناسبة تعريفنا بكل قسم من أقسامه .

---

(1) المقصود بذلك الطبعة التي صدرت في حياة خير الدين عن مطبعة الدولة بتونس سنة 1867 .
وقد قسم خير الدين مصنفه إلى خطبة (ص ص 2 — 5) ثم المقدمة (ص ص 5 — 89) وهي الجزء الذي استقطب اهتمام المحققين والدارسين ، فكتابين موزعين على أبواب وفصول (ص ص 90 — 446) ، أولهما « في الكلام على ممالك أوربا » (ص ص 90 — 432) والثاني « في الكلام على أقسام الكرة » (ص ص 433 — 446) ، ثم يختم بـ« جدول في المقابلة بين التارخين الهجري والمسيحي » (ص ص 447 — 461) قبل المرور إلى « تقاريظ الكتاب » وقد اثبتت في خمسين صفحة مرقمة ترقيما مستقلا من 1 إلى 50 في آخر المؤلف .
انظر مزيدا من التفاصيل عن أقسام الكتاب وفحواه في :
* خير الدين التونسي : أقوم المسالك في معرفة دحوال الممالك ، المقدمة وتقاريظ المعاصرين ، تحقيق المنصف الشنوفي ، الدار التونسية للنشر 1972 .
انظر خاصة ص ص 23 — 40 .
Ahmed ABDESSELEM. — Les Historiens Tunisiens des XVIIe, XVIIIe et XIXe siècles. - Publ. Univ. de Tunis 1973.
انظر ص ص 516 — 520 + ص ص 552 — 591 .
Béchir TLILI. — Les Rapports Culturels et Idéologiques entre l'Orient et l'Occident en Tunisie, au XIXe siècle (1830 - 1880). - Publ. Univ. de Tunis (1974).
انظر خاصة ص ص 148 — 158 .
Béchir TLILI. — Khéredine (1821-1890) Réformateur et homme d'Etat Tunisien et Ottoman. - Collect. les Africains, T. VIII pp. 133-167.

(2) يعني فهرس أقوم المسالك في طبعته الأولى 1867، وقد نقل هذا الفهرس بحذافيره عن ص ص 2 — 11 من هذه الطبعة .

I — التمهيـد : (ص ص 7 — 9)

يستهلّـه المحقّـق بابـراز مكانـة « أقـوم المسالك » بين مصنّفـات روّاد الإصلاح في القرن الماضي ، باعتباره « أحد الوثائق القليلة الهامّة التي كتبها مفكّر سياسي باللغة العربيّة » (ص 6) ؛ ثمّ يؤكّد على منزلة خير الدين بين هؤلاء الإصلاحيّين ، لا سيّما والرجل قد جمع إلى نشاطه الفكري تجربةً سياسيّة عملية اكتسبها بتولّيه رئاسة الوزراء بتونس ثم الصدارة العظمى بالاستانه (3) .

ولقد استرعى اهتمام المحقّق أنّ مقدار اطلاع القرّاء المشارقه ومدى اهتمام الدارسين منهم للفكر الإصلاحي لا يتناسبان مع أهميّة كتاب « أقوم المسالك » ومنزلة صاحبه ، وذلك لأنّهما مجهولان ؛ ونتيجة لهذه الملاحظة يذهب المحقّق إلى أنّ « نشر هذا الكتاب والتعريف بصاحبه يعزّز (كذا) معرفة أهل الشرق العربي بتجربة المغرب ، خصوصا في جزء لا يزال غير معروف وهو تجربة تونس الاصلاحية في القرن الماضي » (ص 5) (4) .

بل إن لكتاب خيـر الديـن في رأي معـن زيـادة أهميةً تتجـاوز الإطار التونسيّ الضيّق لتتعدّاه إلى إطار عربيّ أشمل ، ذلك أنّ هذا المؤلّف شاهد على « تجربة الإصلاح في كل البلاد العربيّة وعلى رأسها تجربة محمد علي باشا في مصر » (ص 6) ؛ وانطلاقا من هذا التقرير يعمد المحقّق إلى استجلاء أبرز القواسم المشتركة بين تجربتي تونس ومصر الإصْلاحيتين (5) .

(3) لا يعقل في رأينا أن نتحدث عن تكوين خير الدين بدون الاشارة إلى سفراته المتعددة إلى الاستانة وبعض بلاد أوربا ، لا سيما وأن لهذه الاسفار صلة وثيقة بمحتوى الكتاب وبتفكير خير الدين الاصلاحي .
انظر تفاصيل هذه الاسفار في طبعة الشنوفي لمقدمة أقوم المسالك ص 83 — الهامش 6 .

(4) يبدو أن مساعي المحقق في هذا الصدد لم تذهب سدى ، فقد ظهرت بعد نشر كتابه فصول نقدية بمجلات مشرقية تهتم بفكر خير الدين وتستعمل هذه الطبعة موضوع تقديمنا . انظر مثلا : حسين ضناوي — « الحاكم : آراء مفكري عصر النهضة العربية في السلطة » مجلة دراسات عربية ، السنة 18 عدد 4 (فيفري 1982) 102 — 135 .
انظر الفصل المتعلق بخير الدين ص ص 114 — 121 .

(5) يعود المحقق إلى مزيد من التفاصيل في هذه القضية ص ص 23 — 27

ويمـر معـن زيـادة إلى التعريف بمحتـوى كتـاب « أقوم المسالك » ثم يستعرض طبعاته وترجماته المختلفة من تاريخ صدوره كاملا في طبعة عربية سنة 1867م فترجمة مقدمته إلى الفرنسية باشراف صاحبه سنة 1868 (6) إلى تاريخ صدور هذه المقدمة بتحقيق المنصف الشنوفي سنة 1972 ، ويتوقّف عند ترجمة ليون كارل براون Léon Carl Brown الانقليزيّة لنص المقدمـة منوها بما توفّر فيها من « دراسة تحليليّة مستفيضة » و« هوامش مفيدة » معترفا بأنّها كانت « مصدرًا من مصادر » عمله (ص 7) .

II — الدراسة : (ص ص 9 — 89)

تنقسم هذه الدراسة المطولة إلى محورين رئيسيّين عُنون أولهما بـ« من تونس إلى خير الدين إلى أقوم المسالك » (ص ص 9 — 43) وضم مجموعة من الفصول الصغرى :

1) تونس بين التبعيّة والاستقلال (ص ص 9 — 13)
2) تونس في القرن التاسع عشر (ص ص 13 — 17)
3) مجدد مبكّر (ص ص 17 — 23)
4) تونس ومصر نموذجان متشابهان (ص ص 23 — 27)
5) مقدمة أقوم المسالك أهم أعمال خير الدين (ص ص 27 — 32)
6) خير الدين ومحاولات الباي أحمد الاصلاحية (ص ص 32 — 36)
7) خير الدين على محك العمل (ص ص 36 — 43) .

ويتّضح من عناوين الفصول أن معن زيادة يروم من هذه المقدمة تحديد الأطر التاريخية ورسم الأرضيّة الفكريّة التي نشأ فيها كتاب خير الدين ، فنراه تبعا

(6) Général Khéreddine. — Réformes nécessaires aux Etats Musulmans. Essai formant la première partie de l'ouvrage politique et statistique intitulé : La plus sûre direction pour connaître l'état des nations. - Paris, Dupont, 1868, 79 pages.

لذلك يتبيّن تاريخ العلاقات العثمانية التونسية من بدايتها على يدي خير الدين « بربروسا » (كذا) إلى حد استقلال تونس بعد الحماية الفرنسيّة ، ثم يتطرق إلى أهم مميّزات البلاد التونسية في عهد خير الدين سكنيّا واقتصاديا وسياسيّا وفكريّا ، فيصل إلى الاقرار بأنّ برنامج خير الدين الإصلاحي امتداد طبيعي للجهود الاصلاحية التي يَعود تاريخها إلى ما قبل خير الدين سواء في تونس ذاتها أو في مركز الخلافة العثمانية وبعض البلدان الشرقية إنْ بالتنظير أو بالانجاز على ايدى بعض الأعلام المشهورين من روّاد التحديث كالطهطاوي ومحمد علي باشا والسلطان محمود ومدحت باشا ، ويستخلص المحقّق أنّ ميزة خير الدين تكمن في كونه « قد خرج على (كذا) المألوف من رجال السياسة فجمع في شخصه بين السياسي والمفكّر والكاتب ، فخيْر الدين هو مزيج من محمد علي والطهطاوي في مصر » (ص 22) .

وبهذه النتيجة ينفتح المجال أمام المحقّق لعقد مقارنة بين التجارب الإصلاحية في كلّ من تونس ومصر والاستانة مبرزًا وجوه الشبه بينها ، مقتنعا بأنّ مصنَّف خير الدين « ليس تقويما لتجربة تونس الإصلاحية فقط ، بل هو تقويم لتجربة مصر الإصلاحية أيضا ولعهد التنظيمات الذي كانت الدولة العثمانية منخرطة فيه » (ص 23) .

ثم يمرّ صاحب هذه الدراسة إلى محاولة تقييم لاثار خير الدين المكتوبة، وهي تضمّ ــ فضلا عن أقوم المسالك ــ وثيقتين : أولاهما « إلى أولادي : مذكرات حياتي الخاصة والسياسية » وقد أملاها خير الدين بالفرنسية فيما بين 1885 و1886 ، والثانية « برنامجي » وهي مترجمة إلى الفرنسية عن البرنامج السياسي الذي قدّمه المؤلِّف إلى السلطان عبد الحميد الثاني سنة 1882، وقد نشرهما محمد الصالح مزالي وجان بينيون J. Pignon بالمجلّة الزيتونية

سنتي 1934 و1935 (7) . وإذا كنّا نتّفق مع معن زيادة في كون مقدّمة أقوم المسالك « أهمّ ما كتبه خير الدين » فإننا لا نرى موجبا للتسرّع في الحكم بأنها « تلخّص كل ما كتبه وتغني عنه » (ص 31) ، لا فقط لأننا نعتقد أنّ بقية اثار خير الدّين كفيلة بإنارة سبيل الباحث في فهم مقوّمات البرنامج الإصلاحي المقترح في المقدّمة واستيضاح بعض الجوانب الغامضة فيها وفي حياة الرجل ، بل وكذلك لأنّ هذا الحكم لمقدّمة أقوم المسالك يتضارب مع رأي آخر تضمنته دراسة معن زياده وورد فيه : « وإذا كان هذا الاهتمام بالمقدمة يؤكّد اهمّيتها البالغة إلاّ أنّ (كذا) إهمال أجزاء الكتاب الأخرى كلّية أمر غير جائز للباحث المتخصص ، صحيح انّ ما في الكتاب من معلومات تاريخية وجغرافية وسياسية أصبح الآن من الأمور المعروفة والشائعة بل والتي تخطاها الزّمن ، إلاّ أنه من المهمّ بمكان معرفة كيفيّة معالجة خير الدين لموضوعه ... » (ص 29) (8) ؛ بل إن معن زيادة يعود في فقرة موالية ليتبيّن بنفسه وجها من وجوه الاستفادة من المذكّرات لا يتوفّر في المقدّمة ، لأن مذكرات خير الدين « تختلف عن مقدمة أقوم المسالك في أنّها قد وُضعت بعد انتهاء دور خير الدين السياسي » (ص 37) ؛ وأغرب من ذلك أن نجد بُعيد هذه الفقرة تصريحا بأن

---

(7) انظر الإحالة في الكتاب – موضوع التقديم – ص 31 الهامشين 6 و7 . وتجدر الإشارة إلى أن الوثيقتين قد أعيد نشرهما مع وثائق أخرى هامة في كتاب مستقل :

M.S. MZALI et J. PIGNON. — Khéreddine homme d'Etat : Documents historiques annotés t. 1er Mémoires. Maison Tunisienne de l'Edition 1971, 326 pages.

وانظر : أحمد عبد السلام وحسين الحداد – احصاء وتلخيص لوثائق خير الدين الخاصة ، الجامعة التونسية مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية ، 1982 – انظر حوصلة لوثائق خير الدين في التقديم ص ص 7 – 10 .

(8) إذا استثنينا مقدمة أقوم المسالك التي حظيت بعدة طبعات . فإن أقسام الكتاب الأخرى لم تنشر إلا مرة واحدة في الطبعة الأولى 1867 . وقد تفطن المنصف الشنوفي إلى هذا النقص ووعد بتلافيه حيث قال في طبعته للمقدمة « ورجاؤنا أن تصدر في القريب العاجل طبعتنا المحققة للجزء الثاني من أقوم المسالك المحتوي على رحلات خير الدين إلى عشرين بلدا أوربيا ، وطبعتنا المحققة للترجمة الفرنسية والترجمة الانقليزية خاصة وأن السيد كارل بـراون (C. Brown) لم يعثر على الترجمة الانقليزية وقد وفقنا إلى الظفر بها » (ص 8) .
لكن هذا المشروع لم يكتب له الانجاز إلى يوم الناس هذا .

المذكـرات « توقفنا على حقيقـة وجهـة نظـر خيـر الديـن ورأيه في الحكومة وطبيعتها » (ص 42) .

وما أن يذهب الظنّ بالقارىء إلى أنّ المحقّق قد فرغ من المقدّمات التاريخيـة التمهيديّة وشرع يتعمّق فكر خير الدين وخصائص مؤلّفه حتّى يُفاجأ بالعودة من جديد إلى الأطر والظروف السياسية والفكريّة التي مارس فيها خير الدين تجربته الإصلاحية ، فيرى المحقّقَ يفصّل القول في « محاولات الباي أحمد الإصلاحية » ومدى استفادة خير الدين منها لأنها كانت « بمثابة دروس هامّة تلقاها خير الدين » (ص 35) ، بل إنّه يذكّر بالمجهود الإصلاحي الذي بذله البايان حمّوده (1777 – 1814) ثم محمود (1814 – 1824) . وينهي معن زيـادة الجـزء الأول من دراسته بأن يستعـرض – نقلا عن مذكّرات خير الدين – أهمّ ما انجزه الرجل زمن توليه بعض المناصب السياسية وخاصة الوزارة الكبرى (1873 – 1877) ، ثم يتبيّن حدود هذه الإصلاحات بالقياس إلى مطامح برنامجه ، وكأنّنا بمعن زيادة يكلّف نفسه ضمنيّا مؤونة البتّ في قضيّة تقليديّة قائمة على التساؤل عن العلاقة بين « النظر » و« التطبيق » في فكر خير الدين وعمله السياسي وعن النِّسَب بينهما (9) ، فلا غرابة إذن أن يفضي البحث إلى نتيجة تقليدية مألوفة وأن نرى المحقّق يؤكّد كغيره من الدّارسين أنّ « أبا النهضة التونسية لم يكن أبـا لهذه النهضة بما انجزه كسياسي إصلاحي بل بما انجزه ككاتب ومفكر » (ص 43) .

تلك إذن أبرز الأفكار التي تضمنها القسم الأول من الدراسة ، وغير خاف أنّها لا تضيف جديدا للبحوث العديدة التي اعتنت بفكر خير الدين أو

(9) القضية تقليديه لأنه تكاد لا تخلو دراسة واحدة من التعرض إليها ، ولأن طرحها يعود في تاريخه إلى حياة خير الدين نفسه كما تشهد بذلك مذكراته .
ولقد كان الشيخ محمد السنوسي (1851 – 1900) من السباقين إلى هذه المسألة وتوجه بالانتقاد فيها إلى خير الدين رأسا .
انظر : محمد السنوسي – الرحلة الحجازية ، الجزء 2 ، تحقيق علي الشنـوفي ، الشركة التونسية للتوزيع 1981 فصل « الخبر عن التونسيين في الآستانه » ص ص 111 – 128 .
وانظر نفس الفصل محققا بحوليات الجامعة التونسية 7 (1970) 79 – 111 .

عملـه السياسـي ، وقد وردت أقسـام هذه الدّراسـة متداخلة رغـم عناوينها الواضحة ، مشوّشة منهجيّا متذبذبة بين التأريخ للحركة الاصلاحيّة والترجمة لخير الدين والتعريف بأقوم المسالك وما يشبه النقد للتفكير الاصلاحي الذي تضمّنته المقدمة .

ونعتقد أن هذه الدراسة كان يمكن ألاّ تخلو من طرافة لو أنّ صاحبها وجّه مزيدا من العناية للمقارنة بين التجربتين الاصلاحيتين بتونس ومصر ، فقد كان محقّا في قوله : « لقد أصبحت أوجه الشبه بين التجربتين التركية ــ العثمانية والمصريّة أمرًا متّفقا عليه بين الباحثين الذين كثيرا ما يدرسون إحدى التجربتين على ضوء الاخرى ، إلاّ أنّ أكثر هؤلاء ينسى احتمال وجود تجربة ثالثة مماثلة تلقي الكثير من الضّوء على التجربتين الأخريين ألا وهي التجربة التونسية ... » (ص 25) .

ونحن وإن كنّا لا نعترض على الصبغَة « التعميميّة » التي اكتستها هذه الدراسة ، لا سيّما وأنّها تتّجه « للعدد الواسع من القرّاء » (ص 5) ممّـن يجهلون أقوم المسالك وصاحبَه ، فإنّنا نرى لزاما علينا ــ خدمة لهؤلاء القرّاء ــ أن ننبّه إلى بعض المغالط المتسرّبة إلى هذه الدّراسة والتي تصل إلى حدّ تشويه بعض أسماء الاعلام أو المعلومات التاريخية وفيما يلي نماذج منها (10) :

أ ــ « ... وقد استمرّ هذا النظام رسميّـا حتى حصلت تونس على استقلالها سنة 1957 (كذا) وتحوّلت إلى جمهوريّة مستقلّة » (ص 11) .

المعـروف أنّ 20 مـارس 1956 هو التاريـخ الصحيـح لاستقـلال البلاد التونسية ، ولو أنّ الكاتب غيّر تركيب الجملة وأرجأ التاريخ إلى آخرها فقال

(10) لم نأخذ بعين الاعتبار بعض الأخطاء في لغة معن زيادة كقوله (ص 19 س 4) « تلك المدارس التي انشاهما (كذا) واشرفا عليها » وقوله (ص 29 س 15) « المصطلحات السياسية العربية التي استخدمها [= خير الدين] التعبير (كذا) عن المفاهيم » والصواب للتعبير ... الخ .

« وتحوّلت إلى جمهوريّـة مستقلّـة سنـة 1957 » لكنّـا على الأقـلّ فهمنا أنّ المقصود هو تاريخ اعلان الجمهوريّة في 25 جويلية 1957 .

ب – « إلاّ أنّ محاولات الباي أحمد كانت قد اضطرّت إلى التراجع أمام سرعة تطوّر الأحداث المحلّية وأمام مطالبات الدائنين الاوربيين التي انتهت فيما بعد بتعليق الدستور بدخول (كذا) القوات الاستعمارية إلى البلاد سنـة 1881 » (ص 23) .

الصواب أنّ الدستور قد أُلغي العمل به بعيد ثورة علي بن غذاهم سنة 1864 ، وقد يكون معن زيادة على علم بذلك لكنّ تركيب الجملة يوهم بوجود علاقة سببيّة بين « تعليق الدستور » و« دخول القوات » ، ويمكن أن يستقيم الأمر في هذه الفقرة بعطف « دخول » على « تعليق » بالواو أو ثمّ ، فيُفهم عندئذ أن الأحداث انتهت بتعليق الدستور ثم بدخول القوات الاستعمارية .

أمّا بخصوص « مطالبات الدائنين الاوربيين » فالصّواب أنّ عمليّة الاقتراض من المؤسسات الأوربيّة بدأت بعد عهد أحمد باي ، ويعود تاريخ أول قرض إلى سنة 1863 على يدي مصطفى خزندار في فتره حكم الصادق باي (1859 – 1882) (11) .

ج – « وإذا كان هناك بعض محاولات الإصلاح والتحديث قبل هاتين المحاولتين وخاصّة على يد الباي حمّودة باشا الذي ظهر في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر كما ذكرنا قبلا ، وعلى يد الباي محمود الذي خلف (كذا) حمُودة على الحكم سنة 1814 ... » (ص 32) .

(11) انظر :
* أحمد بن أبـي الضياف – اتحاف أهل الزمان ... ج 5 ، ص ص 96 – 97 .
* خير الدين – المذكرات :
* المنصف الشنوفي ، مقدمة أقوم المسالك ... ص ص 36 – 37 .

قد توهم عبارة « خلف » بأنّ محمود باي (1814 ـــ 1824) قد حكم مباشرة بعد حمّودة باي (1777 ـــ 1814) . ولمزيد الدقّة نشير إلى أنّ عثمان باي هو الذي خلف حمّودة باي فحكم بضعة أشهر (16 سبتمبر 1814 ـــ 11 ديسمبر 1814) ومات مقتولا (12) .

د ـــ « وكان سبب استقالته (= خير الدين) اختلافه مع والد زوجته حول أمر الاستدانة من المرابين الأوربيين ، وعلى إثر ذلك غادر خير الدين تونس (كذا) وعاش لمدّة سبع سنوات (كذا) في الخارج (كذا) حيث تيسّرت له فرصة وضع كتابه أقوم المسالك في تلك الفترة التي فرض فيها على نفسه الإبتعاد عن السياسة والإنصراف للدراسة والتأمّل » (ص ص 36 ـــ 37) .

الثابت ـــ خلافا لما تؤكده هذه الفقرة ـــ أنّ خير الدين لم يهاجر من البلاد ولم يهجر السياسة كلّيا بعد استقالته وإنّما « **اعتكف بقصره مدّة خمس** سنوات إلى تاريخ صدور أقوم المسالك ... وحيث لم يكن ابعاده عن الحكم إلاّ لامتناعه من الاقتراض من أوربا فإنّ الباي وخزنه دار لم يبعداه تماما عن الحياة السياسية فكان (كذا) يستشيراه (كذا) في نطاق المجلس الخاص للباي في كبرى القضايا ومنذ اعلان الدستور سنة 1861 **بعثة الباي في مهمّات ديبلوماسية وهي** تسليم الأوسمة لرؤساء الدول الأوربيّة الذين هنأوا الحكومة التونسية بإعلان الدستور **وواصل تكليفه بهذه المهمّات** بعد ابعاده عن الحكم » (13) .

وينضاف إلى هذه الاخطاء التاريخية بعض أسماء الأعلام التي كانت عرضة للتشويه :

(12) انظر محمد الصالح مـــزالي ـــ الوراثة على العرش الحسيني ط. الدار التونسيـــة للنشر 1969 ص 10 + ص ص 25 ـــ 27 .

(13) وردت هذه الفقرة في الدراسة التي صدر بها المنصف الشنوفي طبعته لمقدمة أقوم المسالك (انظر ص 39) ونفس المعلومات التاريخية متوفرة في غيرها من الدراسات فهلا نظر فيها معن زيادة قبل اخراج كتابه وهلا انتبه إلى ما تعمدنا تسطيره في الفقرة ـــ ، أم هل وجد في دراسة ليون كارل براون (L.C. Brown) بغيته وغنيته ؟ !

– ص 31 الهامش 6 : (M.S.M. Jali) (14) الصواب أنه محمد الصالح مزالي

– ص 34 س 25 : « مصطفى الخزندار»
ص 36 س 22 : « الخازنـدار» } والصواب خزندار أو خزنه دار

– ص 43 س 23 : بشير صفار / وهو البشير صفر

وواضح أن اعتماد الكاتب مراجع أجنبيّة قد أوقعه في بعض المزالق لأنّه لم يتثبّت عند الترجمة من الأصل العربي لبعض الكلمات ، من ذلك :

– ص 4 س 1 : مدينة « سوس » عوض سوسة ، وفي ذلك اغترار بـ Sousse

– ص 26 س 9 : « أناضوليا » عوض الأناضول ، اغترار بـ Anatolie

– ص 16 س 5 : « حبوس » عوض حُبُس، اغترار بـ Habous (15).

أمّا القسم الثاني من مقدّمة معن زيادة فقد خُصّ لـ« دراسة تحليليّة لمقدمة أقوم المسالك » (ص ص 44 – 89) ووُزّع على ستّة فصول :

1) خطبة الكتاب : منهج تجريبي وموقف فلسفي صريح (ص ص 44 – 48)
2) سببان للتأليف : معركتان في معركة واحدة (ص ص 48 – 55)
3) الحريّة ... الحرّية (ص ص 56 – 65)
4) بين المشورة والاستبداد (ص ص 65 – 73)
5) التنظيمات بين النّقل والعقل (ص ص 73 – 82)
6) حتميّة التطوّر (ص ص 82 – 89) .

---

(14) ورد نفس الاسم بقائمة «المراجع المختارة» ص 230 مشوها بطريقه ثانية : (Mjali M.S.)

(15) الملاحظ أن كلمة « حبس » ذاتها جمع لحبيس وهو « كل شيء وقفه صاحبه وقفا محرما لا يورث ولا يباع » ، فلا داعي إذن لجمعها ، أما لفظ « أحباس » الذي يستعمله فقهاء المالكية ويتردد على السنة سكان شمال إفريقيا فهو في الأصل جمع لكلمة « حبس » وهو « كل سد به مجرى الوادي » . انظر :
– لسان العرب ، مادة « حبس »
– دائرة المعارف الاسلامية ، بالفرنسية ، مادة « وقف »
(E.I. 1 IV, 1154-1162 : « wakf »

ولسنـا في حاجـة إلى تتبّع هذه الفصول بالتلخيص والنقـد على الطريقـة التي توخّيناها في تعاملنا مع القسم الأول من الدراسة ، فعناوين الفصول كفيلة وحدها بالايحاء بأهمّ ما تضمنته ، وإنّما نكتفي بالاشارة إلى أنّ صاحب الدراسة قد حاول الإحاطة بأبرز مقوّمات برنامج خير الدين الاصلاحي كما يتراءى من خلال المقدمة ، وتوفّق إلى تحليل ركائزه الأساسية وابلاغها إلى القارىء واضحة في أغلب الأحيان .

كما أنّ هذا الجزء من دراسة المحقق لم يخل من جهد تقييمي غايتـه استكشاف طرافة نظرية خير الدين الاصلاحية (16) ثم نقائصها وحدودها (17) أو الغموض الذي يكتنف بعض جوانبها (18) مع توخّي المقارنة أحيانا بين تفكير صاحب أقوم المسالك وتفكير ابن خلدون (19) أو الطهطاوي (20) .

إلاّ أنّ هذه الدراسة — رغم ما ذكرنا — قد بقيت في أكثرها « تحليلية » كما أرادها صاحبها وقلّما تخطت ذلك إلى التأليف والنظرة الشاملة ، بل لا نبالغ إذا قلنا أنها لا تعدو أن تكون في بعض جوانبها سردا وتلخيصا أو مجرّد ربط بين الفقرات المقتبسة من النص المحقق . وينضاف إلى هذا أنّ بعض المصطلحات التي يستخدمها مؤلف الدراسة وبعض أحكامه التي يطلقها بدت لنا قلقة في موضعها وفي حاجة إلى التثبت والمراجعة ؛ فما من شك في أنّ منهج خير الدين في مقدمته كان فعلا « استقرائيا » (21) ، لكنّنا نتساءل إلى أي حدّ يمكن أن نعتبره « تجريبيّا » (22) وإلى أيّ مدًى يمكن الاطمئنان

(16) انظر مثلا ص 84 من الكتاب موضوع التقديم

(17) انظر مثلا ص ص 86 — 89 ، من الكتاب موضوع التقديم

(18) انظر مثلا ص ص 62 — 63 ، من الكتاب موضوع التقديم

(19) انظر مثلا ص ص 82 — 83 ، من الكتاب موضوع التقديم ، وهي مقارنة قد سبقه إليها عدة باحثين كما يشير معن زيادة نفسه ، ص 83 هامش 44 .

(20) انظر ص ص 76 — 77 .

(21) انظر ص 44 سطر 21 .

(22) انظر ص 44 ، عنوان الفصل

إلى أنه قد كان لخير الدين في مقدمته « موقف فلسفي صريح » (23) ، كما أنه لا يمكن أن نجاري معن زياده في مقدار الوضوح الذي صنّف به نوعية تفكير خير الدين بالقياس إلى معاصريه من المفكّرين عندما قال :

« وإذا كان مسلمو عصر النهضة قد اختلفوا في أمر اصلاح الدين والدنيا فمنهم من رأى اصلاح الدين والعودة إلى أصوله كفيل باصلاح مسيرة التاريخ (وهم أصحاب الموقف السلفي) ومنهم من رأى بأنّ اصلاح أمر الدنيا وتطوير المجتمع واللحاق بركب الحضارة والعمران كفيل بإعادة القوة إلى الدين (وهم القائلون بالاستعارة والنقل والتجديد) فإن خير الدين ينحاز إلى أصحاب الموقف الثاني مؤكّدا في الصفحة الثانية من الخطبة « ضرورة أنّ التنظيم الدنيوي أساس متين لاستقامه نظام الدين » (ص 46) (24) . فهل يعني هذا أنّ خير الدين بعيد كل البعد عن مواقف التيّار السلفي مِـنْ هذه القضية ومن غيرها ؟ وهل يمكّننا استنطاق الشاهد المذكور في الفقرة من القطع بأنّ عبارة « أساس متين » تقيم علاقة سببية واضحة بين «التّنظيم الدنيوي» و«استقامة نظام الدين» ؟ ! (25) .

هذا ، ولم يخل القسم الثاني من الدراسة كسابقه من بعض الأخطاء المطبعيـة والعيـوب المنهجيـة ، فبالاضافـة إلى بعض الأخطاء في لغـة المحقق نفسه (26) ، لم تسلم الشواهد المقتبسة من نصّ خير الدّين من التشويه الذي يسيء إلى فهم المعنى إن لم يقلبه كلّيا :

---

(23) انظر ص 44 ، عنوان الفصل .

(24) عن صعوبة تصنيف المفكرين وتيارات التفكير في الفكر العربـي المعاصر انظر : عبد الله العروي – الايديولوجيه العربية المعاصرة ، ترجمة محمد عيتاني . دار الحقيقـة للطباعة والنشر بيروت . ط 1 . 1970 = انظر ص ص 45 – 54 .

(25) الترجمة الفرنسية تؤكد ما ذهبنا إليه .
« ....et sachant bien qu'une bonne réglementation des affaires civiles **ne peut être qu'avantageuse** aux intérêts religieux ».
انظر الترجمة الفرنسية (Reformes nécessaires...)

(26) مثلا : ص 44 س 6 : « الأسطر الثلاث (كذا) »
ص 71 س 6 : « الرجال القلائل الذين جار (كذا) بهم الدهر » عوض جاد .

– ص 50 س 17 : « ليس بعده عيان (كذا) » وصوابه بيان
– ص 52 س 4 : « بمسار (كذا) النظر » وصوابه بمسبار
– ص 71 س 5 : « ... وأنّ العمل بالرأي الواحد مدعوم (كذا) » وصوابه مذمـوم
– ص 78 س 23 : « وكفّ الايـدي الجائـرة من الـولادة (كذا) » وصوابه الولاة .

أما على المستوى المنهجي فإنّ المؤلف لم يلتزم الدقّة الضرورية في الاحالات الواردة في الهامش ، فنراه يكتفي غالبا بذكر عنوان الكتاب أو جزء منه دون الطبعة وموضع الشاهد منها (27) ، وأغرب من ذلك أنّه عندما يقتبس من نصّ خير الدين يحيلنا – إن فعل – على صفحات طبعة أقوم المسالك التـي ظهرت سنة 1867 لا على تحقيقه هو لنصّ المقدّمة ، فهل معنى ذلك أن القارىء الذي يطالع دراسة معن زيادة ويرغب في الرجوع إلى الشواهد في موضعها من نصّ خير الدين قصد المقارنة والتحقيق يجب أن تكون طبعة أقوم المسالك الاولى بين يديه ؟ ! وعندئذ فما موجب إعادة نشر مقدّمة هذا المصنَّف ؟ !

III – فهارس الكتاب : (ص ص 93 – 103)

لقد أحسن المحقق صنعا عندما « اثبت فهارس الطبعة الأولى بكاملها تعميما للفائدة » (ص 7) (28) لأنّ هذه الفهارس ، في حالة عدم توفّر الطبعة

---

(27) ورد في هامش ص 59 مثلا : « وقارن مقالنا مدخل لدراسة مصطلحات السياسة » دون مزيد من الدقة ، فلم يكن الاهتداء إلى موضع هذا المقال أمرا هينا ؛ انظر :
معن زيادة – « مدخل لدراسة مصطلحات عصر النهضة ، السياسية خاصة »
أ) مجلة الفكر العربـي ، السنة 1 عدد 2 (اوت 1978) 260 – 274 .
ب) مجلة الفكر العربـي ، السنة 1 عدد 3 (سبتمبر 1978) 136 – 145 .
وقد ورد في هامش ص 260 من الجزء الأول من المقال :
« يكاد هذا الجزء من الدراسة أن يقتصر على المصطلح عند رفاعة الطهطاوي ، على أن يتناول القسمان الثالث والرابع المصطلح عند خير الدين التونسي وعبد الرحمان الكواكبـي » .
فهل نشر القسمان الثالث والرابع ؟ أين ؟

(28) انظر الهامش رقم 2 من تقديمنا هذا .

المذكورة ، كفيلة بارشاد القارىء إلى أهمّ مشاغل خير الدين والجوانب التي ركّز عليها في وصفه للبلدان الأوروبيّة والمنهج العام الذي اتّبعه في ذلك ، لكنّ هذه « الفائدة » كانت تكون أجلّ واشمل لو أنّ المحقق كان أكثر أمانة في نقل هذه الفهارس عن أصلها في طبعة 1867 وكلّف نفسه عناء الاشارة إلى الصفحات التي تحتلّها أقسام الكتاب الكبرى — وهي مقدّمة وكتابان — ثم الأبواب والفصول داخلها ، فتحصل بذلك للقارىء فكرة عن النِّسَب المتفاوتة في أحجام هذه الأقسام ويعلم على الأقل أن المقدّمة قد مسحت وحدها 84 صفحة ثم احتلّ الكتاب الأوّل في وصف البلدان 356 صفحة بينمالم يتجاوز الكتاب الثاني في الكلام على أقسام الكرة 14 صفحة .

وكان على المحقّق أن يتدارك النقص الموجود بفهارس الطبعة الأولى للكتاب فيضيف إليها القسم الخاصّ بالتقاريظ وقد أُثبت في 50 صفحة مرقمة ترقيما مستقلا في آخر أقوم المسالك ، والملاحظ أنّ المحقق قد ذكر هذه التقاريظ في موضعين من مقدمته الدراسية هما المناسبتان الوحيدتان اللّتان أشار فيهما إلى طبعة الشنّوفي لمقدمة مصنَّف خير الدين (29) ، ولم ير موجبا لإعادة نشر هذه التقاريظ والحال أنها لا تخلو من فائدة — ولو بالسّلب — كما اعترف معن زيادة نفسه قائلا « ومراجعة التقاريظ والتعليقات التي كتبها معاصروه من الأدباء والمفكّرين حول كتابه تظهر عدم استيعابهم لجوهر القضية التي تصدّى لها خير الدين وتبيّن مدى تقدمه عليهم » (ص 89) .

ثم إن ارتباط الإشارة إلى طبعة الشنوفي كرّتين بذكر التقاريظ قد يوهم القارىء بأنّ وجود هذه التقاريظ في الطبعة المذكورة والاستعاضة عنها بفهارس الكتاب في طبعة معن زيادة — موضوع تقديمنا — يشكّلان الفرق الوحيد بين تحقيق الرجلين أو يمثلان الميزة الوحيدة في الطبعة الأولى ، وهذا

(29) كان ذلك ص 7 س 8 — 10 ثم ص 89 الهامش 48 .

مخالف للواقع ، أولا لأنّ الشنّوفي لم يغفل عن ايراد فهرس مقدمـة أقـوم المسالك كما وضعه صاحب الكتاب في طبعته الأولى (30) ، وثانيا لأنّ الفروق بين الطبعتين جوهرية تمسّ منهج التحقيق ومقوّماته العلمية كما نتبيّن فيما يلي :

VI — تحقيق نص المقدّمة : (ص ص 105 — 228)

لقد اختار المحقق أن يقسم نصّ المقدّمة إلى فقرات مطوّلة وفقا لما أثبته خير الدين في فهارس الكتاب من فصول أو « مطالب » حسب تعبيره ، وقد بلغ عددها 34 مطلبا عدا خطبة الكتاب . ومما يلفت النظر أنّ خير الدين نفسه لم يلتزم هذا التقسيم المشار إليه فوردت المقدمة في طبعة الكتاب الأولى مسترسلة لا تتخللها أيّة إشارة إلى تلك « المطالب » . ولسنا ندري لماذا ألزم المحقق نفسه ما لم يلتزمه المصنِّف ، ممّا أدّى إلى تفاوت كبير بين الفقرات فاختلف حجمها من 16 صفحة (31) إلى حوالي نصف الصفحة (32) ، وكان المحقّق بذلك « أمينا » لرؤية خير الدين ، غير أنّه لم ييسّر للمنتفعين بطبعته استعمال النصّ وتبيّن مفاصله بوضوح ، خلافا للمنصف الشنوفي الذي قسّم نصّ المقدمة إلى 75 فقرة مرقّمة وُفّق في اختيار عناوينها إلى ما يشير إلى محور كلّ فقرة فيساعد القارىء دونما إساءة إلى الأثر ، كما أنّه أثبت في الطرّة أرقام الصفحات المقابلة لصفحات طبعته من الطبعة الأصلية لأقوم المسالك ، وهي قاعدة من أبسط قواعد التحقيق العلمي التي لا يوليها معن زيادة أي احترام كما تؤكّد الهوامش التي وضعها للنصّ المحقّق وأراد منها أن « تلقي المزيد من الضوء على فكر خير الدين » (ص 7) .

---

(30) انظر طبعة الشنوفي ص ص 325 — 330 .

(31) انظر : [مطلب ذكر من اشتهر من الاوروباويين بالمعارف والاختراعات] ص ص 171 — 187 من الكتاب موضوع التقديم .

(32) انظر : [مطلب لزوم الاتحاد بين رجال السياسة والعلماء في جلب مصالح الأمة ودرء مفاسدها] ص 160 من الكتاب موضوع التقديم .

فقد بلغ عدد هذه الهوامش 323 ، أي بمعدل يتجاوز تعليقين اثنين في كل صفحة ، وهو عمل كان من شأنه أن ينير فعلا سبيل القارىء في معاناته هذا النص ، لولا أنّ معن زيادة لم يلتزم مقتضيات التحقيق التزاما كاملا ، فنتج عن ذلك في جملة ما نتج :

– عدم تخريج الآيات والأحاديث النبوية أو بعض الأبيات الشعرية مع ذكر بحرها .

– التعريف ببعض الأعلام واهمال غيرهم .

– عدم توخّي الدقّة في ضبط التواريخ بحيث ترد أحيانا هجرية أو ميلاديّة في أحيان أخرى ، وقد تبقى معلقة بدون تحديد .

– شرح ما يبدو بديهيّـا من الألفاظ واهمال ما يتطلب التوضيح .

– قد يشير المحقق إلى ما ورد مغايراً للنصّ العربـي في الترجمة الفرنسية أو محذوفا منها كلّيا ، وهو عمل جليل لكن المحقق لم يلتزمه في كل المواضع أو على الأقل في المواضع التي يمكن أن تنير فيها الترجمةُ النصَّ العربـي (33) .

ومردّ ذلك في رأينا قلّة الأناة وفرط التسرّع في اخراج الكتاب ، وهو ما يفسّر أيضا خلوّ هذا التحقيق من أي فهرس او ثبت (34) إلاّ قائمة « مراجع مختارة » (ص ص 229 – 230) تضمّنت 11 عنوانا بين عربـي وفرنسـي وانقليزي وبين مصادر ومراجع لم تُذكر فيها طبعة الشنوفي ولا واحدة من دراسـات التونسييـن أو فصولهم التي تصـدّوا فيها لفكـر خير الديـن وعمله

(33) في اعتقادنا أن المقارنة بين النص العربـي وترجمته الفرنسية يمكن أن تكون مادة بحث مستقل على غاية من الأهمية ، يتوصل به إلى معرفة ما حذفه خير الدين أو غيره في النص الفرنسي وإلى تبين أسباب ذلك . كما أنه يمكن النظر في كيفية ترجمة خير الدين للمصطلحات السياسية ودراستها ، وهو عمل ينتظر همم الطلبة والباحثين .

(34) انظر الفهارس في طبعة الشنوفي ص ص 213 – 230 وقارن .

السياسي (35) ، فهل يعود ذلك إلى جهل المحقق لهذه البحوث وعدم اطلاعه علـيها أم أنّ « الاختيار » في هذه القائمة يعبّـر عن موقفه منها ؟ !

وكم كان الأمر يهون رغم ذلك ونكتفي من هذا الكتاب على الأقل بتوفّـره في المكتبات التجاريّة في وقت تُـعدّ فيه طبعة أقوم المسالك الأولى من التحف النادرة ، وطال فيه انتظار القرّاء والدارسين لطبعة جديدة لمقدمة هذا الكتاب بعد أن نفذت طبعة الشنوفي ، لولا أنّ نصّ المقدمة في هذه الطبعة التي بين أيدينا قد تسرّبت له مجموعة من الأخطاء يصل خطرها إلى حدّ افساد المعنى وتعطيل الفهم أحيانا .

ونحن إذ نستعرض من هذه الأخطاء ما عثرنا عليه أثناء قراءتنا للكتب لايسعنا إلاّ أن نشير على المحقّق بالاّ يفرط مستقبلا في الإطمئنان إلى خدمات « شقيقه خالد » (؟) أو أن يقتصد على الأقل في الثناء عليه و« التنويه بالجهود التي بذلهـا في نسـخ مقدمـة الكتـاب وجمع المـادّة اللاّزمة لاصدار هذه الطبعة .

— ص 106 س 10 : « مـا حـدث في هذه الأزمات (كذا) » | — والصواب : الأزمان

— ص 113 س 15 : « مانع لاستغلالها (كذا) » | — والصواب : استقلالها

— ص 114 س 15 : «مدفع الشخشخان (كذا)» | — والصواب : الششخـان

---

(35) لا تسمح لنا حدود هذا التقديم بسرد بعض هذه العناوين أو بالاشارة إلى بعض القوائم البيبليوغرافية ، لكننا نكتفي بالتأكيد على أن الدراسات الخاصة بخير الدين أو التي ذكرته بمناسبة طرق بعض قضايا النهضة والحركات الإصلاحية ، قد بلغت من الكثرة والتنوع بحيث تستوجب بحثا ببليوغرافيا تقييميا مستقلا .

– ص 120 س 6 : « فوجب أن يرجع (... ؟) إلى أحكامها كما كان ذلك للفرس وغيرهم من الامم » .	– سقط جزء من الجملة الأصلية ففسد المعنى ، والصواب : « فوجب أن يرجع في ذلك إلى قوانين سياسية مفروضة يسلّمها الكافة وينقادون إلى أحكامها كما كان ذلك للفرس وغيرهم من الأمم » (36) .
– ص 122 س 6 : «لأن تقويم (كذا) الوزير» .	– الصواب : تقديم .
– ص 146 س 20 : « مقتضيات الأصول (كذا) »	– الصواب : مقتضيات الأحوال .
– ص 149 السطر الأخير : « هذا الخبر (كذا) »	– الصواب : الحَبْر .
– ص 152 س 9 : « الذي رفع من اعلام (؟) ما انتكس »	– الصواب : من أعلام العدل ما انتكس .
– ص 193 س 9 : « الة النسج التي تنسج بدون واسطة (؟) »	– الصواب : بدون واسطة اليد .
– ص 209 س 4 : « ولم (كذا) ان يتكلّم »	– الصواب : وله ان يتكلم .
– ص 210 س 17 : « العدوان على الاموال بقطع (كذا) الآمال »	– الصواب : يقطع امالآل .

(36) انظر النص الأصلي ص 12 طبعة 1867 .
والملاحظ أن هذه الجملة وردت مشوهة منقوصة في طبعة الشنوفي أيضا ، انظر ص 102 : « فوجب أن يرجع إلى احكامها كما كان سياسية (كذا) مفروضة يسلمها الكافة وينقادون إلى أحكامها . كما كان ذلك للفرس وغيرهم من الأمم » .

ـ ص 211 س 5 : « وتتداول على المال الأبـدي (كذا) »	ـ الصواب : الأيـدي .
ـ ص 216 س 7 : « فمـن ذلك أنّ يتخوت (كذا) الممالك »	ـ الصواب : بتخوت الممالك (جمع تخت بمعنى عاصمة) .

وخلاصة القول أنّ المقبل على العمل الذي قام به الدكتور معن زيادة يخرج من مطالعته بيقين واحد هو الحاجة الماسّة إلى نشر تحقيق المنصف الشنوفي لمقدمة أقوم المسالك في طبعة ثانية ، أفلا تنشط الهمم لذلك ؟

دراســات في الادوات النحويــة

تأليف : الدكتور مصطفــى النحــاس
الطبعــة الاولى 1399 هـ ـ
1979 م ـ شركة الربيعــان
للنشــر والتوزيــع ـ 176
صفحة .

تقديم : المنصف عاشــور

تتمثّل طرافة هذه الدراسة النحوية في وحدة موضوعها وتنظيم مـادة الأدوات مع تشتّتها في المصنّفات النحوية القديمة كما تبرز قيمة الكتاب فيما بذله المؤلف من جهد في السعي إلى التأليف والإسهام في بيان ما تقوم به الأدوات من وظائف في نطاق السياق التركيبـي وذلك اعتمادا على مجموعة من النصوص النحوية للقدامى والمحدثين .

وينقسم هذا البحث إلى ثلاثة أقسام بين العرض النظري (في القسمين الأولين) والعمل التطبيقي (القسم الثالث) وهذه الأقسام هي كالتّالي :

1) المبحث الأول : في تأصيل الأداة من حيث معناها وخصائصهـا وأنواعها (من ص 11 إلى ص 34) ،

2) المبحث الثاني : في علاقة الأدوات بالزّمن النحوي (من ص 37 إلى ص 65) ،

3) المبحث الثالث : في تعدّد المعنى الوظيفي لبعض الأدوات وهي لا وما وإن (من ص 67 إلى ص 172) .

أمّا في القسم الأول فقد عالج المؤلّف أقسام الكلام كما حلّلها النحاة العرب كسيبويه وابن يعيش وابن هشام والاسترابادي والزّجاجي وراجعها بعض المحدثين مثل تمام حسّان ثمّ اقترح تقسيما شخصيا لا يحيد عن التقسيم الثلاثي في الكلام وهو (1) :

القسم الأول : الأسماء أو الاسميات (Nominals)

القسم الثاني : الأفعال أو الفعليات (Verbals)

القسم الثالث : الأدوات (Particules)

ولكنّ المؤلف سرعان ما يعود إلى المفاهيم النحوية القديمة فيما يتعلّق بالأدوات فيتوخّى تعريف ابن هشام في كتاب « المغني » حيث يقول : « وأعني بالمفردات الحروف وما تضمّن معناها من الأسماء والظروف ... » (الجزء — 1 — ص 5 — سعيد الأفغاني) ، ويناقش بعد ذلك أقسام الكلام في العصر الحديث مركّزا عمله على الأداة فينتهي إلى تحديد خاص للأدوات ، فهي عنده : « روابط تربط أجزاء الجملة بعضها ببعض وتدلّ على مختلف العلاقات الداخلية بينها » (2) ، ويتجلّى اعتماد صاحب « الدراسات » لجملة آراء تمام حسّان في مسألة الأدوات الواردة في كتاب : « اللغة العربية معناها ومبناها » ، فكانت الأداة من المباني التقسيمية « لا ترجع إلى أصول اشتقاقية أو إلى صيغ تصريفية » (3) وهي تشمل الأدوات الأصلية (حروف المعاني مثل الجرّ والعطف والنسخ ...) والأدوات المنقولة من الاسمية أو الفعلية أو الظرفية أو الضميرية (4) ، وعلى

(1) انظر — دراسات في الأدوات النحوية — ص 16 .
(2) نفس المرجع — ص 24 .
(3) نفس المرجع — ص 28 .
(4) نفس المرجع — ص 31 .

هذا الأساس تعتبر الأداة أشهر أنواع التعليق في اللغة العربية الفصحى إذ هي تجمع سلسلة من المعاني والأساليب في الجملة وتربط بين وحدات التركيب السياقي .

وأمّا في القسم الثاني من « الدراسات » فينظر المؤلف في قضيّة هامة تتمثّل في فرز العلاقة بين الأدوات والزّمن النحوي مستعرضا مفهوم الزمنية في اللغات الساميّة ونظرة القدامى من النحاة العرب في الزمن التركيبي ، وأكّد المؤلف على معنى الجهة البارزة في أبنية الأفعال عند توخّي الأدوات فاهتدى إلى بيان ثلاثة تعبيرات عن الجهة (Aspect) وهي « الجهة في معنى القلب » (5) ، ويقصد من ذلك قلب المضارع إلى المضي مع الأدوات التالية :

(لم – يفعل)
و(لمّا – يفعل)
و(لو – ما كان سيقع لوقوع غيره)

ويتعرّض فيما بعد إلى موضوع تقريب الزمن الماضي إلى الحال في استعمالات الأدوات التالية : (لا) النافية المعطوفة على (ما) ، و(إنْ) النافية بعد القسم و(ما) النافية ، ويخصّ القسم الثاني « الجهة في معنى التخصيص » (6) في تركيب صيغة المضارع بالأدوات التالية : (ليس ، ما ، إنْ لا ، لن) ودلالاتها على نفي الحال والمستقبل في مستوى درجات زمنية عادية وتجدّدية أو استمرارية (7) ؛ ويطّرد في التحليل حرص المؤلف على مفهومي الجهة والزمن أثناء استعمال الأدوات في التركيب وقد أورد شواهد متنوّعة من النص القرآني ، ويدرس المؤلف في القسم الأخير خصائص الجهة في الفعل المضارع فيورد

(5) نفس المرجع – ص 46 .
(6) نفس المرجع – ص 57 .
(7) نفس المرجع – ص 59 .

معانيه المختلفة عند توخّي : (كاد) و(كان) و(لا) النافية ويرتّب ذلك دلاليا (8) :

- /كاد لايفعل/دلالة نفي الماضي المقارب
- /لا يكاد يفعل/دلالة نفي الماضي المقارب
- /كان لا يفعل/دلالة نفي الماضي المتجدّد
- /لا يفعل/دلالة نفي المستقبل البسيط

فالاستنتاج بيّن في أنّ (لا) النافية قد تدخل على المضارع فتفيد جهات زمنية مختلفة وهو ما يجعل المؤلّف يحقّق القول بأنّ الزّمن إنّما هو وظيفة منبعها السّياق التعليقي وبذلك يستقلّ الزمن النحوي بنفسه ويتميّز عن بقية الأزمنة الذهنية والمنطقية والدلالية .

وأمّا في القسم الثالث من « الدراسات » فيقدّم المؤلّف عددا من التطبيقات لبيان أنواع المعاني في ثلاث أدوات هي (لا) و(ما) و(إن) ، وتغلب على هذا القسم الأخير من الكتاب الوجهة التحليلية الوصفية للوظيفة النحوية انطلاقا من مجموعة من التراكيب المأخوذة من القرآن ، فقد كثرت الأمثلة المستعملة التي رتّبها المؤلف حسب الجهة والزمن مع استعراض آراء النحاة في مسألة القرائن السياقية فكان إرجاع تعدّد المعاني التركيبية إلى تعدّد الوظائف النحوية في نطاق الجملة ، ولعلّ ذلك القسم التطبيقي هو أهمّ الأبواب إذ منه يمكن أن نفيد في مناقشة أقسام الكلام في النحو العربي وخاصة فيما يتعلّق بقسم الأداة وهي تؤلف بابا طريفا في الدلالة على الوظيفة النحوية .

فهذه « الدراسات » متميّزة بتركيزها على قضية مكتفية بذاتها داخلة فيما يسمّى « بالدليل الوظيفي » ، وهي تبعث على المجادلة والنظر في مقاييس تقسيم الكلام العربي رغم وقوف المؤلف عند قليل من الأدوات لا يشمل مختلف القضايا النحوية التي قد تؤدّي إليها دراسة الأدوات في التّراث النحوي العربي ومقابلة ذلك بمكتسبات علم التركيب الحديث .

(8) نفس المرجع – ص 64 .

قراءة ألسنية للتراث اللغوي العربي الاسلامي (*)
نحوي عربي من القرن الثامن الميلادي
مساهمـة في تاريـخ اللسانيـات (*)

بقلم : ميخائيل ج. كارتـر
Michael G. Carter
جامعة سيدنـاي (أستراليـا)

تعريب : محمد رشاد الحمزاوي

إن أول عمل متكامل في النحو العربي ، وهو كتاب سيبويه (توفي في آخر القرن الثامن الميلادي) قد اختص بنوع من التحليل الهيكلي لم يعرفه الغرب حتى القرن العشرين الميلادي . لقد اعتمد سيبويه ، عند معالجته اللغة باعتبارها

(*) صدر المقال المترجم بمجلة الجمعية الاستشراقية الامريكية (Journal of the American Oriental Society) عدد 2 . 93 (1973) ص 146 — 157. ولقد رأينا من المفيد نقله إلى العربية باعتبار مقاربته الطريفة ومساهمة منا في وضع مسألة صلة التراث العربي الاسلامي بالحداثة وعلومها لا سيما علم اللسانيات الذي أعتبره معظمهم من عرب وأجانب ، لا يمت بسبب إلى علوم اللغة العربية القديمة . ولقد ظهرت محاولات جديدة عربية وغيرها ساعية إلى استكشاف ما هو طريف في هذا الشأن ربطا للتواصل الثقافي والفكري . ولقد حاولنا في مؤلفنا « الفصاحة فصاحات » ان نتطرق إلى هذا الموضوع راجين أن يحظى بعناية الدارسين تنزيلا لعلوم اللسان العربية منزلتها الحقيقية من التطور العلمي الحديث ، شاكرين المؤلف على جهده واجتهاده في المساهمة مساهمة عظيمة في هذا الميدان (المترجم) .

(*) هذا مقال مطول لورقة ملخصة عرضت على المؤتمر الثاني عشر لجمعية اللغة والآداب بالجامعات الاسترالية . برث ، 1969. أنظر أعمال المؤتمر المذكور ص 405 (نشر بسدناي سنة 1970).

سلوكا اجتماعيا ، مقاييس أخلاقية لتعيير الصحيح اللغوي في جميع مستويات التحليل : « فحسن » و« قبيح » متعلقان بالصحة في المستوى الهيكلي ، بينما مستقيم » و« مُحَال » متعلقان بنجاعة المتكلم في التبليغ ضمن قواعد جماعته اللغوية .

فالعبارات لم تحلل إلى ثمانية « أجزاء » بحسب الطريقة اليونانية بل إلى أكثر من سبعين صنفا وظيفيا . وتحقق بالطبع كل وظيفة كوحدة مزدوجة تشمل « عاملا » (Operator) إيجابيا (أي المتكلم ذاته أو عنصر من عناصر عبارته) ومكونا سلبيا يؤثر فيه (لا يقع عليه) عضوا لوحدة الايجابي . ولما كان كل جزء من العبارة محصورا في وحدات مزدوجة ، تشابه طريقة سيبويه بصفة ملحوظة طريقة تحليل المكونات الاولية (*) التي تشاركها نفس التقنيات ونفس الهنات ، كما سنرى ذلك فيما يلي :

1) إن هذه الدراسة ترمي إلى أن تقدم بكل ما يمكن من الإيجاز أهم عناصر النظرية النحوية التي ضُمنت في أول مصنف متكامل للنحو العربي ، وهو « كتاب » سيبويه (1) ، المؤلف في آخر القرن الثامن الميلادي . إن انعدام وضع عنوان رسمي « للكتاب » هو على قدر غموض أصل مؤلفه الكامل ، وتكوينه ، ونشاطه ، ووفاته (2). إلا أنه لما كان من أشهر المصادر في جميع المؤلفات الكثيرة المخصصة للنحو العربي ، يحسن بنا أن نيسر معرفة محتوياته للسانيين المحدثين الذين لهم معرفة سيئة محدودة (3) عن المصدر الأول للنظرية النحوية

(*) ويعني بها (Immediat constituent analysis)

(1) المراجع المتعمدة «للكتاب» هي أولا طبعة بولاق لسنة 1898 — 1899 (ب) ثم طبعة هـ. درنبورغ (H. Derenbousy) ، باريس 1881 — 1889 (د) . أرقام صفحات (د) موضوعة بحاشية الترجمة التي وضعها ج. جـان (G. Jahn) ، « كتاب سيبويه في النحو » (Sibawahyis Bitch über Grammatik) ، برلين 1895 — 1900 . إلا أنه لا يمكن الاعتماد على تلك الترجمة .

(2) كل ما نعرف عن سيبويه أنه من أصل فارسي ، وأنه طلب في الأول دراسة الفقه ، وأنه توفي ، وعمره يناهز الأربعين سنة بين 777 و809 ميلاديا .

(3) انظر ك.ا. هـ. سمان (K. J. Semaan) ، اللسانيات في القرون الوسطى ، ليدن 1968 (Linguistics in the Middle Ages) ص 3 — 5

العربية ، وكذلك لطلاب العربية الذين كثيرًا ما يعتبر اطلاعهم على التقنيات اللغوية دون ما هو مطلوب .

فاعتبارا لحجمه الذي يفوق تسعمائة صفحة من الطبعتين ولسعته ، يمكن أن نقر أن « الكتاب » قد وضع خصيصا ليكون تحليلا شاملا « لكل تلك العبارات التي يمكن أن تحدث » (4) . ولما كانت تقريبا أغلب المواد التي اعتمدها سيبويه مأخوذة سواء من القرآن أو من الشعر الجاهلي ، فإن ذلك لا يفيد أنه أراد منها الجمع ، كما اقترح ذلك بعضهم (5) ، بل تشير عكس ذلك إلى المحيط الثقافي الذي وضع فيه الكتاب ، لأنه ألف في عهد قد أدْرِكت فيه جميع المقاييس القانونية ، والأخلاقية ، والجمالية كذلك اللغوية . وذلك في الفترات الأولى للتاريخ العربي . ولقد سعى سيبويه ضمن هذه الحدود الثقافية المضبوطة، إلى وصف اللغة العربية الكلاسيكية وصفا كاملا. إلاّ أن خلفه قد بلّغوا مع الأسف تراثه ضمن مؤلفات نحوية معيارية ومقعدة تعتبر الآن المثال المحتذى في هذا العلم كله (6) .

فبقدر ما يوهم كل النحويين العرب ، حسب احتمالات متناقصة ، بأن اللغة العربية الكلاسيكية لغة الكلام [التخاطب] (7)، لا يمكن أن نشعر إلاّ في « كتاب » سيبويه بأن هذه الفرضية أمر مبرر فنيّا : فهو يعالج اللغة المكتوبة

(4) ر . س. والز (R.S. Wells) : « المكونات الأولية » – (Language) 23 (1947) ص 81 عدد 3 .

(5) أ. ج. ل. بلومفيلد (E.G.L. Bloomfield) اللغة (Language) 1935 وطبع ثانية بلندن سنة 1957 ص 10 .

(6) « الكتاب » هو في حد ذاته على قدر من الوصفية مما لا يجعله صالحا بأن يكون كتاب نحو مقعد . فمن الخطأ العظيم أن يقارب هذا العمل مرورا بمؤلفات النحو المتأخرة مثلما فعل يان (Jahn) وغيره .

(7) من المحتمل أن ذلك لم يحصل بتاتا . انظر ش. رابين (Ch. Rabin) العربية الغربية القديمة (Ancient West Arabian) لندن 1951 ، الباب 3 – فباستثناء استشهادات من القرآن باعتباره « كتاب الله » ومن « كتابه » ، فإن سيبويه لا يعتمد إلا مرة واحدة الكلام المكتوب ، واضعا صيغة مدخلا لحرف من الحروف – انظر (ب) 1 ج ، 470 (د) ج 1 ، 814 .

كأنها رسم صوتي للغة الكلام ، ويقيم تحليله الكامل على الاصطلاح الذي يـرى أن الكـلام نشـاط اجتماعـي يحـدث في مقـام أدنى بين « المتكلم » و« المخاطب » (8) . وهذا رأي مهم لسببين : أولهما يفيد بأن الكلام يمكن أن يعتبر شكلا من أشكال السلوك (9) ، واصطلاحا اجتماعيا . أما ثانيهما فيفيد ، نتيجة لذلك ، بأنه يمكن أن نعتبر بأن المخاطب يلعب دوره الذاتي في تحديد الشكل اللغوي الذي يستعمله المتكلم .

فبالرغـم من انعـدام مصطلح مجـرد للدلالة على مفهـوم « النحو » في « الكتاب » ، توجد قائمة من المصطلحات التي تدل على « الطريقة » التي يتكلم بها الناس ، والتي تؤكد على أن سيبويه قد اعتبر الكلام ، شكلا من أشكال السلوك . والغريب أن كل تلك المصطلحات مأخوذة من مفهوم أصلي واحد يفيد التحرك على خط ، وهو استعارة مألوفة لدى الدارسين للاسلام . وبالتالي نعثر في « الكتاب » على المصطلحات الآتية الدالة على « طرق » الكلام . وهي مستعملة أيضا في المعجم الاسلامي للتعبير عن « طرق » خاصة متعلقة بالسلوك : من ذلك « الطريقة » وهي تفيد أيضا « الطريقة الصوفية » ، و« السنة » ، وهي مصطلح فني للتعبير عن السنة الاسلامية ، والاصطلاح العربـي التقليدي للدلالة على السلوك ، و« المذهب » ، وهو « طريقة » التفكير ، وبالتالي « المدرسة » أو « المذهب الدينـي » ، و« الشـرع » وله صلة لغويـة بالشريعـة ، أي الفقه الاسلامي ، و« الوجه » أي الطريقة الخاصة ، وهو مصطلح متشرك في جميع السياقات وله مشتقات عديدة و« المجرى » الذي له مشتقات عديدة كذلك . إلا أن أكثر المصطلحات استعمالا في الكتاب للدلالة على « طريقة » الكلام ،

(8) بالطبع يعتبر المتكلم والمخاطب شيئا واحدا في حالة المناجاة – انظر (ب) ج ، 136 ، (د) ج ، 114 .

(9) من المحتمل أن يوافق سيبويه تعريف بلومفيلد الأول وهو : « فعل الكلام يبدأ بعبارة » (مجموعة من الاقتراحات لوضع علم اللغة – اللغة 1926/2 ص 153
(A set of postulates for the science of language)
وإن كان سيبويه يفضل قلب هذا الرأي .

فهو مصطلح « النحو » الذي يفيد لغويا « الطريق ، والوجهة والطريقة » . فهو مستعمل مرة على الأقل في كل صفحة (10) من « الكتاب » — ولما كان مصطلح « النحو » لم يفد بتاتا مفهوم « النحو » الاصطلاحي الذي أفاده فيما بعد ، فعلينا أن نفترض أن هذا المفهـوم الأخيـر هو مشتـق من كلمـة « النحويين » التي يستعملها سيبويه للإشارة إلى « الذين يشغلون أنفسهم بالطريقة التي يتكلم بها الناس » (*) .

فباعتبار الكلام سلوكا ، فإنه يحكم عليه أحسن حكم باعتماد مقاييس سلوكيـة . ولتلك الغايـة حول سيبويـه بإجمـال المصطلحـات السلوكيـة إلى النحو (11) . وعلى هذا الأساس اعتمد القياس ليستخلص استخلاصات مركزة على مفهومي « المنزلة » ، و « الموضع » (Statuts and furrection) وسعيا وراء وضع مقاييس الصحة ، أعاد تعريف المصطلحات الأخلاقية وطبقهـا مستعملا « حسن » و« قبيح » (12) ، و« مستقيم » و« محال » . فالمصطلحان الأولان اللذان يشيران بوضوح إلى السلوك الانساني (أي « جميل » أو « بشع) قد طبقهما سيبويه كذلك على الشكل اللغوي ويمكن أن يترجما بـ« صحيح/ خاطىء شكلا » مع الإشارة إشارة خفية إلى مصطلح « مستقيم الشكل » الرائج كثيرا في الدوائر اللغوية (اليوم) . أما المصطلحان الأخيران ، فإنهما مرتبطان، حسبما استعملهما سيبويه ارتباطا وثيقا بمفهوم إدراك المخاطب . فمن الممكن

---

(10) لقد اقحم مثالا غريبا وهو : « قال الغراب هذا النحو » انظر (ب) ج2 ، 53 ، (د) ج2 ، 49 .

(*) ترجمنا هذه الجملة المنسوبة إلى سيبويه من الانكليزية لأن صاحب المقال لم يذكـر مرجعها « بالكتاب » (المترجم) .

(11) الاخلاق والقانون متداخلان في الاسلام ، ولابد أن نتذكر أن سيبويه قد ابتدأ مهنته طالبا في الفقه . ولقد نزلت اللغة ، عند تحويل المصطلحات ، منزلة العاقل ، فالصلات بين الكلمات يعبر عنها أحيانا بكلمات مثل « الامهات » و« الأخوات » وبكلمات مثل « معتل » و« صحيح » و« حي » و« ميت » و« عاطل » و« مشغول » .

(12) هذا أيضا هو المصطلح المستعمل في القرآن في الجملة المعهودة « السراط المستقيم (سراط : من اللاتينية (Strata) .

أن يفهم « مستقيم » بأنه يفيد « الصحيح » بمعنى « صالح ، قويم اجتماعيا » بقدر ما يعبر عن واجب المتكلم في تبليغ مراده . أما « مُحَال » كذلك فمن الممكن أن يفهم بأنه يفيد « خاطىء » بقدر ما يشير إلى العبارات التي يستحيل بها التواصل . وإليك الآن الفصل الكامل الذي يعرف فيه سيبويه مقاييسه » (13) .

« — (هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة) — : فمنه مستقيم حسن ، ومحال ومستقيم كذب ، ومستقيم قبيح ، وما هو محال كذب . فأما المستقيم الحسن فقولك : أتيتك أمس . وسآتيك غدا . وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول : أتيتك غدا وسآتيك أمس . وأما المستقيم الكذب فقولك : حملت الجبل ، وشربت ماء البحر ونحوه . وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك : قد زيدا رأيت ، وكي زيد يأتيك وأشباه هذا . وأما المحال الكذب فأن تقول : سوف أشرب ماء البحر أمس » . يفيدنا هذا الفصل بوضوح بأن الصدق والكذب ، لا يلعبان دورا في إقرار إن كانت العبارة « مستقيمة » أو «محالا» (أي مفهومة أو لا معنى لها) (14) وبأن العبارة يمكن أن تكون « مستقيمة » من دون أن تكون « حسنة » ، أي أن تكون صحيحة هيكلا (15) . ونحن مدعوون أيضا إلى أن نستخلص من أن الصحة الهيكلية متعلقة بوضع العناصر ضمن العبارة أي بحسب وظائفها الصحيحة . فإن كل الاستنتاجات الأخرى (ولقد كانت عديدة) (16) المركزة

(13) الفصل 6 ، (ب) ج 1، 8 ، (د) ج 1، 7، فالأمثلة الدالة على الكلام الخاطىء قد ترجمت إلى ما يقابلها من الخاطىء في الانكليزية .

(14) وبعبارة أخرى ، لا يمكن أن تعالج العبارات باعتبارها قضايا منطقية ، وذلك خطأ سرعان ما تسرب إلى النظرية النحوية العربية .

(15) إن سيبويه لم يكن يصبو طبعا إلى الاهتمام بالعبارات الخاطئة من هذا النوع ، وإن كان يقر إمكانية حدوثها في الشعر ، (ب) ج 1 12 ، (د) ج 1 9 .

(16) ج. هرتمان (E.G. Hartmann) في « كتاب سيبويه » (Zum K. Sibawayh) ، 11 (1896 ص 75 والأخفش في يان (Jahn) حاشية 2 ، الفصل 6 . أنظر أيضا ج. يان ( ) (G. Jahn) (Zum verstandnis des S. (في سبيل فهم سيبويه) برلين ، 1894 ص 8 .

على الفرضيـة الخاطئـة المفيـدة بأن سيبويه قد أهمـل كل التركيبـات الممكنة لمصطلحاته لا تبرر بتاتـا .

إن تلك المقاييس توافـق تمامـــا ــ حسبما هي مستعملة بـ« الكتاب » ــ التعريفات التي عرفت بها . فكل المظاهر الهيكلية العربية ، ابتداء من مستوى الصوتـم إلى مستـوى الجملـة ، قد عيـرت باعتبارهـا سـواء « حسنـة » أو « قبيحة » (17) كما يشهد بذلك الأمثلة النموذجية التالية :

« وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الادغام ، وما يجوز وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه » (18)

« فكما قبح تحقير ليس قبح تحقير سوى » (19)

« فإن قلت لا تدنُ من الاسد يأكلْك ، فهو قبيح إن جزمت » (20)

« لأنه ليس موضعا يحسن فيه الصفة كما يحسن الاسم » (21) .

إن آخر الأمثلة يشهد بوضوح بالصلة بين المصطلحين الهيكليين «حسن» و« قبيح » ومفهوم الوظيفة . فإن اعتمدنا تعريف بلومفيلد دليلا لنا وهو « المواقع التي يمكن لشكـل أن يظهـر بها تفيـد بوظائفـه ، أو بوظيفتـه إن اعتبرت في مجموعها » (22) ، لا يبقى مجال للشك بأن سيبويه كان يعنى « بالموضع » ــ وهو لغويا « الموقع » ــ الوظيفة كما يظهر ذلك في المثال التالي :

---

(17) توجد مترادفات لهذه المصطلحات أيضا « بالكتاب » نعني بها « جيد » ، « جميل » « ضعيف » و« خبيث » و« رديء » .

(18) (ب) ج2 406 ، (د) ج2 ، 455 وتوجد أمثلة صوتية أخرى بـ(ب) ج2 404 (د) ج2 ، 452.

(19) (ب) ج2 ، 135 ، (د) ج2 ، 138 وتوجد أمثلة صرفية أخرى بـ(ب) ج2 ، 76 ، 354 . (د) ج2 ، 72 ، 390 .

(20) (ب) ج 1 ، 451 ، (5) ج 1، 400، اللغة الانكليزية تعكس جواب الشرط العربي الخاطى توجد أمثلة نحوية بـ(ب) ، 115 ، 228 ، (د) ج 1 ، 94 ، 195 .

(21) (ب) ج 1، 175 ، (بل (ب) ج 2، 175. ولقد اغفله المؤلف أو أسقطته المطبعة ــ المترجم)، (د) ج 1 ، 181 .

(22) بلومفيلد ، المذكور سابقا ص 185 .

« إعلم أنّ لـ« كم » موضعين فأحدهما الاستفهام (............) والموضع الآخر الخبر » (23)

« وليس كل موضع تدخل فيه الفاء يحسن فيه الجزاء » (24) .

لاسيما عندما ندرك أن « موضع » هي شكل موجز من « موضن في الكلام » أي :

« إنّ الواو لا يكون موضعها في الكلام موضع الفاء » (25) .

ولما كان لنا قليـل من الأمثلـة التي لا تحصى من صنف المصطلحـات « موضع » « حسن » و« قبيح » ، المختارة لاختصاصها ، يحق لنا أن نستخلص من أن سيبويه كان ، في مستوى هذا الجزء من تحليله على الأقل ، يطبق عن وعي نوعا من الألسنية الهيكلية التي ظلت مجهولة بالغرب حتى القرن العشرين .

إن حجتنا الوحيدة على معنى « مستقيم » في التعريف المذكور سابقا ، هي أن ذلك لا يمت بصلة إلى الحقيقة أو الهيكل ، بل إن سيبويه كان ينتظر منا بوضوح أن نلاحظ أن العبارات المستقيمة عادية ومحسوسة نوعا ما مقارنة بالعبارات « المحالة » . وذلك ما ندركه بالفعل عندما نتتبع استعمال المصطلح بـ« الكتاب » كله — فليس من « المستقيم » مثلا أن نبدأ الجملة المتعادلة » (26) بفاعل غير معرف ، أو بشيء لا يعلم عنه المخاطب ولا المتكلم شيئا . وذلك هو المفتاح الذي يعتمده سيبويه لإدراك مفهوم العبارة « المستقيمة » . فالمخاطب هو الذي يقـر الاستقامـة : فكثير مما نعرف مربوط ، كما يشيـر إلى ذلك

---

(23) (ب) ج 1 ، 291 ، (د) ج 1 ، 251 .

(24) (ب) ج 1، 451، (د) ج 1، 400. توجد أمثلة أخرى بـ(ب) ج 1 ، 54 ، 21 ، (د) ج 1 ، 44 ، 17 .

(25) (ب) ج 1، 425 ،(د) ج 1، 379، لاحظ ان « موضع » تحدث مع أسماء تفيد الوظائف انظر (ب) ج 1 ، 87 ، ج 2 ، 307 ، (د) ج 1 ، 73 ، ج 2 ، 334 وما بعدها .

(26) (ب) ج 1 ، 22 ، (د) ، 7 ، ان تلك العبارات تستحيل أيضا إلى عبارات قبيحة هيكليا : انظر (ب) ج 1 ، 26 ، (د) ج1 ، 20 .

سيبويـه ، بمـا ينتظـره حسب اعتقادنـا المخاطب الـذي نتوقـع باستمـرار تساؤلاته (27) . وبالتالي فالعبارات « المستقيمة » هي التي ترضي المخاطب ، سواء بتبليغه معلومات لم يكن على علم بها (وهنا « لو أشرت له إلى شخصه فقلت : هذا أنت . لم يستقم » (28) . أو بتبليغه المعلومات المعنية لا غير . وسعيا وراء التدليل على النقطة الأخيرة يبين سيبويه أن تحويل الجملة « زيدٌ أخو عبد الله مجنونٌ به » إلى « زيدٌ مجنون به أخو عبد الله » ليس « مستقيما » لأن ذلك يعني عندئذ « مجنونٌ بزيد أخو عبد الله (أي زيد نفسه) » ، وذلك ما لم يعنـه المتكلم (29) . فمن هذه الأمثلـة ومـا يشابههـا يبرز أن « المستقيم » من العبارات هي العبارات التي يعتمدها المتكلم لأداء واجبه الاجتماعي في التواصل . ويمكن أن نضيف إلى هنا أنه إن كان من الممكن أن نوفق في تبليغ المعلومات ضمن شكل « قبيح » هيكليا ، فإنه من الواضح في نية سيبويه أن المقياسيـن يستوجبـان أن نربط بينهما ، فتكـون العبـارات « المستقيمـة » غالبا « حسنة » كذلك ، والعكس بالعكس ، « لو قلت : هذا رجل خير ، وهذا رجل أفضل ، وهذا رجل أبٌ ، لم يستقم ولم يكن حسنا » (30) .

أما فيما يتعلق بالمقياس الآخر ، « محال » فيكفي أن نقول إنه يطبق على العبارات التي يمكن أن لا تفيد شيئا بتاتا بالنسبة للمخاطب . فمن ذلك « فإن قلت : مررت برجل صالح ولكن طالح فهو « محال » لأن لكن لا يتدارك بها بعد إيجاب ولكنها يثبت بها بعد النفي » (31) .

---

(27) (ب) ج 1، 214 ، (د) ج 1، 172 ، من المحتمل أنها أخذت عن فكرة الخليل التي تفيد بأن المتكلمين ملزمون باعتبار ما ينتظره المخاطب لاستكمال الجملة المتعادلة (Equational sentence) عند الابتداء فيها. انظر (ب) ج 1، 394، (د) ج 1 ، 346. فالكتاب كثيرا ما يشير إلى « مقام الحال » باعتباره عنصراً يؤثر في الشكل النحوي انظر أيضا (ب) ج 1، 129 ف ، (د) ج 1 ، 109 ف .

(28) (ب) ج 1 ، 71 ، (د) ج 1 ، 59 .

(29) (ب) ج 1 ، 243 ، (د) ج 1 ، 207 ، مثال آخر في (ب) ج 1 ، 36 ، (د) ج 1 ، 27 .

(30) (ب) ج 1 ، 229 ، (د) ج 1 ، 196 . انظر أيضا الحاشية عدد 26 اعلاه .

(31) (ب) ج 1، 216، (د) ج 1، 184. فالعلة تفسر بمصطلحات هيكلية لا بمصطلحات دلالية .

فهنا يتعسف المتكلم في استعمال هياكل اللغة واصطلاحاتها ، لأنه يعزل نفسه عن مجموعته اللغوية . ومن الغريب أنه يمكن كذلك للمخاطب أن يفعل ما يلي :

« لوقلت : أزيدٌ عندك أم بشرٌ ، فقال المسؤول لا كان محالا » (32) .

لأن هذا النوع من السؤال الاستدراكي يثبت بأن واحدا من الاثنين صحيح . فنفي الاثنين يبطل التركيب كله وكذلك اصطلاحه الاجتماعي الذي يعتمد عليه (33) . وكذلك الشأن عندما نجعل الضمائر تشير إلى اولائك الذين لا تعبر عنهم اصطلاحا مثلما نجد في « عبد الله ، هوفيها » (34) (حيث « هو » لا تفيد عبد الله) . وذلك خطأ لأسباب جلية . وذلك شأن العبارة ، التي تبدو أقلّ جلاء : « هذه ناقة وفصيلها الراتعان » ، إذ يحتمل أنها تفيد : هذه ناقة وفصيلها يرتعان معا (35) إلا أن وصفها المعرف « الراتعان » لا يمكن أن توصف به « ناقة » غير المعرفة . وهذا ما يترك المخاطب يواجه جزءا من عبارة لا يمكن له ربطها ببدايتها ، باعتبار ما طرأ على الهيكل من تحوير . وذلك بالتدقيق ما عناه سيبويه من تعريف « محال » بأنه الشيء الذي « تخالف فيه النهاية البداية » وبالتالي فإن العبارات « المحالة » تختلف عن العبارات « غير المستقيمة » . فالاولى يمكن ألا تفيد شيئا بتاتا ، بينما يمكن للثانية أن تفيد شيئا ما ، حتى وإن كانت غامضة جدا أو مخالفة لما عناه المتكلم .

فالعبـارات الصحيحـة هيكليـا هي ما « يحسن السكـوت عليه » (36) والعبارات « المستقيمة » هي (دلاليا) « مستغنية » (37) عن غيرها قائمة بذاتها

(32) (ب) ج 1 ، 483 ، (د) ج 1 ، 432 .
(33) لقد كان كل معنى اصطلاحيا في نظر سيبويه . انظر (ب) ج 1 ، 27 (د) ج 1 ، 20 .
(34) (ب) ج 1 ، 300 ، (د) ج 1 ، 259 .
(35) (ب) ج 1 ، 247 ، (د) ج 1 ، 211 (وذالك خبر قد وفره الخليل) .
(36) انظر (ب) ج 1، 184، 261، 269، 283 ، 247 ، (د) ج 1 ، 145 ، 222 ، 230 ، 244 ، 303 .
(37) انظر (ب) ج 1، 202، 208، 347، 480 ، (د) ج 1 ، 171 ، 176 ، 303 ، 428 .

وبالتـالي فإن كل عبارة كاملة تنتهـي بالسكوت ، إلا أننا نضيف استقضاء للقضية بأن سيبويه يعترف بدون شك بأن السكوت يسبق كذلك كل عبارة . فلقد قال بأن الكلام كله يبتدىء بعنصر نداء صريح أو محذوف (38) يضبط مبدئيا عندئذ الحد الأول لكل عبارة . فإن العناصر الأخيرة من الجمل تضبط كذلك مبدئيا في العربية الكلاسيكية باختصار نهايتها العادية (المعروفة بالوقف لدى المستعربيـن الغربييـن والتي عولـج أمرها باسهـاب في الجـزء الثاني من « الكتاب») ولا يحـدث ذلك الإختصار إلاّ أمـام سكـوت أو بعد سكـوت ممكن . فالمظهران من السكون البدئي والنهائي يشابهان ، عندما يعتبران معا ، مشابهة ممتازة تعريف ز. س. هاريس (Z. S. Harris) للعبارة بأنها « كل امتداد من الكلام صادر عن شخص يسبقه أو يعقبه سكوت يتسبب فيه ذلك الشخص » (39) . ويمكن كذلك أن نقر بأن سيبويه قد استعمل أساسا نفس التقنية في التقطيع حسبما وضعت « بمناهج الألسنية الهيكلية لهاريس » : فإن كانت كل عبارة كاملة ، مهما كان طولها ، تتميز بالمظاهر الهيكلية والدلالية المذكورة أعلاه ، وإن كان الوقف يحدث في صرافم الصلة (40) (أي حروف الصلـة) نستخلص أن طريقـة سيبويـه يمكن لها (وتستطيع) أن تعـزل بنجاح الصرافم على الأقل في مستوى الكلمة . ويؤيد ذلك أمران: أولهما مظاهر الربط الواضحة في العربية التي تقوم مقامها أشكال الوقف عندما تذكر الكلمة منعزلة (طبعا إلا عندما يركز الانتباه على مظهر من مظاهر الكلمة الذي يمنع ذلك) . أما الأمر الثاني ، فهو مستمد من اصطلاح في « الكتاب » يفيد بأن الصرافم

(38) (ب) ج 1 ، 316 ، (د) ج 1 ، 274 .

(39) ز. س. هاريس – مناهج الألسنية الهيكلية (Methods in structural inguistics) شيكاغو ، 1951 ص 14 . وهذه طريقة أخرى للإفادة بأن كل العبارات تحدث عادة في سياق بين متكلم ومخاطب .

(40) نفس المرجع ص 174 .

المعزولة تذكر في شكل جمل متركبة من كلمة واحدة (41) أي باعتبارها هيكليا ودلاليا عبارات كاملة يحدث أن تكون متركبة من كلمة واحدة . وهنا يبدو أن سيبويه يبين لنا أنه قد وفّق إلى حل المشكل الذي يطرأ إثر تحليل المكونات الأولية الذي تنحصر طريقته في عزل الكلمات (الا إذا حدثت عرضا باعتبارها جملا مركبة من كلمة واحدة حسب معلوماته) في طرح السياق حتى تستبقى الكلمة المرغوب فيها . فالبقية التي أصبحت مربوطة بسكوت مصطنع ، تفيد بأنها « أدنى عبارة من الكلام » (42) . ومرة أخرى لا يسعنا إلاّ أن نقر التشابه المدهش بين أهداف سيبويه ومناهجه وأهداف الألسنيين في القرن العشرين ومناهجهم .

2 — لقد درسنا حسب المستطاع استعمال سيبويه لمقاييس مقتبسة من الأخلاق لتعبير الفعل الاجتماعي للكلام . بقي علينا أن نبين أنه ، عند تحليله الكلام ، قد قصر اللغة عن وعي وبانتظام على مجموعة من الوظائف مستعملا طريقة تشابه مشابهة جوهرية تحليل المكونات الأولية المعاصرة. فلقد وضع مبكرا ، باعتباره نحويا وظائفيا ، أقسام أشكال العربية في الفصل الأول من كتابه : فهي تنحصر في قسمين إثنين متميزين صرفيا ودلاليا ونعني بهما الأسماء والأفعال ؛ وبالتالي فهو يعرف الأشكال الباقية تعريفا سلبيا محضا باعتبارها ليست (صرفيا) أسماء ولا أفعال ، وليس لها (دلاليا) معنى خاص . فيسميها « الحروف » ولا يمكن بالتالي أن تعرف إلا بارتباطها بوظائف نحوية خاصة (43) .

---

(41) لا يوحد هنا مصطلح « بالكتاب » للتعبير عن الشكل الألسني المجرد ، إذ أن كل الاشكال مكونة من شواهد : فالصواتم مذكورة بحسب أسمائها ، لا بحسب أصواتها . انظر (ب) ج 2 ، 61 (د) ج 2، 56 . ولا يوجد من جهة أخرى مصطلح للدلالة على مفهوم « هيكل »، فهناك « مصطلح » بناء (« لغويا بناء ») الذي يستعمل للدلالة على الهياكل في جميع مستويات التحليل .

(42) هاريس المذكور اعلاه ص 332 .

(43) انظر أعلاه حاشية عدد 49 .

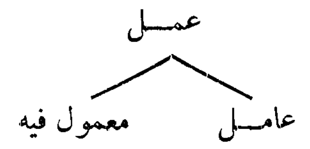
ومقابلة بهذه الأقسام الأشكال الثلاثة (Form-classes) ، استخرج سيبويه على الأقـل سبعين قسمـا وظائفيـا ، وإليك فيما يـلي قائمة كاملة فيها حسبما استطعت جمعه (44) : ابتداء ، إسناد ، بناء ، إضافـة ، وصف ، نعت ، نفي ، نداء ، ندبة ، قسم ، استغاثة ، استثناء ، عطف ، استفهام ، بدل ، إشارة ، إبهام ، تكرير ، غلط ، تأكيد ، حذف ، حكاية ، تحذير ، حشو ، تعميم ، تخصيص ، قصة ، كناية ، التباس ، مدح ، تعظيم ، شتم ، ترحم ، تحقير ، تصغير ، تعجب ، مبالغة ، إيجاب ، تثبيت ، إلغاء ، تنبيه ، أمر ، نهي ، مخاطبة ، إظهار ، إضمار ، جزاء ، تقديم ، تأخير ، فصل ، وصل ، قطع ، إعجام ، إعراب ، إدغام ، إمالة ، إشمام ، ترخيم ، تعويض ، إفراد ، تثنية ، جمع ، تبعيض ، تنكير ، تعريف ، تنوين ، رفع ، نصب ، جر ، جزم ، وقف .

فلا توجد مصطلحات أخرى سوى « طرق » الكلام المعبر عنها بمصطلح النحو ومرادفاته المذكورة أعلاه والتي اعتمدها سيبويه لوضع قائمة في جميع أفعال الكلام التي لها شكل لغوي موصوف (أي أنه عمل يهتم بتلك الأفعال غير المنطقية من أمثال الصراخ ، والكذب والمزح الخ) — ولقد وزعت على هذه الوظائف الكمية القليلة من أصناف الصواتم التي عولجت معالجة إجمالية في الفصل الأول من « الكتاب » ، مما يدل ان أوجب الأمر ذلك ، على أن سيبويه هو قبل كل شيء نحوي وظائفي ، إذ أنه لا يستطيع أن يميز بين تلك الأصناف المتشابهة مبدئيا من أمثال الأسماء والأوصاف والأفعال مثلا ، أو مثل تلك الهياكل المماثلة من أمثال الجملة الفعلية ، ومختلف مفاعيلها المتعلقة بها إلا بالاعتماد على أسس وظائفية .

ونتيجة لذلك يعبر عن جميع الوظائف بمصادر . وذلك على غايـة مـن الأهمية لإدراك نظرية سيبويه . إذ أن ما يقرب من نصف الوظائف تحقق

(44) لا ندعي الاستقصاء الكامل والترجمات موضوعة بحسب المقام .

وحدات ثنائية تحت عنوان اسم فاعل / أو اسم مفعول مشتق من اسم الوظيفة . ويمكن بالفعل أن نعبر عن المبدا العام لتحليل سيبويه النحوي بمثلثة تعتمد مصطلحاته الذاتية من ذلك :

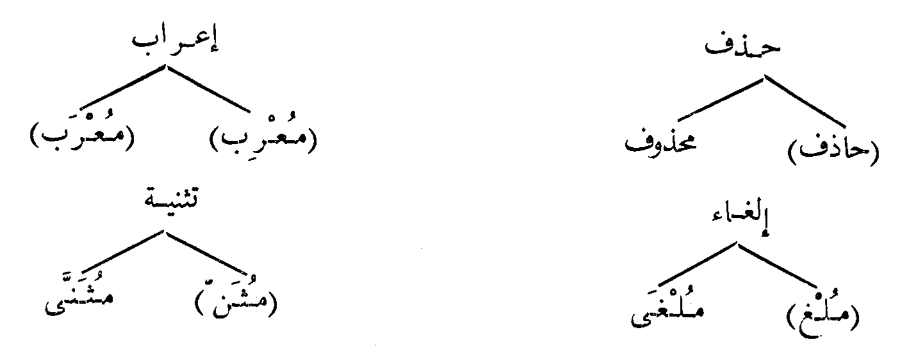


إن هذه المثلثة تبين أنه يعبر عن العامل في كل تركيب به عنصر له عمل في آخر ، باسم الفاعل المناسب (أي « عامل » الذي يمكر أن يؤدي مفهوم Operator الألسني) كما يعبر عن العنصر المعمول (45) فيه باسم المفعول المناسب (المعمول فيه المقابل لمفهوم (Operated on) .

فلو كانت مصطلحات « الكتاب » الجلية قد سمحت بالتمثيل لكل وظيفة في هيكل مثلثة ، لكانت مرضية . إلا أن ذلك غير ممكن . ويوجد على كل حال سبب مفيد لتبرير ذلك . فعندما نتمحص تلك القائمة من الوظائف يبدو أنه لا يوجد تمييز بين الوظائف التي يكون فيها المتكلم عاملا ، والوظائف التي يعمل فيها عنصرٌ من عناصر التركيب في عامل آخر . فيحتمل في نهاية الأمر أن المتكلم هو المحرك الأول لكل عملية نحوية . ولقد كان سيبويه على يقين من ذلك (46) . إلا أنه يمكن أن نعذر النحوي عندما يركز على سلوك العبارات عوضا عن سلوك المتكلمين . وبالتالي توجد بـ« الكتاب » مصطلحات ضافية تتعلق بعمليات العناصر في العبارات . إلا أنّه عندما يكون المتكلم هو العامل ، لا نجد إلا العنصر المبني للمجهول المعبر عنه بمصطلح خاص أي :

(45) في مقال يستحق أن يقرأه عدد كبير من القراء ، أقام ج . وايس (J. Weiss) الحجة على أن « العمل » لا يمت بصلة إلى مفهوم (Governance) اللاتينية : انظر « النحو العربـــي القومي واللاتينيون »
(National Grammatik und die Lateiner ZDMG 64 (1910)

(46) انظر الفصول 68 — 71 وبالخصوص (ب) ج 1 ، 166 ، 170 ، 171 ، (د) ج 1 ، 139 ، 142 ، 143 .



فمن اليسير أن نتكهن بما عسى أن تكون المصطلحات الدالة على المتكلم باعتباره العامل غير المسمى . وتلك التكهنات معلم عليها أعلاه بنجمة .

فيمكن لنا أن ندرج في تلك المقولة وظائف من أمثال : تقديم ، تأخير إفراد ، جمع ، تأكيد ، تكرير ، حكاية ، قصة ، كناية ، مدح ، شتم ، تعظيم ، تحقير ، تصغير ، إدغام ، تعجب ، تثبيت ، إيجاب ، ووظائف أخرى ممكنة (فلا نقترح هنا أية محاولة في سبيل تصنيف نهائي) . فمن الواضح أن سيبويه كان ينوي أن يؤخذ المتكلم بعين الاعتبار في هذه الوظائف : ومنها وظائف مثل تحقير ، وتصغير أو مدح ، شتم ، ترحم ، وتنظيم لا تختلف عن بعضها هيكليا ، إلا باعتبار أغراض المتكلم .

تمثل المثلثات التالية مرحلة انتقالية مهمة ، يعمل فيها المتكلم على جزئي التركيب الذي يتكون بالتالي من عنصرين يُعَبّر عنهما باسمي مفعولين .



(47) لابد أن نلاحظ أن هذا المصطلح لا يحدث إلا أربع مرات في « الكتاب » . إلا أنه يظهر في النهاية باعتباره المصطلح العادي للتعبير عن تركيب جملة الابتداء



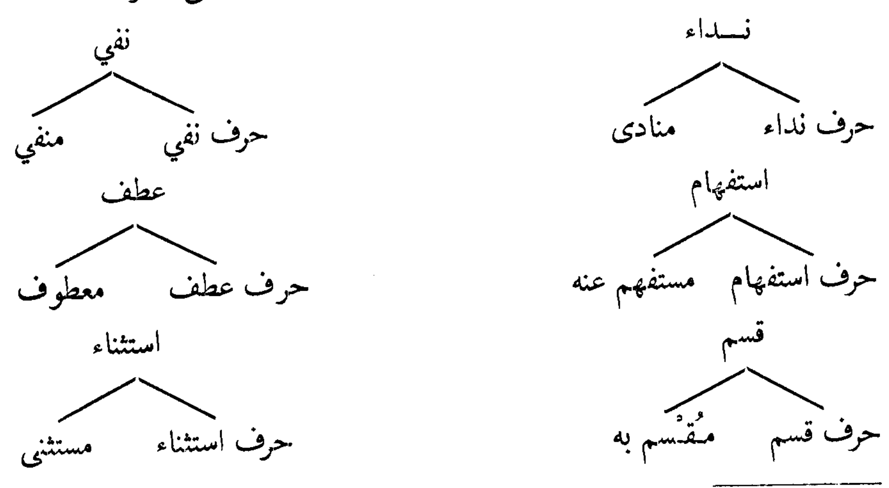
إن هذه المثلثات تشمل بصفة غريبة جدا أهم الهياكل النحوية في العربية ويبدو أنها تكون بالنسبة لسيبويه الحالات الحدود التي يستعد فيها المتكلم ، وإن كان دائما العامل الأساسي ليخضع للقواعد ذات الشكل النحوي التي لا يحددها هو ، بل يحددها عمل عنصر من عناصر كلامه في عنصر آخر .

إن تلك العملية على غاية من الوضوح في الوظائف الباقية (وهي بالتدقيق

جـر: جار مجرور — وصف: صفة موصوف — نصب: ناصب منصوب — اضمار: ضمير مضمر

ويمكن أن يضاف إليها « نعت » (وإن كان « نعت » غير مذكور « بالكتاب » ويمكن أن يعبر عن المتكلم بـ« ناعت » ؟) ورفع وجزم .

توجد مجموعة ثالثة من المثلثات المتميزة لأنها تعتمد على الحرف عاملا .



(48) ان سيبويه غير منطقي شيئا ما في وصف مصطلحات الجملة ؛ فهو يستعمل « ابتداء » و « مبتدأ به » أي الفاعل إلا أنه لم يضع مصطلحا مقابلا التعبير عن (Predicate) . فهو يستعمل إما « خبر » أو « مبني عليه » (أي الفاعل) . وهذا المصطلح الأخير ، الذي هو اسم مفعول، يلائم المثلثة المقترحة للتعبير عن الابتداء . ويبدو أن هذا الاضطراب يعود إلى تداخل نوعين من التحليل ، وهما التحليل الهيكلي والتحليل الدلالي الذين ورثهما سيبويه .

وتشمـل هذه المجموعـة كذلك « ندبـة » ، « استغاثة » ، « نهـي » ، « اشارة » « تنبيه » ، « جزاء » ، « تعريف » ، ومن الممكن كذلك « تنوين » ، إن أخذنا بعين الاعتبار « حرف تنوين » لا المتكلم ، عاملا . ويمكن أن نعتبر أن المثلثات التي يَقوم فيها الحرف مقام العامل (نظريا لا يمكن للحرف أن يحدث إلا في ذلك الوضع) تيسر تعريف الحرف على أسس توزيعية . وذلك ما لم يدع سيبويه بالضبط إلى وضع تعريف إيجابي للحرف بالفصل المخصص لأقسام الكلام (49) .

إن النظام بحسب هذا التخريج صالح بأن يعتمد في شأن كل عنصر من عناصر الكـلام العربي : لأننا نعـلم أن سيبويه كان يهـدف إلى أن يكـون « الكتاب » جامعا شاملا ، فنظام المثلثات يفيد بأن كل وظيفة تحقق كعنصرين ، يعمل أحدهما في الآخر . فنستنتج من ذلك أن منهج سيبويه هو أساسا نوع من التحليل للمكونات الأولية .

ولم تستخلص هذه الاستنتاجات فحسب من تقنية سيبويه الواضحـة في التحليل المعاصر بل من بعض المسلمات ، المعبر عنه مبدئيا والمطبقة تطبيقا دقيقا . فقبل سيبويه (أو بالتشاور معه) كان معلمه العظيم الخليل قد وصل إلى النتيجة التي تفيد بأن بعض التراكيب العربية تساوي وظائفيا كلمات مفردة . ويعني بالخصوص التركيب الاضافي (50) والأسماء المركبة مثل حضرموت (51) والاعـداد المركبـة مثـل خمسـة عشـر (52) وبعض المركبـات المنفصلة مثل

(49) ان سيبويه، لما عرف الحرف بأنه «جاء لمعنى» كان من المحتمل أنه يعني بذلك المعنى النحوي باعتباره جزءا من احدى الوظائف . ومما يؤيد ذلك هو أن مفهوم المعنى يطرأ بطريقة عادية جدا في « الكتاب » في سياق الوظائف . أي ب(ب) ج 1 ، 48، 211، (د) ج 1، 37، 179 وما يلي . إن تعريفه التوزيعي يوافق تمـاما رأي ر. س والــز (R.S. Wells) المفيـد بأن « الصرافــم تنسب إلى أصناف الصواتــم باعتبار المحيطــات التي تطرأ بها » — انظر « المكونات الأولية » — اللغة 23 (1947) ص 81 (Immediate continents)

(50) (ب) ج 1 ، 323 ، (د) ج 1 ، 281 .

(51) (ب) ج 2 ، 12 ، (د) ج 2 ، 12 وانظر أيضا (ب) ج 1 ، 474 ، (د) ج 2 ، 423 .

(52) (ب) ج 2 ، 12 ، 134 ، (د) ج 2 ، 12 ، 136 .

« كذا » (53) ، والأسماء التي تشمل الصرفم (علامة) المؤنث « ة » (54) ، وياء النسبة « ي » (55) ، وعبارة النداء « يا رجل » (56) ، والمنفي بلا « لا رجل » (57) فهي كلها تعرف بوضوح عند الخليل باعتبارها في « منزلة اسم واحد » . وهي التي يسرت بدون شك لسيبويه بداية نظامه . وليس هنا من داع إلى النظر في طرافة سيبويه وأستاذه النسبية ، وفي انتظار تقديم مساهمة الخليل في وضع « الكتاب » ، يبدو من المفيد استخلاص الاستنتاجات العامة التالية : إن اهتمام الخليل باللغة ينحصر أساسا في علم الأصوات الوظائفي والصرف ، لا سيما في صلة العلم الأخير بترابط الكلمات . فليس الخليل بل تلميذه سيبويه هو الذي عمم مفهوم الكلمة المفردة المعادلة لاستقصاء جميع التراكيب التي يمكن أن تقوم مقامها كلمة مفردة . ويبدو أن الخليل قد فضل الجملتين : « منتهى الاسم » و« تمام الاسم » . أما سيبويه فإنه قد فضل « كَمَل اسما » الاكثر تجريدا . وذلك ما يمكن أن يعكس مقاربتيهما المختلفتين . وفي كل الحالات يحق لنا أن نجزم بأن سيبويه كان أكثر اهتماما بالنحو منه بالصرف. فيحتمل أن « الكتاب » ما كان ليوضع لو تركت مادته بين يدي الخليل (58)

إن معادلة العبارات المركبة للكلمات المفردة مرتبطة ارتباطا وثيقا بمبدإ المعاوضة . ولقد كان هذا المفهوم كذلك معهودا لدى سيبويه ، وفي مستوى أدنى لدى أستاذه الخليل . ولقد كان هذا الأخير يدرك بالتأكيد أن جزءا من عبارة واحدة يمكن أن يعوض بآخر . فهو يذكر مثلا أن « علمتُ أنّك منطلق » تفيد معنى « علمت انطلاقك » (59) لكننا نتساءل إن كانت هذه الطريقة في

(53) (ب) ج 1 ، 474 ، (د) ج 1 ، 423 .
(54) (ب) ج 1 ، 341 ، (د) ج 1 ، 298 ف وانظر أيضا (ب) ج 2 ، 12 ، (د) ج 2 ، 12 .
(55) (ب) ج 1 ، 87 ، (د) ج 1 ، 84 .
(56) (ب) ج 1 ، 325 ، (د) ج 1 ، 282 .
(57) (ب) ج 1 ، 300 ، (د) ج 1 ، 306 .
(58) أن الخليل في الواقع لم يضع مؤلفات نحوية إن أخذنا بعين الاعتبار ما ترك بعده من عناوين .
(59) (ب) ج 2 ، 32 ، (د) ج 1 ، 30 وانظر كذلك (ب) ج 1 ، 461 ، (د) ج 1 ، 410 .

التلخيص في نفس المستوى من التجريد الواعي كما يظهر ذلك في عرض سيبويه لنفس الجملة : « عرفت أنك منطلق » حيث يستنتج منها أنّ « أنّ » والكلمات التي تعمل فيها لها جميعها « منزلة كلمة مفرده » . ويمكن لها أن تقوم مقام فاعل أو مفعول للفعل السابق لها (60) . ويطبق نفس التحليل بدون ذكر الخليل على عدد من تراكيب أخرى متكونة من كلمة واحدة معادلة بغيرها (من ذلك التركيب الوصفي (61) والجمل الموصولة من جميع الأنواع (62) ، وكل الجمل التابعة لـ« أن » ومعادلتها (63) . فنحن على يقين بأن سيبويه وحده كان المسؤول عن التوسع في مبدأي معادلة الكلمة المفردة لغيرها والتعويض ليشملا كل الوحدات النحوية التي لم يتطرق إليها الخليل .

فيكفينا مثال واحد يشهد بتقنية سيبويه المتفننة في التعويض والمعادلة . فإن العبارة « اضرب أيٌّ من رأيتَ أفضلُ » (64) تحلل كما يلي :

1) « من رأيت » باعتبارها موصولة يصرح بأنها تعادل « اسما تاما »

2) « من رأيت » باعتبارها وحدة مفردة تبين عندئذ أنها الجزء الثاني من التركيب الاضافي « أيّ من رأيت » وذلك بتعويضها بـ« القوم »

3) وباعتبارها تركيبا إضافيا فإن « أيّ من رأيت » كذلك « أيّ القوم » تعادل تعريفاً كلمة مفردة . ويؤكد على ذلك بتلخيصها بـ« أيهم »

4) وبالتالي فإن « أفضل » ليس خبر « من رأيت » بل « أيُّ من رأيت » ، باعتباره تلخيصا « أيّ من رأيت قومَه أفضل » . فيمكن لنا أن نقر لأنفسنا

(60) (ب) ج 1 ، 410 ، 461 ، (د) ج 1 ، 410/364 .

(61) (ب) ج 1 ، 45 ، 210 ، (د) ج 1 ، 34 ، 178 .

(62) (ب) ج 1، 95، 397، 410، 438، ج 2، 309 ، (د) ج 1 ، 78 ، 350 ، 364 ، 390 ، ج 2 ، 336 .

(63) (ب) ، 407 ، 418 ، 461 ، 309 ، (د) ، 362 ، 372 ، 410 ، ، 336 .

(64) (ب) ج 1 ، 339 ، (د) ج 1 ، 352 .

(65) انظر (ب) ج 1 ، 398 ، (د) ج 1 ، 351 .

ذلك بأن نلاحظ أنه ، إن أمكن أن يعوض « من رأيت » بـ« هم » و« أيّ من رأيت » بـ« الذين » ، لا يوجد شيء مشابه ليعوض « من رأيت أفضل » ، إذ يتبين أن تلك الجملة تقطع الروابط المكونة ويوضح ذلك البيان التالي (66) :

اضربْ أيَّ من رأيتَ أفضلُ

فمن مظاهر نحو سيبويه التي تكشف عن نسبة متينة بين مصادرات التحليل للمكونات الأولية ، مبدأه الصريح الذي يفيد « بأنـه لا تكون ثلاثةُ أشيـاء منفصلةٍ بمنزلة اسم واحد » (67) فهو مستعمل لتبرير التحديد من استعمال أشكالٍ متعاقبة من الأوصاف عند وصف أسماء منفية .

فعندما يوجد وصف واحد ، يمكن أن يكون له شكل شاذ مثل الاسم السابق له ، فيصبح في تلك الحال وحدة مزدوجة تتأثر بالنفي لأن سيبويه يقول « الموصوف والوصف بمنزلة اسم واحد » (68) كما يظهر ذلك في البيان التالي:

لا غلام ظريفَ لك

أو يمكن لوحدة النفي أن تتقدم ، فيكون للوصف الشكل العادي الموافق للاسم الذي يصفه مثلما هو الشأن في البيان التالي :

لا غلام ظريفًا لك

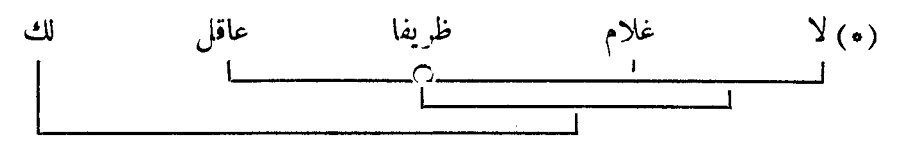
---

(66) ان التحليل يشمل فحسب المكونات التي تهمنا هنا .

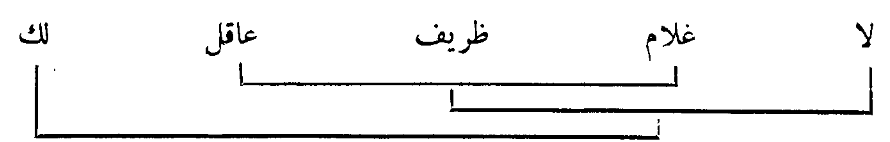
(67) (ب) ج 1 ، 351 ، (د) ج 1 ، 306 .

(68) نفس المصدر .

ففي هذه الحال ، فإن المتكلم ، كما يقول سيبويه « جعلوا الاسم و« لا » بمنزلة اسم واحد وجعلوا صفة المنصوب في هذا الموضع بمنزلته في غير المنفي » (69) ولما كان « بأنه لا تكون ثلاثةُ أشياءَ منفصلةٍ بمنزلة اسم واحد » ، نستنتج أن كل الأوصاف الإضافية تأتي في أشكال عادية من ذلك « لا غلامَ ظريفاً عاقلاً لك » ما دام (*) « لا غلام ظريف (ظريفا) عاقل لك » يمكن أن تنتج عن اللبس بين وحدتين مزدوجتين إثنتين ، أي عن النفي من جهة وعن الوظيفة الوصفية من جهة أخرى . وفي حال :



يتبين بأن « عاقل » تقطع الرابط المكون لتتكون وحدة خاطئة من ثلاثة عناصر ، بينما ينشىء النموذج البديل :



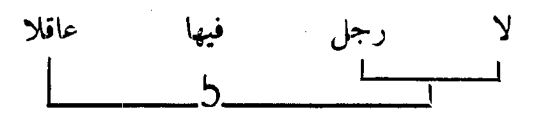
وحدة أخرى خاطئة متكونة من ثلاثة عناصر ما دام الشكل « عاقل » لا يُبَرَّر إلا باعتباره ناتجا عن لا النافية .

بقي مظهر أخير من نظام سيبويه الذي يستحق النظر لأنه يؤكد الشعور بأنه كان أساسا محللا يعتمد المكونات الأولية . وننطلق من ملاحظة ر. هـ. روبنز (R.H. Robbins) التي تفيد « في اللغة التي يكون فيها قطع ترابط الكلمات باعتماد تحليل المكونات الأولية مطردا جدا في مستوى هياكل الجملة ، فإن الكلمة يمكن أن تكون أيضا أقل إفادة كوحدة نحوية أساسية » (70) . ويحدث

(69) نفس المرجع . إن ظريفا هنا يحتفظ بالتنوين الذي يحدده وصفا لاسم نكرة . وحتى في تلك الحال فإن الاسم قد فقد التنوين عندما وقع عليه عمل « لا » .

(70) ر. هـ. روبنز : الألسنية العامة ؛ نظرة مدخل . لندن 1964 ص 240
(R. H. Robins : General Linguistics, An introductry Survey)

أن يكون هذا المظهر عاديا جدا في العربية في مستوى صنف الصرافم المعروفة « بالظروف » عند النحويين العرب أي ما يعبر به عن الزمان والمكان. فعندما تقوم بوظيفة خبر كثيرا ما يحدث قطع الروابط :



لكن يمكن تجنب هذا القطع باعتماد وسيلة « الالغاء » الذي يبطل عمل العناصر ، وتصبح حسب رأي سيبويه « حتى يكون المتكلم كأنه لم يذكرها » (72) أي :

لا رجل فيها عاقلا (73)

ويظهر هذا الالغاء أكثر وضوحا في أحد التركيبين « فيها عبد الله قائما » و« فيها عبد الله قائم » (74) . ففي الأولى « فيها » تعمل عمل خبر مقدم ، وبالتالي فإن « قائما لا صلة له هيكليا بالجملة المكملة كما يشهد بذلك شكلها المتصل (75) ( ) وفي البيان التالي يرمز إلى ذلك التكرار بخط منكت :

فيها عبد الله قائما

(71) (ب) ج 1 ، 351 ، (د) ج 1 ، 306 .

(72) (ب) ج 1 ، 243 (د) ج 1، 207 .

(73) (ب) ج 1 ، 351 ، (د) ج 1 ، 306 .

(74) (ب) ج 1 ، 261 ، (د) ج 1 ، 222 .

(75) ان الصرفم المتصل في العربية يعبر عن تكرار هيكلي بالنسبة للجملة الكاملة الدنيا باستمرار وبالاعتماد على عدم تحديد العنصر المتصل وما يسبقه . يعتمد هذا الرأي كثيرا عند سيبويه مع ذكر خاص للجملة » عشرون درهما — انظر م. ج. كارتر : « عشرون درهما في كتاب سيبويه » — (1972) 35 (B.S.O.A.S.) واعتبارا لمنزلة الاشكال المتصلة الخاصة، لم يحاول في هذه الدراسة ادماج المثلث الواضح جدا : فعل ، فاعل ومفعول .

وفي الثانية ، فإن « فيها » تصبح مكررة باعتماد الالغاء ، وتصبح « قائم » خبرا ، وإليك شكلها المستقل :

فيها	عبد الله	قائم

ويبدو أنه لا يوجد أدنى شك في أن طريقة سيبويه في الالغاء تشابه كيفا ما يسميه روبنز (وبالاحرى بغموض) « أقل إفادة كوحدة نحوية » .

إن هذه النقاط الخاصة من مشابهة نظام سيبويه للتحليل بحسب المكونات الأولية ، تعتبر في حد ذاتها جزءا من تشابه عام بين المنهجين . فكلاهما مقتصر على الهيكل السطحي ؛ وهما بالضرورة خطيان في مقاربتهما (قارن « نحو » أو طريقة الكلام بسلسلة الكلام أوChaıne parlée) . وبالتالي فإن الهياكل المتجانسة لا تميز إلا بالرجوع إلى الوظيفة الدلالية (وإن كان سيبويه والمحللون بالمكونات الأولية لا يعتمدون المعنى المعجمي إن أمكن تجنّبه) . ورجاؤنا أن يوفق ما سبق من هذا العرض البسيط في وضع مقارنة مفيدة بين سيبويه والتحليل بحسب المكونات الأولية ، وفي تقديم عناصر نظامه النحوي — وذلك أهم بكثير — بطريقة أكثر عطفا وأكثر موضوعية مما فعله نقاده ومفسروه . ولقد بقي شيء كثير يستحق التصريح به في شأن سيبويه ومنزلته من تاريخ الألسنية . ولعل هذه المحاولة ستعتبر اقتراحا في سبيل موقف من المسألة يجعل بعضهم يرى أنه لو كتب لسيبويه أن ولد في عصرنا هذا ، لأمكن له أن يتبوا منزلة بين دي سوسير وبلومفيد .

عشـر سنـوات مـن البحـث الجـامعي الفرنسي حول العالم العـربي والاسـلامي ، مـن 1968 ـ 1969 الى 1979.

منشورات بحـوث في الحضارات باريس 1982 ـ 438 صفحة .

Dix ans de recherche universitaire Française sur le monde arabe et islamique de 1968 - 69 à 1979.

Editions Recherches sur les civilisations, Paris 1982 438 p.

تقديم : محمد الهـادي عيسى

لكل باحث في هذا الكتاب حظ ومأرب ، ممّن رسخت قدمهم في البحث كان أم من الذين ما يزالون في مفترق الطرق يلتمسون وجهتهم . فقد ورد الكتاب ـ كما يشير عنوانه ـ في شكل فهرس عام بمختلف الاطروحات التي سجّلت أو نوقشت بالجامعات الفرنسية طيلة عشر سنوات ـ من 1968ـ 69 إلى 1979 ـ (1) وكان لموضوعها صلة ما بالعالم العربـي أو الاسلامي ؛ وهو ثمرة عمل جماعي طويل النفس ، حيث ائتلفت لإعداده لجنة تكوّنت من ثلاثة باحثين ومسؤول من فهرس الاطروحات المركزي بجامعة نانتار (2)

(1) كذا حدد التاريخ في عنوان الكتاب ومقدمته (ص 15) ، إلا أن قراءتنا للكتاب اعثرتنا على مواضيع مسجلة بتواريخ أسبق ؛ انظر مثلا :
- الاطروحة رقم 3767 ص 223 : 1962
- الاطروحة رقم 4100 ص 243 : 1965
- الاطروحة رقم 345 ص 36 : 1966
- الاطروحة رقم 3834 ص 226 : 1967 .

(2) انظر أسماءهم ص 19 .

فاستغرق عملها حوالي ثمانية عشر شهرا (3) ، ثمّ تعاونت على إخراجه عدة وزارات ومؤسسات فرنسية (4) فسدّت بنشره ثغرة في مكتبات البحث المختصّة وكفت الباحثين من الطلبة المقبلين على تسجيل الأطروحات أو الأساتذة المشرفين عليها عناء التنقّل الى فهرس نانتار المركزي للتّثبّت من طرافة مواضيعهم واسبقيّتها .

ولقد تضمّن الكتاب خمسة أقسام كبرى نعرض لها فيما يلي بالتعريف أو بالتعليق والنقد متى دعت ا لحاجة إلى ذلك .

I – تمهيدان (ص ص 9 و11 – 12) :

ينفتح الكتاب على تمهيدين اثنين ، أوّلهما (ص 9) بقلم كارول هاتيز Carol Heitz رئيس جامعة باريس – X – نانتار ، والثاني (ص ص 11 – 12) بقلم روبار مانتران Robert Mantran من قسم الدراسات الإسلامية بجامعة بروفانس ، وهما غاية في الاختزال ولا يخرجان عن التنويه التقليدي بأهمية الكتاب ومجهود أصحابه .

II – مقدّمة (ص ص 15 – 19) :

تقع في خمس صفحات ، وهي بامضاء اللجنة المكلّفة باعداد الكتاب ، وفيها تعريف بالوزارات والمؤسسات التي ساهمت في انجازه ، ثمّ تفصّل اللجنة القول في غاية الكتاب وصعوبات العمل وحدوده ، وتخلص أخيرا إلى منهج التصنيف المتبع فيه وتعلّل اختيارها له دون غيره من المناهج الممكنة ، وتختم بالإشارة إلى الرموز المستعملة في غضون الكتاب .

---

(3) من جانفي 1979 إلى جوان 1980 ، انظر ص 15 .

(4) انظر تفاصيل ذلك ص 15 .

III – فهرس الأطروحات (ص ص 21 – 354) :

يتضمّن الفهرس – وهو القسم الرئيسي من الكتاب – تسعة أبواب كبرى أُفرد كل منها بميدان معيّن من ميادين البحث ، ثم يتفرّع كل باب ، أي كل ميدان ، إلى فصول صغرى هي جملة الاختصاصات التي يجمعها ذلك الميدان ويختلف عددها من باب إلى آخر (5) ؛ ثم رُتبت مواضيع الأطروحات داخل كل اختصاص منها ترتيبا ألفبائيا باعتبار اسم الجامعة التي سجل فيها الموضوع أوّلاً ، ثم باعتبار اسم الأستاذ المشرف على البحث ؛ وارتأت لجنة الكتاب بعد ذلك أن تسند لكل أطروحة رقما ترتيبيا من 1 إلى 5807 ، ثم تذكر اسم الباحث إذا كانت الأطروحة قد نوقشت (6) وتشير إلى صنف الأطروحة وهو أحد ثلاثة : دكتوره دولة أو دكتوره حلقة ثالثة أو دكتوره جامعة (7) ، ثم تثبت اللجنة تاريخ التسجيل أو المناقشة ، وقد ورد كل تاريخ مركّبا من زوجين من الأرقام يشير أوّلهما إلى السّنة والثاني إلى الشهر (8) ، وفي نهاية ذلك كلّه ترد صيغة موضوع الأطروحة .

(5) بلغ عدد هذه الاختصاصات في كل ميادين البحث 24 اختصاصا وهي كما يلي : الفن المعاصر والهندسة المعمارية – القانون الداخلي – الاقتصاد التعليم والبداغوجيا – علم السلالات – الدراسات السياسية – الجغرافية الطبيعية – اللغة واللسانيات – الأقليات غير المسلمة – الطب – التفكير المعاصر – علم النفس – المسألة الفلسطينية – الجهات والتعمير – العلاقات الدولية – علم الاجتماع – الفن وعلم الآثار – التاريخ – الدراسات الإسلامية – الفلسفة وتاريخ العلوم – اللغة واللسانيات العربية والبربرية – الأدب العربي – الأدب المعبر بالفرنسية – الأدب المقارن .

(6) لم تذكر أسماء أصحاب الأطروحات التي ما تزال بصدد الاعداد ، وهو فيما يبدو من تقاليد الجامعات الفرنسية حيث يحتفظ بأسمائهم طي الكتمان إلى حد مناقشة البحث .

(7) (Doctorat d'Université) ؛ وهو صنف يناظر الحلقة الثالثة لأن المتحصل على أحديهما يمكنه الشروع في اعداد دكتورة دولة ؛ إلا أن التسمية بدكتورة جامعة تطلق في احدى حالتين :
أ) إذا كان الباحث غير متحصل على شهادة الباكالوريا قبل الاجازة
ب) إذا كان متحصلا على الباكالوريا والاجازة إلا أن الأستاذ المشرف لا يدرس باحدى الجامعات الفرنسية .

(8) مثلا : الأطروحة رقم 1 (ص 22) سجلت في جويلية 1978 إذ ورد التاريخ كما يلي : 07 – 78 .

أمّا أبواب الفهرس التسعة فقد خضعت ستّة منها إلى منطق التقسيم الجغرافي وهي :

أ) العالم العربيّ المعاصر (ص ص 83 — 106)

وقد وزّع هذا الباب على 12 اختصاصا ، ويضمّ 270 أطروحة (9) أي نسبة 4،76٪ من مجموع الأطروحات العام بالفهرس وهو 5667 (10) . وتشير اللجنة (ص 15) إلى أنّ مواضيع هذا الباب تعالج قضايا تهمّ العالم العربي بأسره أو هي مشتركة بين عدة بلدان منه .

ب) الشرقان العربيّان المعاصران ، الادنى والأوسط (ص ص 107 — 166)

يضمّ 972 أطروحة (11) (أي 17،15٪ من المجموع) موزّعة على 13 اختصاصا ، وتلفت اللجنة انتباه القارىء (ص 16) إلى أنّ هذا الباب يمسح جغرافيّا الأقطار العربيّة الإسلاميّة التالية : العربية السعوديّة ، مصر ، الإمارات العربية المتحدة ، العراق ، الأردن ، الكويت ، لبنان ، عُمان ، سوريا ، اليمن الشمالي واليمن الجنوبي .

---

(9) و(10) نستقني هذه الأرقام من الجدول الاحصائي العام المدرج بالصفحة 376 ضمن الملاحق (انظر تعليقنا على الجداول فيما يلي) .
وقد أعدنا النظر في بعض أرقام هذا الجدول وقارناها بعدد الأطروحات المثبتة في أبوابها المناسبة من الفهرس فثبت لدينا أن بعض المغالط قد تسربت إلى الجدول العام وإلى غيره من الجداول ، فمثلا هذا الرقم 270 ، تبين لنا بعد المراجعة أن صوابه 272 أطروحة ، ثم أن العدد الجملي للأطروحات كان في هذا الجدول 5667 والحال أن آخر أطروحة مثبتة بالفهرس تحمل رقم 5807 . (انظر ص 354) .
ورغم انتباهنا إلى هذه الأخطاء فقد فضلنا الاحتفاظ بأرقام هذا الجدول لسببين :
أ) لأن مراجعة هذه الأرقام جميعها تتطلب جهدا قد يفوق طاقة الفرد
ب) لأن استغلالنا لهذه الأرقام لا نرمي من ورائه إلى الدقة الرياضية بقدر ما نروم منه اعطاء فكرة تقريبية .

(11) انظر الملاحظة السابقة ، وهي صالحة لكل الأرقام التي سنوردها فيما يلي .

وتجدر الملاحظة بأنّه كان على اللجنة أن تُلحق السودان بهذه القائمة لأننا أحصينا ضمن هذا الباب 35 أطروحة خاصة بهذا القطر أو تمتّ إليه بصلة ما ، وقد ذكر لفظ السودان صريحا في صيغة مواضيع هذه الأطروحات .

هذا وأننا لم نستغـرب ورود اسم القطـر اللّيبـي في موضـوع إحـدى أطروحات هذا الباب (12) لأنّ المسألة تتعلّق بمقارنة لسياسة التأميم بليبيا ومصر ، لكنّنا لم نجد مبرّرا لادراج أطروحة عن التشاد (؟) (13) رغـم التحديد الجغرافي المذكور انفـا .

ج) **المغرب العربـي** (ص ص 167 — 270)

يضمّ 2012 أطروحـة (50،35٪ من المجمـوع) وهو موزّع عـلى 14 اختصاصا ويمسح جغرافيّا تونس والجزائر والمغرب الأقصى ومـوريتانيـا وليبيـا .

ه) **العالم الإيراني** (ص ص 271 — 313)

سمّي هذا الباب كذلك لأنه — فضلا عن ايران — يمسح افغانستان وباكستان حسب ما تشير اللجنة (ص 16) ، وهو يضمّ 691 أطروحة (19،12٪ من المجمـوع) موزّعة على 14 اختصاصا .

و) **العالم التركي** (ص ص 315 — 333)

لقد سمّي كذلك لأنه بالإضافة إلى تركيا ذاتها يمسح الممالك العثمانية البلقانية القديمة والجمهوريات السوفياتيّة بآسيا الوسطى ؛ ولقد حوى هذا الباب 193 أطروحة (40،3٪ من المجموع) موزّعة على 12 اختصاصا .

---

(12) انظر رقم 2176 ص 141 .

(13) انظر رقم 1964 ص 129 .

ز) **الاسلام الآفاقي** (14) (ص ص 335 — 343)

يمسح هذا الباب كلاّ من افريقيا الشرقية وافريقيا الغربيّة والصّين وشبه القارّة الهنديّة والارخبيلات الجنوبيّة الشرقيّة بآسيا (15) والمحيط الهندي الشرقي والمحيط الهندي الغربي ؛ وهي مجموعة البلدان التي يمثّل فيها الاسلام عنصرا هامّا دون أن يكون الديانة الطّاغية أو الوحيدة ؛ وتشير اللجنة كذلك (ص 15) إلى أنّها لم تثبت بهذا الباب الأطروحات التي يوحي موضوعها بوجود صلة ما بالإسلام من الوجهة العقائديّة أو الثقافية أو السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية . ولا يضمّ هذا الباب سوى 71 أطروحة (25،1٪ من المجموع) موزّعة خلافا للأبواب السابقة توزيعا جغرافيا :

1) افريقيا الغربيّة (ص ص 336 — 341)
2) افريقيا الشرقيّة (ص 342)
3) الصّين والعالم الهندي (ص 343)

هذه هي الأبواب الستّة الأولى من الفهرس ، أمّا عن الثلاثة الأخرى فإنّ أول ما يلاحظ في شأنها هو خضوعها في التصنيف إلى منطق ثان غير التقسيم الجغرافي ؛ ذلك أنّ تقسيمها كان انطلاقا من مواضيع البحث لا من حدود مجاله الجغرافي .

ويلفت انتباهنا أيضا موضع هذه الأبواب الثلاثة بالفهرس ، فقد أدرج اثنان منها في بدايته قبل الأبواب الستّة المذكورة أعلاه بينما ارجىء الباب الثالث إلى ما بعدها ، ولهذا فإنّه قد يسهل أن نقتنع بما برّرت به لجنة الكتاب (ص 17) تفضيلها التقسيم الجغرافيّ على المنهج التقليدي المعمول به في الفهرس المركزي بنانتار وغيره من مؤسسات التوثيق وهو منهج يعتمد مقياس

---

(14) (Périphérique)

(15) (L'Insulinde)

اختصاصات البحث ، لكنّنـا لم نتبيّـن الدافع إلى توزيـع الأبواب على هذا الشكل : بابان خاضعان للمواضيع فستّة خاضعة للتقسيم الجغرافي فباب أخير من صنف الأوّلين .

أمّا هذه الأبواب الثلاثة فهي :

أ) **الإسلام ما قبل المعاصر** (ص ص 41 — 49)

وبه 634 أطروحة (18، 11٪ من المجموع) موزّعة على أربعة اختصاصات .

ب) **اللسانيّات والأدب العربـي** (ص ص 51 — 81)

يضـمّ 654 أطروحـــة (54، 11٪ من المجمـوع) موزّعـــة على أربعـة اختصاصات .

ج) **الهجـرة** (ص ص 345 — 354)

يضمّ 170 أطروحة (99، 2٪ من المجموع) ، ولم يقسّم هذا الباب في داخله حسب الاختصاصات وإنّما كان التصنيف فيه حسب الجامعات فقط .

تعليـق على الفهرس

لقد أوقفتنا مطالعتنا لهذا الفهرس على جملة من الملاحظات متفـاوتـة الأهميّة ، صنف أول منها يخصّ منهج ترتيب الفهرس مباشرة بينما يخضع الصنف الثاني إلى اعتبارات مبدئية أشمل لا تهمّ هذا الفهرس أو الكتاب عامّة بقدر ما تطرح بعض قضايا البحث الجامعي بصورة أعمّ .

فالفهرس لم يخل — رغم جهود اللجنة وحرصها — من بعض الهفوات الناتجة عن سهو أو خطإ مطبعي ؛ من ذلك غفلة اللجنة عن أحد جزئي تاريخ تسجيل الأطروحة (16) أو انعدام الصّواب في طبع رقمها الترتيبـي المناسب

(16) في رقم 3983 ص 237 ، ذكرت سنة التسجيل — 76 — دون الشهر .

بالفهرس (17) . ومن الاخطاء التي تهمّ مواضيع الأطروحات ذاتها ما نجده من تكرار لبعض الأطروحات في اختصاصين مختلفين بنفس الباب ، فدكتوره الحلقة الثالثة التي ناقشها محمّد بن سليمان في جوان 1976 حول « السياسـة العمرانيـة بتونس » أدرجـت في اختصاص « الجهـات والتعميـر » (18) ثمّ كرّرت بحذافيرها في « علم الاجتماع » (19) ؛ وكذلك شأن أطروحة أخرى من نفس الصنف ناقشها برهان الرّايس حول قضايا الأنشطة البدنية والريـاضيّة في البلدان النامية ، فهي مثبتة برقمين اثنين (20) في اختصاصين مختلفين (21) مع اختلاف في تاريخ المناقشة (22) ؛ وإذا كان هذا النمط من الاخطاء قابلا للتعليل لأنّ الأطروحتين يمكن فعلا ادراجهما في هذا الاختصاص أو ذاك ، فإنّه يصعب تبرير وجود نفس الموضوع مكرّرا برقمين متتاليين في نفس الاختصاص (23) ، كما أنه يعسر أن نستسيغ إدراج أطروحة الدكتور محمد اليعلاوي عن ابن هاني الأندلسي في موضعها الملائم (24) ثم تثبت بعد ذلك تعسّفا في اللسانيّات (25) مباشرة بعد أطروحة الدكتور رشاد الحمزاوي عن مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة ! ، وما العلّة في إثبات أطروحة عن الأديـب المغربـي الأصل إدريس الشرايبـي في اختصاص « الأدب العربـي » (26)

(17) ص 69 : رقم 1049 صوابه 1047 .
ص 267 : رقم 4940 صوابه 4640 .

(18) رقم 4297 ص 250 .

(19) رقم 4634 ص 267 .

(20) رقم 3529 ص 211 ، وهي ذاتها في رقم 4598 ص 265 .

(21) في التعليم والبيداغوجيا ثم في علم الاجتماع .

(22) الأولى بتاريخ نوفمبر 1972 والثانية جوان 1975 ، فأيهما الصواب ؟

(23) انظر ص 53 رقم 653 ثم مباشرة بعده رقم 654 ، فكلا هما دكتوره حلقة ثالثة وكلا هما مسجل في ديسمبر 1972 ، وهما باشراف نفس الاستاذ ، مع اختلاف في الجامعة وفـرق – من حيث العدد – في صيغة الكلمة الأولى من الموضوع ، فمن « مشكل النحو العربـي المعاصر » إلى « مشاكل النحو العربـي المعاصر » ؟؟؟

(24) رقم 879 ص 63 اختصاص الأدب العربـي .

(25) رقم 665 ص 54 .

(26) رقم 1049 ص 69 .

والحـال أنّ موضعهـا الأنسـب هو « الأدب المعبّـــر بالفرنسيّــة » مع بقيّة الأطروحات عن نفس الأديب (27) ؟ وما المنطق في إثبات أطـروحــة عن التفكير الديني عند كلّ من جبران ونعيمة في اختصاص « الأقلّيات غيـر المسلمة » (28) مع وجود أطروحة أخرى عن « الدّين والمجتمع في اثار جبران خليل جبران » في اختصاص « الأدب العربي » (29) ؟

ولماذا تصادفنا ثلاث أطروحات باشراف اندري ميكال André Miquel عن الجغرافيا والجغارفة العرب في « الأدب العربي » (30) ثمّ نرى ثلاثا أخـرى في الموضـوع ذاتـه وباشـراف نفس الأستـاذ في « الفلسفــة وتاريخ العلوم » (31) ؟ ونحن لو عمدنا إلى استقصاء كل المآخذ لطالت الملاحظات وتشعّبت التساؤلات بما يُخرج هذا العمل عن حدوده ؛ وفي اعتقادنا أن قسما كبيرا من هذه الأخطاء تعود أسبابه إلى الضّغوط الزمنية أوّلاً ثم إلى نوعيّة العمل وما تتميّز به مادّته من غزارة وتشعّب ، فلجنة الكتاب تعترف (ص 17) بتقصيرها في مراجعة مادة الكتاب بما تستحقّه من تأنّ وتثبت ، وذلك لأنها حرصت على إخراجهه في أقرب الآجال حتى لا تتجاوزه الأحداث (32) ؛ ثم إنه قد تبيّن لنا أنّ عددا غير قليل من المواضيع يعسر فعلا البتّ في تصنيفه

---

(27) انظر مثلا رقم 1047 ص 71 ورقم 1161 ص 75 ؛ وهذا الأديب لم يكتب باللغة العربية فيما نعلم .

(28) رقم 2212 ص 144 .

(29) رقم 1055 ص 69 .

(30) ص 64 رقم 890 و891 و895 .

(31) ص 47 رقم 556 و557 و558 .

(32) لم تتمكن اللجنة مثلا من مراجعة الفهرس قبل إخراج الكتاب قصد الإشارة إلى الأطروحات التي قد تكون نوقشت أو تخلى عنها أصحابها في الفترة الفاصلة بين بداية اعداد الكتاب ونهايته ، وفعلا ، يمكن للقارىء أن ينتبه مثلا إلى أن الأطروحة رقم 3715 ص 221 المسجلة بتاريخ أفريل 1972 قد نوقشت في 2 فيفري 1980 ونشرت بكلية الآداب بتونس سنة 1982 ، وهي أطروحــة الدكتور علي المحجوبــي عن « أصول الحركــة الوطنيــة بتونس 1904 – 1934 »، وكذالك الاطروحة رقم 3479 ص 208 المسجلة بتاريخ نوفمبر 1971 فقد نوقشت بتاريخ 3 أكتوبر 1981 وهي للدكتور المنجـــي بوسنينة، وقد اعلمنا صاحبها أنه قدمها لكلية الآداب بتونس لطبعها .

في باب أو اختصاص دون آخر ، فالبحث المتعلّق بـ« السنما الفلسطينية » مثلا (33) أثبت بـ« المسألة الفلسطينية » من باب العالم العربي المعاصر ، ولو أثبت في « الفنون والهندسة المعمارية » من نفس الباب لما اعتُرض على ذلك ؛ وكذلك الشأن في أطروحة أخرى موضوعها « دراسة اجتماعية واقتصاديّة لمخيّمات اللاّجئين الفلسطينيين بلبنان من 1948 إلى 1974 » (34) ، فامكانيات التصنيف فيها متعدّدة إذ يصحّ أن تكون في « المسألة الفلسطينية » مثلما ارتأت اللجنة ، كما أنّه لا مانع في رأينا من اثباتها في اختصاصي « الاقتصاد » أو « علم الاجتماع » من نفس الباب .

على أنّ أهميّة هذه الملاحظة الأخيرة تكمن في أنّها توقفنا على أكبر مأخذ وأخطر خلل منهجي في تصنيف مواضيع الأطروحات وتبويبها ، ويتمثّل هذا الخلل في كون لجنة الكتاب بقيت عند تنزيل المواضيع في ميادينها واختصاصاتها المناسبة ، متذبذبة بين اعتبارين مختلفين ومنطلقين منهجيّين متباينين ، فقد استندت في ذلك طورا إلى نوعيّة النصوص المعتمدة في البحث بينما نراها تنطلق طورا آخر من نوعية التعامل مع هذه النصوص وغائيّته .

ويبدو جليّا أنّ اللجنة مالت غالبا إلى ترجيح الاعتبار الأوّل أي نوعيّة النصّ المعتمد ، والحال أنّ النص كان يجب في اعتقادنا أن يتبوّأ منزلة ثانية — وربما ثانويّة — بعد منهج البحث وزاوية النظر فيه ، لا سيّما إذا ذُكر ذلك صراحة في صيغة موضوع الأطروحة ، ومعنى ذلك أنّنا مثلاً لا نخالف اللجنة في كون « ألف ليلة وليلة » نصّا أدبيّا ، لكنّ البَحَثة قد تعاملوا مع هذا الأثر وما يزالون يستجلون خصائصه من زوايا حقول معرفية واختصاصات متباينة وبمناهج وأدوات عمل مختلفة ، فهل يكفي اعتماده في موضوع أطروحة

(33) رقم 1429 ص 97 .
(34) رقم 1422 ص 97 .

حتّى نسارع بادراج هذا البحث في « الأدب العربي » والحال أنّ صيغة الموضوع لا تترك مجالاً للشكّ أو التردّد في إدراجه في « اللسانيات » لأنها نصّت على أن البحث « محاولة تحليل **سيميائي** » (35) ؟ وهل نطمئنّ لمجرّد ورود اسم الجاحظ في موضوع إحدى الأطروحات حتى ننزّلها في « الأدب العربي » رغم التنصيص على أنها « بحوث في **أسلوب** الجاحظ » (36) ؟ وكيف نقتنع بأنّ أطروحة عن « تشخيص مقتل الإمام الحسين » (37) من مشمولات « الفنون الحديثة والهندسة المعماريّة » والحال أنّ لفظة « سوسيولوجيا » واردة كرّتين في صيغة الموضوع ... ؟

هذا فيما يتعلّق بالصنف الأوّل من الملاحظات وهي كما أسلفنا تتصل مباشرة بمنهج تصنيف فهرس الكتاب موضوع تقديمنا ، ونورد فيما يلي جملة من الملاحظات البسيطة لها مساس بالبحث الجامعي عامّة .

إن الناظر في هذا الكتاب ، وهو ثمرة عشريّة كاملة من البحث الجامعي بفرنسا ، يشعر بمدى تنوّع المواضيع واتساع أفق البحث ومدى ثراء الحوار الذي أخصبه تراشح الاختصاصات المعرفية المختلفة ؛ كما أنّ المتأمّل في هذا الكتاب يخرج بفكرة أقرب ما يكون إلى الوضوح عن مشاغل « الاستشراق» الفرنسي واهتماماته ، وعن خصب خيال البحثة وجرأتهم في تصوّر المواضيع الطريفة التي قد لا نبالغ إذا أكّدنا أنها – إلى أجل غير قريب – لن تشق طريقها إلى بعض الجامعات العربية لأنها توهم بالخروج عن « الرّصانة الأكادمية » .

إلاّ أنّه بامكاننا أن نلاحظ من ناحية أخرى أنّ البحث الجامعي بفرنسا في ميادين الحضارة العربية والإسلامية ما يزال رغم عراقته والإمكانيات

---

(35) رقم 923 ص 65 .

(36) رقم 986 ص 67 ، وكان يجب أن تكون في اللسانيات .

(37) رقم 1580 ص 109 .

المتوفّرة له يشكو بعض المصاعب التي يتيسّر تجاوزها بمزيد من التنسيق ؛ فقد تأكد لدينا مثلا أنّ الحاجة تدعو إلى الاتفاق على مقدار أدنى من المقاييس الموحّدة تُلتزَم في صيغة الموضوع المسجّل ، ذلك أنّ بعض المواضيع المثبتة بفهرس الكتاب توفّر للقارىء فكرة واضحة عن نوعيّة البحث وحدوده وغاياته لأنّ صاحب البحث قد حرص على حصر ميدان عمله ومنهجه وحدّيه الجغرافي والتاريخي ، بينما كانت المواضيع الأخرى – وهي كثيرة – مغرقة في التعميم لا يوحي نصّها بشيء وهي بالتالي قد تصلح عنوانا لكتاب أو دراسة ، أمّا أن تكون موضوعا لأطروحة جامعية فهي أبعد ما يكون عن الدقّة والوضوح الواجب توفرهما . ولعلّه يكون من المفيد أيضا أن تتفق الجامعات الفرنسية على نظام موحّد في كتابة الأسماء العربية بالأحرف اللاّتينية حتّى تسلم هذه الأسماء من التشويه (38) والاختلاف في رسمها (39) .

ويبدو أنّ وجود الفهرس المركزي للأطروحات بنانتار على ذمة الباحثين للتثبت من طرافة مواضيعهم وجدّتها لم يق هؤلاء من تسجيل مواضيع قد سُبقوا إليها لأنّ وجود أطروحتي دولة في نفس الموضوع (40) بجامعة واحدة وباشراف نفس الأستاذ قد يُعلَّل – فيما يبدو – بتخلّي صاحب الأطروحة الأولى عن بحثه، لأنّ الأولى مسجّلة في سبتمبر 1967 بينما نوقشت الثانية في جوان 1979 ، أو لعلّ لجنة الكتاب لم تتفطّن إلى أنها أطروحة واحدة خرجت من قيد التسجيل إلى طور المناقشة ؛ ولكن ، بِمَ يمكن أن نبرّر تسجيل أربع أطروحات عن الازدواج اللغوي بتونس في أربع جامعات بتواريخ مختلفة

(38) كلمة « بعث » مثلا ، كتبت بأربع طرق مختلفة :
(Baas, Bath, Baas al Houcari, Bath)

(39) مثلا : «ساطع الحصرى» ورد تارة (Al Husri) وطورا (al Houcari)(كذا). و«احسن التقاسيم » كتبت (Ahsan Tazasim, و Ahsan et Takasim) (كذا) .

(40) « قضية الموت في الاسلام » ، انظر رقم 650 ص 47 ثم 601 ص 48 .

وباشراف أربعة أساتذة (41) ؟ ، ويمكن أن نطرح نفس التساؤل عن وجود ثلاث أطروحات في العلاقة بين اللغة العربية والسّواحلي (42) ؟

IV — ثبت بأسماء الأساتذة المشرفين على الأطروحات (ص ص 335 — 373) :

وردت أسماء الأساتذة المشرفين مرتّبة ترتيبا ألفبائيا ، وتوجد بعد كل إسمٍ إشارةٌ إلى الجامعة أو الجامعات التي سجّل بها البحث أو نوقش، ثم إلى أرقامها بالفهرس .

وبالتأمل في قائمة الأسماء وعدد الأطروحات الراجعة إليها بالنظر نتبيّن أن عدد الأطروحات الخاضعة إلى سلطة اشراف واحدة يتراوح بين المفرد وما فوق المائة ، وقد كان صاحب « الرقم القياسي » فيها المستشرق روجي ارنلداز Roger Arnaldez حيث بلغت الأطروحات التي يشرف عليها 122 موضوعا (43) ، يليه بعض الاعلام ممّن لمعت أسماؤهم في عالم الاستشراق الفرنسي وذاع صيتهم تأليفا وتدريسا (44) ، ومهما كانت دلالة هذه الأرقام على طاقة هؤلاء الأساتذة وشهادتها لهم بما يبذلونه من خدمات لطلبتهم وللبحث العلمي والاستشراق بصورة أعمّ ، فإنّ ذلك لا يمنعنا من تسجيل احترازنا إزاء نجاعة الاشراف عندما يبلغ عدد الأطروحات مثل هذا الرقم شبه الخيـالي !

---

(41) انظر رقم 723 ص 56 ، 741 ص 57 ، 775 ص 58 ، 806 ص 59 ، ولو كانت صيغ المواضيع الأربعة دقيقة واضحة كما أسلفنا لكنا تبينا على الأقل فروقا بين هذه المواضيع من حيث المنهج أو المدونة المعتمدة الخ ...

(42) رقم 660 ص 54 و703 ص 55 و803 ص 59 . وانظر نفس الظاهرة مثلا في « اللسانيات » رقم 629 و637 ص 52 وفي « الجهات والتعمير » رقم 4171 و4172 ص 245 .

(43) انظر ص 356 .

(44) جاك بارك (Jacques Berque) ، 102 أطروحة ، انظر ص 357
شارل بلا (Charles Pellat) ، 91 أطروحة ، انظر ص 369
اندري ميكال (André Miquel) ، 88 أطروحة ، انظر ص 368
كلود كاهان (Claude Cahen) ، 69 أطروحة ، انظر ص 358 — 359 .
... الخ .

هذا هو الثبت الوحيد الذي شفعت به اللجنة فهرس الأطروحات ، وهناك عدة قوائم أخرى ممكنة ، من شأنها – لو وُضعت – أن تضاعف استفادتنا من هذا الكتاب وتوسع لنا مجالات الاحصاء والاستنتاج ، كقائمة بأسماء الجامعات مع المواضيع المسجلة بها وأخرى بأصناف الأطروحات الثلاثة وأخرى بأسماء أصحاب الأطروحات المناقشة وجنسيّاتهم وقائمة بتاريخ التسجيل مع تاريخ المناقشة كانت توفّر لنا فكرة عن معدّل المدّة الفاصلة بين التاريخين ... الخ .

V – الملاحـق (ص ص 375 – 435) :

ينتهي الكتاب بثلاثة ملاحق هامة نعرّف في البداية بثانيها فثالثها ونرجىء الحديث عن الملحق الأول إلى ما بعد ذلك نظرا لخطورته :

أ) **مجموعات البحث** (ص ص 403 – 413) :

وهو ثبت بأسماء مجموعات البحث بفرنسا وخارجها ، وينقسم إلى قسمين رئيسين :

1) المركز القومي للبحث العلمي .C.N.R.S ومؤسسات البحث بالخارج (ص ص 403 – 411) .

2) مجموعات البحث الجامعية (ص ص 411 – 413) .

ويحوي الثبت على التوالي إسمَ المجموعة ثم اختصاصها فعنوانها ثم المؤسسة المشرفة عليها فاسم مديرها .

ب) **وسائل الاعلام والتوثيق** (ص ص 414 – 435) :

هذا الملحق الثالث والأخير في الكتاب عبارة عن قائمة بالكتب والدوريات والكتب البيبليوغرافية وأسماء المكتبات والمؤسسات التي لها صلة بالعالم العربي والإسلامي .

ج) **جداول إحصائيّة** (ص ص 375 — 402) :

هو الملحق الأول من حيث ترتيبه في قسم الملاحق من الكتاب وهو أهمّ من السابقيْن نظرا لارتباطه الوثيق بفهرس الأطروحات وما بينهما من تكامل ، فقد تضمّن 90 لوحة إحصائية أولاها لوحة عامّة (ص 376) بها العدد الجملي للأطروحات ، وهي موزّعة على تسعة أودية أفقية يناسب كل منها بابا من الأبواب التسعة التي قُسّم حسبها الفهرس ، ويقابلها عموديّا ثلاثة أودية بأوّلها العدد الجملي لأطروحات كل باب يليه في الوادي الثاني عدد أطروحات الحلقة الثالثة التي تمّت مناقشتها (45) فعدد أطروحات الدولة في الوادي الثالث والأخير . ثمّ خصّ كل باب من أبواب الفهرس التسعة بدراسة احصائية مستقلّة فوضع لكلّ منها جدول بياني يخضع لنفس النّظام المتّبع في اللوحة العامّة ووُزّع أفقيا حسب اختصاصات البحث عموديا حسب العدد الجملي لكل اختصاص (الوادي الأول) ثم عدد الأطروحات التي نوقشت فيه ، حلقة ثالثة كانت (الوادي الثاني) أو دكتوره دولة (الوادي الثالث) . ثم حظي كل اختصاص بلوحة منفردة تضمّنت العدد الجملي لأطروحاته بنوعيها ، مانوقش منها وما لم يناقش ، وذلك في واديين عموديّين كبيرين قُسّما تاريخيا : ما قبل سنة 1975 وما بعدها .

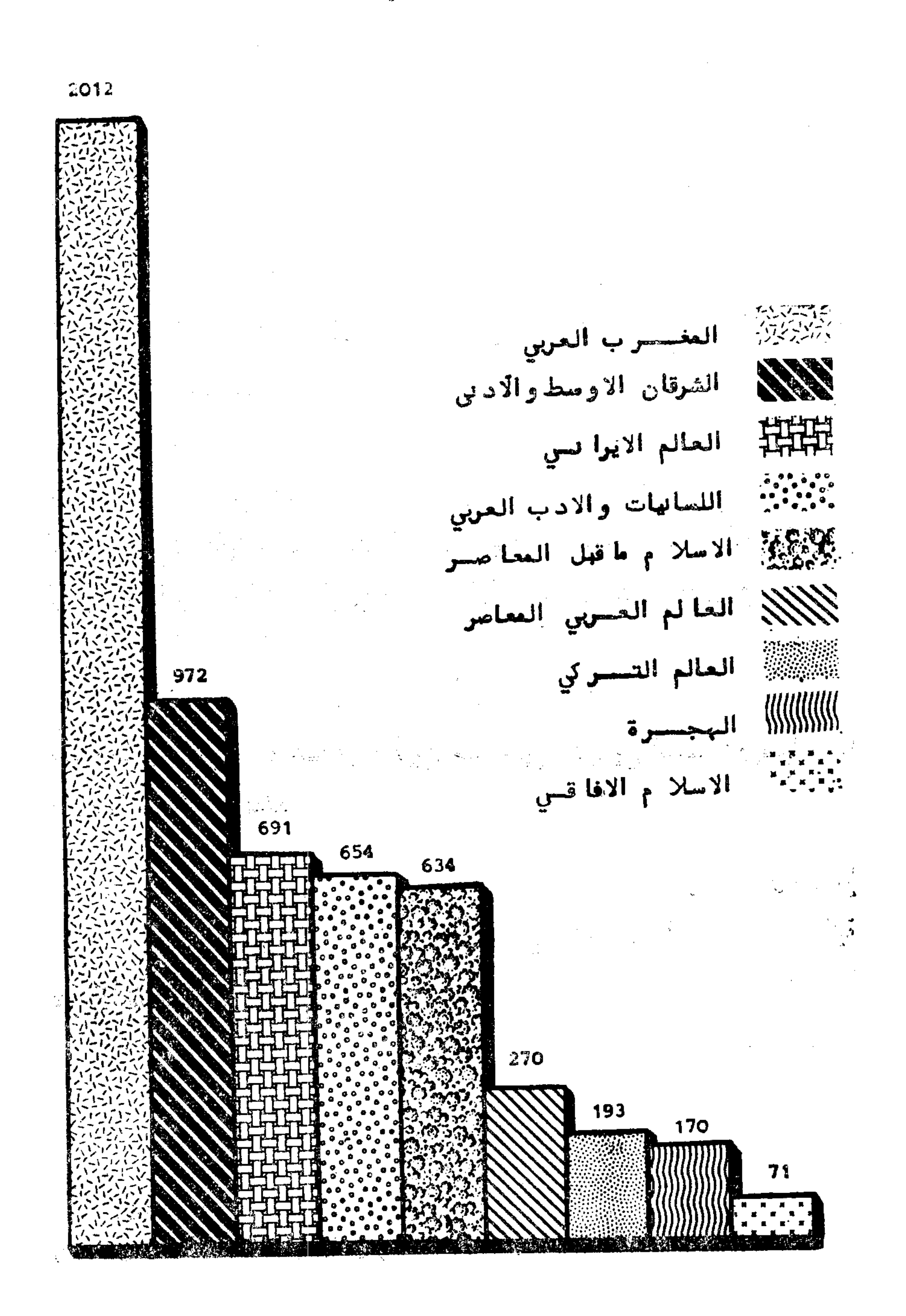
ولقد استرعت اللوحة البيانية العامـة انتباهنـا نظرا لشمولهـا وأرقـامهـا المعبّرة (46) ويمكن لغاية تبسيطية أن نستخرج منها اللوحة التصويرية التالية ثمّ نعلّق عليها :

---

(45) لم يرد ذكر الصنف الثالث — دكتوره الجامعة — ويبدو أن اللجنة حشرته مع دكتـوره الحلقة الثالثة .

(46) عن هذه الأرقام ، انظر الهامش (9) (10).

لوحة تصويرية عامة



– التعليق على اللوحة –

لئن كانت ضؤولة عدد الأطروحات المسجّلة في باب الإسلام الآفاقي لا تفجؤنا نظرا لمنزلة الإسلام في هذه البلدان فإنّ عدد الأطروحات التي تهتم بموضوع الهجرة يبدو هاما جدا بالقياس إلى حدود هذه المسألة ، مما استوجب من لجنة الكتاب تصنيفها في باب مستقل من أبواب الفهرس .

وهذا الرقم (170 أطروحة) يقوم حجّة على استفحال ظاهرة الهجرة وما باتت تطرحه من مشاكل وقضايا فرضت نفسها على البحثة في شتّى الاختصاصات ؛ ولقد تركّزت مواضيع هذا الباب على الهجرة إلى أوربا (47) وشملت بالنظر عدة بلدان أوربية كألمانيا وهولندا وبلجيكا ، إلاّ أنّ أكبر نسبة منها اهتمّت بالمهاجرين إلى فرنسا ، وهم من جنسيات عربيّة وإسلامية مختلفة (48) لكنّ أغلبهم من شمال إفريقيا وخاصة الجزائر (39 من 170 أطروحة خاصة بالمهاجر الجزائري أي 22،94٪) .

ولقد كانت مشاغل البحث في موضوع الهجرة متنوّعة جدا وتطرح عدّة قضايا إقتصادية وسياسية ولسانية وديمغرافية وحتّى جبائية ونقابيّة ، إلاّ أن ما يسترعي الإنتباه هو طغيان القضايا النفسانية والإجتماعية، فهناك عدد وافر جدا من الأطروحات (ما لا يقلّ عن 73 من 170 أي 42،94٪) (49) يمكن أن يُعتبر من مشمولات علم النفس المرضي(50) ، وهي مركّزة إجمالا

(47) لا نستثني إلا أطروحة واحدة موضوعها « المسلمون السود بالولايات المتحدة الامريكية » ، انظر رقم 5755 ص 351 .

(48) ايرانية وتركية وسورية وموريتانية ومالية ولبنانية .

(49) لم يرد هذا العدد مضبوطا في احصائنا لأن مجموعة أخرى من الأطروحات يمكن بشيء من التوسع ضمها إلى هذا العدد نظرا لنوعية قضاياها : رفع الأمية ، حوادث الشغل الخ ...

(50) لقد وردت العبارة صريحة في إحدى الأطروحات ، انظر رقم 5791 ص 353 ، حيث كان موضوعها :
« Psychopathologie de l'immigré maghrébin en France »

على « عُصاب المثاقفة عند المغاربة » (51) وما يعتريهم من « إضطرابات عاطفية وجنسيّة » (52) ، وكأنّ كل هذه القضايا تنبع في نهاية المطاف من السؤال التالي : « تأقلم مسلمي شمال إفريقيا مع الحياة الغربية ، هل هو ممكن » ؟ (53).

ويبدو جليّا أنّ هذه القضايا النفسانية المرَضيّة تمسّ أبناء المهاجرين من الأطفال والشباب بدرجة أولى (38 من 73 أطروحة : 50،25) ، ورغم أنّ القضيّة المسيطرة على مشاغل البحثة هي مشكل تعليم هؤلاء الأطفال فإنّ القضيّة الأمّ التي منها تتولّد كل التساؤلات في هذه الأطروحات هي مسألة « مصير أبناء العملة المهاجرين » (54) .

ثمّ إن المتأمّل في هذه اللوحة التصويريّة يمكنه أن يلاحظ بسهولة أنّ الدراسات اللسانية لم تنل بعدُ حظها اللاّئق من اهتمام الباحثين إذ أننا من جملة 654 أطروحة مسجلة في باب « اللسانيات والأدب العربي » لا نظفر إلا بـ 141 منها في اللسانيّات : (21،55٪ من أطروحات هذا الباب و2،48٪ من العدد الجملي) . وهي تشمل اللغتين العربيّة والبربريّة (55) ؛ ولعلّ هذه القلة لا ترجع فقط إلى جدّة الدراسات اللّسانية نسبيّا بل وكذلك إلى طغيان الاهتمامات الحضاريّة ثم الأدبيّة على الدراسات الاستشراقية .

والناظر في هذه اللّوحة لا يستغرب كثرة الأطروحات المهتمّة بالشرقين الأدنى والأوسط (972 = 17،15٪) نظر لاتّساع الحدود الجغرافية لهذا الباب واشتماله على 12 بلدا عربيّا وإسلاميا ، لكن الذي يسترعي الانتباه هو عدد الأطروحات الخاصة بالعالم الإيراني ، ولعلّ للمنزلة التي حظيت بها إيران

(51) رقم 5778 ص 353 .
(52) رقم 5790 ص 353 .
(53) رقم 5660 ص 347 .
(54) رقم 5662 ص 347 .
(55) انظر اللوحة الثانية ص 378، ويدعم ما ذهبنا إليه أن أغلب هذه الأطروحات – (103 على 141 = 73،04 ٪) – ما يزال في طور الإنجاز .

في السنوات الأخيرة باعتبارها بلدا مصدّرا للنفط دورًا في ذلك، بالإضافة إلى كثرة الطلبة الإيرانيين المهاجرين إلى أوربا وخاصّة فرنسا للأسباب السياسيّة المعروفة ، ممّا يبرّر منزلة العصر الحديث في اهتمامات الباحثين وكثرة الأطروحات المتعلّقة بالقضايا الاقتصادية من صناعة وفلاحة ومعاملات بنكيّة ؛ ويمكن أن نلمس أيضا أهميّة موضوع النفط وتواتره في الكثير من الأطروحات (56) ، بل إنّه قد لفت نظرنا اقدام بعض البحثة بعدُ على تسجيل أطروحتي دولة عن ثورة 1979 (57) .

وهناك ملاحظة أخيرة تفرض نفسها وهي عدد الأطروحات المتعلّقة بالمغرب العربي ، فقد فاقت ثلث الأطروحات المثبتة بالفهرس (2012 أطروحة = 50، 35٪) وهذه الظاهرة – في اعتقادنا – لا تُعلّل فقط بحداثه الجامعات ببلدان المغرب العربي ولا كذلك بكثرة الباحثين الذين يواصلون تسجيل مواضيعهم بالجامعات الفرنسية رغم مباشرتهم التدريس أو البحث ببلدانهم المغربيّة ، وإنّما لذلك أسباب أعمق تتمثّل أولا في العلاقات التاريخية والسياسية الاقتصادية بين فرنسا وبلدان المغرب العربي ، وثانيا في وضعيّة البحث العلمي بالجامعات المغربية ، ولعلّه بامكاننا أن نستمدّ الحجّة على ذلك من هذا الجدول الذي استخرجناه من فهرس الكتاب وأحصينا فيه كل الأطروحات المتعلّقة بالبلاد التونسية ورتبناها حسب تواترها في ميادين البحث واختصاصاته المختلفة (58) :

(56) يؤكد ما ذهبنا إليه أن ثلثي هذه الأطروحات تقريبا لم يناقش وأن ما نوقش منها مثلا (244 = 91، 36 ٪) اغلبه دكتوره حلقة ثالثة (219 = 75، 89 ٪) ، كما أن عددا هاما من أطروحات هذا الباب كان في علم الاجتماع (146 = 12، 21 ٪) ثم في الاقتصاد (122 = 65، 17 ٪) .

(57) انظر رقم 5006 ص 291 و5029 ص 293 .

(58) لم نأخذ بعين الاعتبار الأطروحات التي شمل ميدانها المغرب العربي بأكمله ، وهي كثيرة جدا ؛ وقد نكون غفلنا عن قلة من المواضيع لها صلة بالبلاد التونسية لكن صيغتها لم توح لنا بذلك .

البـــاب	الاختصـــاص	العدد الجملي	دكتوره دولة	مانوقش	دكتوره حلقة ثالثة	مانوقش
المغرب العربي	1 ـ الاقتصـاد	95	31	6	64	16
	2 ـ الجهـات والتعميـر	97	12	—	67	16
	3 ـ علـم الاجتمـاع	55	5	—	50	10
	4 ـ القـانون الداخلـي	42	30	2	12	1
	5 ـ الدراسـات السياسيـة	38	12	2	26	6
	6 ـ التعليم والبيداغوجيا	36	6	1	30	11
	7 ـ الجغـرافيا الطبيعيـة	21	3	1	18	12
	8 ـ علـم النفـس	18	2	—	16	6
	9 ـ علـم السـلالات	13	3	—	10	—
	10 ـ العلاقـات الدوليـة	11	3	—	8	1
	11 ـ الفنـون المعـاصـرة والهندسة المعمارية	10	2	—	8	—
	12 ـ التفكيـر المعـاصر	5	3	1	2	1
	13 ـ الاقليات غير المسلمة	2	1	1	1	—
		425	113	14	312	80
والادب العربي اللسـانيـات	1 ـ اللسانيـات العـربيـة والبـربريـة	19	7	1	12	6
	2 ـ الادب العـربـي	19	7	3	12	2
	3 ـ الادب المقــارن	3	—	—	3	1
	4 ـ الادب المعبر بالفرنسيـة	1	—	—	1	—
		42	14	4	28	9
قبل المعاصر الاسـلام مـا	1 ـ التـاريـخ	25	5	1	20	11

البـاب	الاختصـاص	العدد الجملي	دكتوراه دولـة	مانـوقش	حلقة ثالثة دكتوراه	مانـوقش
	2 ـ الفنون وعلوم الآثار	8	1	—	7	2
	3 ـ الدراسـات الاسـلامية	2	1	—	1	—
	4 ـ الفلسفة وتاريخ العلوم	1	1	1	—	—
		36	8	2	28	14
الهجـرة		10	2	1	8	2
العالم العربي المعاصر	1 ـ الفنـون والهنـدسـة المعمـاريـة	1	—	—	1	—
	2 ـ القـانون الداخـلي	1	1	1	—	—
		2	1	1	1	—
المجـمـوع الـعـام :		515	138	22	377	104

تعليق على الجدول :

إن أوّل مـا يلفت نظرنا هو كثـرة المواضيـع الخاصّـة بالبـلاد التونسية فقد بلغت ما يقارب عشر فهرس الكتاب (515 = 9،08٪ من المجموع العام) ، ويبدو من الطبيعي أن تتنزّل أغلبية هذه الأطروحات في باب « المغرب العربـي » (425 من 515 = 82،52٪) وأن يليها في الترتيب باب « اللسانيات والأدب العرَبـي » (42 أطروحة = 8،15٪) ثم باب « الاسلام ما قبل المعاصر » (36 أطروحة = 6،99٪) فباب « الهجرة » (10 أطروحات فقط = 1،94٪) . أما عن أطروحات الباب الخامس والأخير وهو المتعلّق « بالعالم العربـي المعاصر » فإنّ عددها لم يتجاوز المثنّى ، وقد كان يمكن تنزيل هذين الموضوعين في

بـاب « المغـرب العربـي » لولا أنهمـا بحثـان مقارنـان في « الأدب والسنما والسياسة في مصر وتونس » (59) وفي « العائلة المسلمة في بعض القـوانيـن المعاصرة (العثماني والسّوري والتونسي) » (60) .

والجدير بالملاحظة أنّ حوالي ثلاثة أرباع هذه الأطروحات من صنف الحلقة الثالثة (377 = 20،73٪) وهو ما يجعلنا نقتنع بأنّ أغلب البحثة الذين سجّلوا أطروحات عن تونس حديثو العهد بالتخرّج من سنيّ الإجازة ؛ ثمّ إنّ أكثر الأطروحات المسجّلة ما تزال – إلى حدّ صدور الكتاب موضوع دراستنا – في طور الانجـاز إذ لم يناقش منها سـوى ربع العـدد الجمـلي (22 دكتوره دولة + 104 حلقة ثالثة = 126 أطروحة = 46،24٪) ، وفي ذلك دليل على أنّ تسجيل الأطروحات عن تونس بالجامعات الفرنسية ليس ظاهـرة تاريخية تنزع إلى التضاؤل وإنّما هي قديمة متجدّدة ، لا سيما وأنّ المتأمّل في تواريخ تسجيل الأطروحات التي لم تناقش بعدُ (= 389 أطروحة) يلاحظ أن ثلاثة أرباعها تقريبا (285 من 389 = 26،73٪) مسجّل بعد سنة 1975 .

وما من شكّ في أنّ كثرة عدد الأطروحات المتعلّقة بالبلاد التونسيّة يمكن أن تُعلل بعدة أسباب ، منها أنّ بعض المستشرقين من فرنسيّين وغيرهم وأنّ بعض العرب غير التونسيين قد يختارون تونس موضوعا لاطروحاتهم ويفضّلون تسجيلها باحدى الجامعات الفرنسية أو يضطرون إلى ذلك (61) ، كما أنّ بعض ميادين البحث لم تُحدَث بها مرحلة ثالثة بالجامعة التونسية إلا

(59) انظر رقم 1279 ص 84 .

(60) انظر رقم 1311 ص 86 .

(61) من بين الأطروحات التي نوقشت وذكرت أسماء أصحابها – وعددها 126 – لم نجد سوى 23 باحثا لهم أسماء أو ألقاب عائلية غير عربية (أي نسبة 25،18 ٪) ، أما بقية الأسماء فهي عربية مألوفة في العائلات التونسية .

منذ أمد غير بعيد (62) فلا غرابة أن يواصل التونسيون تسجيل أطروحاتهم في هذه الميادين في غير الجامعة التونسية نظرا لحداثتها ولقلّة الأساتذة الذين يتسنى لهم الاشراف (63) .

لكنّ ما تبينّاه من هذه الأسباب الموضوعيّة وما يمكن أن يضاف إليها ، غير كاف في اعتقادنا للرّد على كل التساؤلات أمام هذه الظاهرة التي قد يصحّ الاصطلاح عليها بـ« هجرة الأطروحات التونسية » . أفلاَ يكون لوضع البحث العلمي في بلدنا دخل في وجودها وتواصلها ؟ وإلاّ فكيف يمكن أن نفسّر — على سبيل المثال — أنّ 32 من بين 40 أطروحة حلقة ثالثة في علم الاجتماع لم تناقش بعدُ (أنظر الجدول) وهي مسجّلة بفرنسا بعد سنة 1974 والحال أن التسجيل بشهادة التعمّق في البحث (= دكتوره حلقة ثالثة) في الميدان ذاته بكلية الاداب بتونس قد انطلق في نفس السنة (64) واعتقادنا أنّ الاجابة على هذه التساؤلات لن تكون مقنعة مالم تستند إلى دراسة مقارنة لنظامي الحلقة الثالثة في تونس وفرنسا وإلى عمليّة سبر آراء تعتمد عيّنات من الطلبة والباحثين التونسيين الذين سجّلوا أطروحاتهم بالجامعات الفرنسية .

(62) لئن كان تاريخ تسجيل أول أطروحة دكتوره دولة في شعبة العربية بكلية الآداب بتونس ، قديما نسبيا (27 جوان 1974) وهو ما يفسر بلوغ عدد الأطروحات المسجلة 42 موضوعا إلى حد أعداد هذا البحث ، فإن بقية الشعب لم تسجل بها أطروحات من هذا الصنف إلا في تواريخ متأخرة :
* الجغرافيا : أول تسجيل 15 جويلية 1976 ، قد بلغ عدد الأطروحات المسجلة 13 موضوعا
* التاريخ : أول تسجيل 10 جوان 1977 ، قد بلغ عدد الأطروحات المسجلة 9 مواضيع.
* الفلسفة : أول تسجيل 22 أكتوبر 1979 وقد بلغ عدد الأطروحات المسجلة موضوعا واحدا
* علم الاجتماع : أول تسجيل 16 ماي 1980 وقد بلغ عدد الأطروحات المسجلة 5 مواضيع

هذا ، ولقد اقتصرنا على كلية الآداب في هذه المقارنة ، ولعل النظر في وضع الحلقة الثالثة بغيرها من الكليات والمعاهد العليا يدعم ما توصلنا إليه من نتائج أو يعدل بعضها .

(63) هذا ما يفسر مثلا أن مواضيع دكتوره الدولة الخمسة المسجلة في علم الاجتماع بكلية الآداب التونسية ، يشرف عليها أستاذ واحد (الدكتور عبد الوهاب بوحديبة) ، كما يشرف بنفسه على 19 من 28 موضوعا في شهادة التعمق في البحث مسجلة بالشعبة ذاتها .

(64) سجل أول موضـوع بتاريخ 19 نوفمبر 1974 ، وكانت أول مناقشة في 18 جوان 1977 .

وخلاصة القول أنّ هذا الكتاب ، على ما فيه من هنات وأخطاء ، يُعد مرجعا نفيسا لكل متطلّع أو مستزيد من المقبلين على الأطروحات والمشرفين عليها وكذلك من المختصّين في التوثيق والمعتنين ببيبليوغرافيات الرسالات الجامعيّة . ولئن جاء هذا الكتاب ليسدّ فراغا فإنه في الآن ذاته يحسّسنا بمدى النقص وغياب التنسيق الذي يشكوه التوثيق العربي في مجال الأطروحات الجامعيّة ، ممّا « أدّى إلى تكرار عديد من الرسائل في أماكن مختلفة تناولت نفس المواضيع في جامعات متعددة ونالت تقديرات متفاوتة » (65) فلو استثنينا بعض الدلائل والقوائم التي تنشرها من حين لاخر بعض الكليات والجامعات العربيّة أو تكون ثمرة مبادرات وجهود فرديّة (66) ، لا نظفر بأكثر من دليلين إثنين حاولا تجاوز المستوى الوطني الضيّق إلى نطاق عربي شامل فأسديا بذلك خدمة جليلة للبحث الجامعي رغم ما فيهما من عيوب (67) ؛ وفيما عدا هذه الدلائل — أو ما يمكن أن يتوفّر منها في المكتبات — لا يتسنّى لنا الإطّلاع على الانتاج الجامعي العربي إلاّ من خلال البيبليوغرافيات الوطنية

---

(65) جعفر إبراهيم التاي : « الضبط البيبليوغرافي للرسائل الجامعية في العالم العربـي » ، مجلة عالم الكتب (تصدر عن دار ثقيف للنشر والتأليف بالرياض) المجلد 2 العدد 2 (شوال 1401هـ/ أوت 1981م) 191 — 207 . انظر ص 192 .

(66) انظر محاولة تعريف بما يتوفر من الدلائل البيبليوغرافية في المقال المذكور سابقا ، وقد ألح صاحبه على قلة هذه الدلائل وعدم انتظام صدورها واختلاف منهج التصنيف فيها واختلاله ، بالاضافة إلى غياب بعضها من المكتبات نظرا « لفقر التبادل بين مكتبات الجامعات العربية ، فمثلا هنالك غيابا كاملا (كذا) عن (كذا) الرسائل الجامعية في بلاد المغرب وشمال افريقيا » ص 204 .

(67) هما :

أ) دليل الرسائل العربية ، درجات الدكتوره والماجستير التي منحتها الجامعات العربية منذ نشأتها 1930 حتى نهاية 1970 ، جامعة الكويت ، مراقبة المكتبات ، قسم التوثيق ، الكويت 1972 ، 510 ص .

ب) الرسائل الجامعية المقدمة للجامعات العربية في مجال التنمية الصناعية ، مركز التنمية الصناعية للدول العربية ، إدارة التوثيق والاعلام الصناعي [القاهرة] ، مركز التنمية الصناعية للدول العربية 1975 ، 275 ص .

وانظر وصف الدليلين ونقدهما ص ص 199 — 200 من مقال جعفر إبراهيم التاي المذكور في الهامش 65 .

ونشريّات التوثيق الصادرة في بعض البلدان العربية (68) أو من خلال « النشرة العربيّة للمطبوعات » وهي التي تصدرها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم منذ سنة 1973 . ومعلوم أنّ الناظر في هذه البيبليوغرافيات لا يظفر فيها إلاّ بما طبع ونشر من رسالات جامعية ، وعليه أن يصبر على قراءة قوائمها كاملة لأنّ منهج التوثيق فيها لا يخصّص مدخلا للأطروحات ، وإنّما يـُهتَدى إلى أنّ هذا الكتاب أو ذاك رسالة جامعية بعد قراءة الوصف البيبليوغرافي لكل عنوان ، أمّا الأطروحات التي ما تزال في طور الإنجاز فلسنا نرى من سبيل للإطلاع عليها غير الإتصال مباشرة بالكليات والجامعات (69) ؟ ! ، أفيُشك بعد هذا في أنّ الحلّ الجذري لهذه القضيّة لا يكون إلاّ بسعي منظمة التربية والثقافة والعلوم لأحداث فهرس مركزي عربي عام للأطروحات الجامعية ؟

(68) انظر صدقي حبور : « النشاط البيبليوغرافي في الوطن العربـــي » ، المجلة العربية للمعلومات (تصدر عن إدارة التوثيق والمعلومات بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) ، المجلد 2 العدد 2 (تونس 1980) 89 — 100 . انظر قائمة البلدان التي تصدر هذه البيبليوغرافيات الوطنية ص 93 .

(69) لا يوجد — على حد علمنا — إلا محاولة واحدة اعتنت بالأطروحات التي لم تناقش أو تنشر ، وهي :
الابحاث الجارية في العراق ، المجلد 2 العدد 1 جويلية 1982 وهي نشرية مرقونة في 308 ص تصدر عن مجلس الوزراء ومجلس البحث العلمي ومركز التوثيق العلمي بالعراق . (اطلعنا عليها في مكتبة منظمة التربية والثقافة) والعلوم .

كتــاب الاشــارة الى أدب الامــرة

تأليف : المرادي أبو بكر محمد بن
الحسن الحضرمي القيرواني
دراسة وتحقيق : د. رضوان السيد

عرض : يوسف الحنــاشي

يمثّل التّأليف في عوامل استقامة المُلْك وشروطه وخصال الحاكم والبطانة وجها هامّا من وجوه التّفكير السيّاسي عند العرب ؛ ويبرز عبد الله ابن المقفّع ، الفارسيّ الأصل ، أحد مثبّتيه وخاصّة في كتابيْه « الأدب الكبير » و« كليلة ودمنة » ؛ وستوضع بعده رسائل أخرى (1) لم يكن لها رواجٌ كمصنّفاته ؛ ثمّ كانت « مقدّمة » ابن خلدون ذلك التأليف الجامع القائم على ثقافة عميقة وبصيرة نافذة وتجربة مشبعة بأمور السّلطان والدّنيا .

---

(1) نذكر منها :
– « العهود اليونانية » لأحمد بن يوسف . أنظر « الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الاسلام » تحقيق وتقديم عبد الرحمان بدوي ، القاهرة ، 1954 . ج 1
– « التبر المسبوك في نصيحة الملوك » للغزالي (نشر على هامش « سراج الملوك » للطرطوشي ، القاهرة ، 1306هـ) .
– « سلــوك المالك في تدبير الممالك » لابن أبــي الربيــع ، تحقيق ناجــي التكريتي ، بيروت ، 1978 .
– « قوانين الوزارة وسياسة الملك » لأبــي الحسن الماوردي ، دار الطليعة ، بيروت ، 1979 ....

ولقد نُشِر أخيرًا « كتاب الإشارة إلى أدب الإمارة » لصاحبه أبي بكر محمد بن الحسن الحضرمي القيرواني المرادي ؛ مع تحقيق وتقديم للدكتور رضوان السيّد (2) ، فينضاف لمكتبة التفكير السيّاسي مصنّف آخر مغربيّ ، بقي مغمورًا قرُونا .

وخصّ المحقّق رسالة المرادي بمقدّمة وجّهها إلى تنزيل الأثر وصاحبه ضمن إطارهما التّاريخيّ ، ثمّ سعى إلى التّعريف بالمؤلّف متخلّصا إلى تحديد « الجنس الفنّي » للأثر مقارنا بينه وبين غيره من التّصانيف النّظريّة السيّاسيّة ؛ ونرى لزاما أن نعيد تصفّح بعض ما ورد في ترجمة المرادي لما ألَمّ بها من شُبهة وغموض .

تبدو المصادر الإفريقيّة المعرّفة بالمرادي شحيحة ، ناضبة . فالقاضي عياض — الذي أمدّ ابن بشكوال كتابيًّا بترجمة لأبي بكر — لم يذكرْه في « المدارك » واكتفى بالإشارة إليه مرّات في « الغنية » (3) في سياق سنَد الروّاة وشيوخ بعض الأعلام ، ولعلّ أهمّ هذه الإشارات ما ورد في التعريف بأحد تلامذة المرادي وهو يوسف بن موسى الكلبي ، المتكلّم النّحوي ، أبو الحجّاج الضّرير (4) فنُدرك أنّ للمرادي تصانيف عديدة ، لم يبلغنا في نهاية الأمر منها إلاّ « كتاب الإشارة » (5) . ويضيف القاضي عياض في هذه الترجمة : « وكانت وفاة المرادي « بأزكى » من بلاد الصّحراء سنة سبع وثمانين وأربعمائة » (6) ويخالفُ هذا التّاريخ ما ذكرته المراجع الأندلسيّة إذ اتّفقت على إسناد سنة 487هـ لدخول المرادي للأندلس وسنة 489هـ لتاريخ

---

(2) دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ط 1 ، 1981 .

(3) « الغنية » ، فهرست شيوخ القاضي عياض، دراسة وتحقيق د. محمد بن عبد الكريم ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا — تونس ، 383 ص .

(4) ورد ضمن ترجمته بالغنية « .. كان من المشتغلين بعلم الكـلام على مذهب الأشعرية ونظار أهل السنة ، عارفا بالنحو والأدب . وله في ذلك تصانيف مشهورة » ص 282 .

(5) الغنية ص 282 — 283 ؛ وذكر أيضا في « الغنية » ص 216 — 238 ، 278 .

(6) الغنية ص ص 282 — 283 .

وفاته ؛ وسيعتمد عباس بن ابراهيم المراكشي في « الإعلام » أساسا على القاضي عياض مع مزيد التّفصيل للمصادر التي ترجمت له (7) .

أمّا المراجع الأندلسيّة فإنها تلخّصت في ما تضمّنته « الصّلة » و« الذّخيرة » . وقد اعتمد ابن بشكوال في « الصّلة » على تلميذيْ المرادي وهما « أبو الحسن المقرىء » و« أبو العباس الكناني » ثمّ على أبي الفضل عياض ويُنهي ترجمته بذكر تاريخ وفاته فيقول : « .. وكتب إليّ القاضي أبو الفضل بخطّه يذكر أنّه توفّي بمدينة أزكد بصحراء المغرب وهو قاض بها سنة تسع وثمانين وأربع مئة .. » (8) ، وهو ما يخالف ما ورد في « الغنية » ، وقد يعود ذلك إلى تحريف في الرّسم كما أشار المحقّق . أمّا ابن بسّام فإنّه أكّد على المرادي « الأديب » الشاعر وعلى تردّده على ملوك الطّوائف ومحاولته تحقيق طموحاته (9) . ولعلّ المطّلع على ترجمة ابن بسّام يذهب به الظنّ إلى أنّ المُرادي لم يلتحق بالمُرابطين إلاّ بعْد دُخوله الأندلس بينما تجعل المراجع رحلة المرادي إلى جنوب المغرب حوالي 450هـ ، وهو عهد زحف بني هلال على إفريقيّة . ونرجّح أن يكون دخولُ المرادي للأندلس إمّا للإطلاع على مصادر علميّة أو لِمحاولة تحقيق أغراضه بالأندلس ، وكان سرعان ما تفطّن إلى صعوبة ذلك فـ« كَرَّ » ، حسب عبارة ابن بسّام ، إلى المُرابطين مواصلا تجربته معهم (10) .

---

(7) «الصلة» لابن بشكوال ، ج 2 ، ط 1374هـ/1955م ص572 .

(7) م الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام لعباس بن إبراهيم المراكشي ، ج 2 ، ط 1 ، 1358هـ/1939م ص ص 311 — 312 .

(8) الصلة ، ج 2 ، ص 572 .

(9) الذخيرة لابن بسام ، ط 1979 ، القسم الرابع ، مجلد 1 ص ص 364 — 367 .

(10) ترجم كذلك للمرادي الأستاذ الشادلي بويحي في « الحياة الأدبية بإفريقية في عهد بني زيري » ط. الشركة التونسية للتوزيع ، 1972 ص 203 . (بالفرنسية) كما أشار إليه في دراسته « مساهمة الأفارقة في الحياة الثقافية بالأندلس » حوليات الجامعة التونسية ، عدد 20 ، 1981 ، ص 32 فقال : « والمرادي الفقيه الشاعر [489هـ/1096م] الذي لم يترك ملكا من ملوك الطوائف دون أن يزوره والذي كانت له مع علماء الأندلس مجادلات فقهية كلاميـة » .

ولابدّ من التوقّف عند أهمّ استنتاجات المحقّق عن هذه التّرجمة للمرادي .

فالمسألـة الأولى تتمثّـل في ترجيـح المحقّق تنقّـل المؤلّـف إلى الشّرق للتعلّم ، فقد قال : « إنّ إقامته بالمشرق لِفَـترة لا ترجّحها قضيّة شيوخه فقط ، بل تدعمها مسألتان اثنتان : الأولى مصادره في كتابه في السّياسة الذي ننشره هنُا . والثانية : الطّابع العامّ المميّز لثقافته واهتماماته » (11) ويذهب بعد ذلك إلى تحليـل هذه العناصر فيذكـر بعض مصادر المـُرادِي ومراجعه اليونانيّة والعربيّة ؛ أمّا عن ثقافته فقد أكّد « أنّ المرادي كان ذا ثقافـة كلاميّة أصوليّة ؛ ولم يكن ذلك معروفـا ولا معهوداً بين مالكيّـة المغرب والأندلس والمغرب الأقصى على الأخصّ .. » (12) ، ولكنّ هذه النّواحي التي أثارها رضوان السيّد تبدو قابلة للنّظر ؛ فعن تأثّر المرادي بـ«سرّ الأسرار » لأرسطو يبدو أنّ ابن جلجل (ـ 377هـ) قد أدخل هذا الكتاب في القرن الرّابع للهجرة للأندلس ؛ ويقول المحقّق عن ذلك « أمّا ابن جُلجُل فهـو أندلسيّ وقد عرف « سرّ الأسرار » حوالي منتصف القرن الرّابع الهجري ؛ أي قبل المـُرادي بحوالي المائة عامٍ ممّا يدلّ على أنّه كانت هناك مخطوطات من الكتاب بالغرب الإسلامي منذ مطلع القرن الرّابع الهجري ... » (13) ولا نستغرب أن يكون المرادي قد اطّلع على ذلك .

ولا يمكن أن ننفي كذلك معرفة مالكيّة المغرب والأندلس لعلم الكلام وعلم أصول الدّيانات ، وإن كان هناك تباين بينهما .

فهناك إشارات عديدة تؤكّد اتّباع فقهاء كثيرين أفارقة للجدل والكلام ووقوفهم على أصول الدّيانات وذلك للدّفاع عن مذهبهم وتحصينـه من

(11) الإشارة ص 12 .
(12) الإشارة ص 12 .
(13) مقدمة « الإشـارة » ص 24 . وانظر كذلك مقدمـة كتاب « الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الاسلام » ج 1 ، تحقيق وتقديم عبد الرحمان بدوي ط. 1951 .

الشبهات ؛ فأبو بكر المالكي يلحق مثلا بكتابه « رياض النّفوس » « بـاب تسمية من انتحل النّظر وتحلّى بالجدل من أهل السنّة وغيرهم من طبقة علماء القيروان » (14) ويورد فيه أعلاما ، منهم أحمد بن نصر بن حضرم وقد « كان ذا جدال وحجّة ، ويقال إنّه كان معلّم محمّد بن سحنون في النظر » (15) وكذلك أبو عبد الله محمّد بن سحنون الذي كانت له « أوْضاعٌ في المناظرة في فقه الفقهاء وفي كلام المتكلّمين » . (16) ومن أبرز المتكلّمين الأفارقة ، دون الخروج عن السنّة وأصول الدّيانة ، ابن أبـي زيد القيرواني (310هـ/386هـ) الذي اعتنق الاشعريّة إثر رحيله للحجّ وتأثّر بشيوخ له مشارقة (17) ؛ ونشير كذلك إلى أبـي الحسن القابسي الذي كان متكلّما رغم تمسّكه بأصول الدّيانة .

أمّا بالأندلس فتوجد إشاراتٌ عديدة إلى معرفة فقهاء المالكيّة لعلم الكلام وأصول الشريعة الإسلاميّة .

فمن المتكلّمين أحمد بن يحي بن عيسى الإلبيري (ت 429هـ) ، وقد « روى عنه أبـو المطرف الشّعبـي وقال : لقيتـه بغرناطـة سنـة ثمـان وعشريـن وأربع مائة ... وذُكِرَ أنّه كان متكلّمـا ، دقيق النّظـر ، عارفـا بالاعتقـادات على مذاهب أهل السنّـة ... » (18) ، وحـذق عبـد الرّحمـان بن أحمد بن خلف ، أصيل طليطلة ، الجدَلَ والمناظرة و« ذكره الحُميديّ ، وقال : كان إماما مختارًا يتكلّم في الفقه والاعتقادات بالحجّة القويّة .. » (19) أمّا

(14) كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية ، ج 1 ، ص 504 .
(15) المصدر السابق ص 504 .
(16) ورد في ترجمة محمد بن سحنون ص 351 « .. كان يصحب محمد بن سحنون ويطلب عليه الفقه وعلم الكلام والحلال فتى يعرف بأبـي الفضل .. » .
(17) وردت ترجمته في « الحياة الثقافية بإفريقية في عهد بني زيري » (بالفرنسية) ص 27 .
(18) الصلة لابن بشكوال ، ج 1 ، ص 48 .
(19) الصلة ، ج 1 ، ص 321 .

محمّد بن أبان بن عثمان بن سعيد اللّخمي (ت 440هـ ؟) فقد « كان ذَا عناية قديمـة بطلب العلم ، متقدّمـا في فهمـه ، متفنّنا فيه ، بصيـرًا بالمقالات في الاعتقادات وكان علم الكلام والجدَل قد غلب عليه ... » (20) ؛ ويوجد من هؤلاء المتكلّميـن من تعـرّض إلى محنـة لمبالغتـه في التأويـل كمحمّد بن مَوْهب بن محمّد التّجيبي القبري ، من أهل قرطبة ، ذكـره الحميْـدي (فقال) : كان فقيها ، عالِمًا ، وطالع عُلُومًا في المعاني والكلام ، ورجَع إلى الأندلس في أيّام العامريّة فأظهر شيئًا من ذلك ككلام في نبوة النّساء ونحو هذه المسائل التي لا يعرفها العوام ، فشُنع عليه فاتّفق له بذلك أسباب اختلافٍ وفُرقَةٍ ... » (21) .

ومن الأصوليين أحمد بن محمّد بن عبد الله المعافَري المقرىء (340هـ/429هـ) فقد كان بدوره « حافِظًا للسُّنَنِ ، جامِعًا لها ، إمامًا فيها ، عارِفًا بأصول الدّيانات ... » (22) وكان أحمد بن عبد الله الكناني الذي يُعرَفُ بالبُبيْرس قد بـرَع في معرفة النّحو واللّغة والآداب والأخبار والأشعار ، مع نفاذٍ في القراءات ومشاركة في الحديث والفقه والأصول ... » (23). أمّا حسين بن عيسى بن حُسين الكلبي ، قاضي مالقة ، فقد كان « فقيهـا في المسائل ، حافظًا لها ، عالِمًا بأصولها ونظائرها .. » (24) . ونذكرُ إسماعيل ابن حمزة بن زكريّا الأزدي الذي اعتمد ابن بشكوال في ترجمته على القاضي عياض و« قد كان مائِلاً إلى علم أصول الدّيانات ، ذا عناية بذلك .. » (25) .

---

(20) الصلة ج 2 ص 503 .
(21) الصلة ج 2 ص 471 .
(22) الصلة ج 1 ص 49 .
(23) الصلة ج 1 ص 74 .
(24) الصلة ج 1 ص 141 .
(25) الصلة ج 1 ص 105 .

أمّا عن التحقيق لنصّ « كتاب الإشارة ... » في حدّ ذاته فقد تضمّن إحالاتٍ وافية على المراجع التي اعتمد عليها المُرادي وخاصّة « الأدب الكبير » لابن المقفّع و« سرّ الأسرار » لأرسطو ثمّ آثارًا أخرى في الأدب السّياسي وُضعت في أزمنة متفاوتة بعد المُرادِي وقد يكون أصحابها اطّلعوا على مصنّفـه .

أما تقسيم الكتاب فقد وزّعه المؤلّف على ثلاثين بابًا استهلّها بمقدّمة أكّد فيها على معالجة سابقين له للمسألة ، ثمّ حدّد القارىء الذي يتوجّه إليه الكتاب وهو « العاقل » ثم « الأحداث » ؛ وتعرّض بعد ذلك إلى بسط أبواب الكتاب وعناوينها ؛ وعاد مرّة أخرى إلى التأكيد على اعتماده مؤلّفاتٍ سابقـة .. » .

واختصّ البابُ الأوّل من الرّسالـة بتمجيد العقـل وفضائلـه ، وأثار الباب الثاني نفس الغرض مع مقارنة بين « العاقل » و« الأحمق » ، ودعا إلى الحذر في تقييم مقاصد الأعمال ؛ وأبرز قيمة التّجربة في حياة الإنسان . أمّا الباب الثالث فقد تعرّض لمسألة « الاستشارة » وخصال المستشار ، فحلّل دواعي المشورة وعدّد صفات المستشار ومنها خاصّة ضرورة مراعاة مناسبة التقدّم بالنّصـح ؛ وأبـرز المؤلّف ، في البـاب الرّابـع ، ظروف معيشـة السّلطان ومستلزماتها المادّية ودعـا إلى « الاعتدال » ؛ وأكمل الباب بالنّصح بمجموعٍ من الخصـال كضرورة تجنّب الحسد والانقباض على النّفس وكيفيّة توزيع مهامّ السّلطان وذلك بتخصيص الأهمّ له وإسناد المهمّ للقادرين الأكفـاء من أعوانه ؛ وعالج المُرادي ، في الباب الخامس ، موضوع « العادة وسـوء العادة » فنصح بتجنّب سوء العادة عن طريق التدرّج إذا لم يقدر المرءُ على ذلك دفعةً واحدةً ؛ ونبّه إلى تجنّب الإفراط في السّلوك والاعتداد بالمال ؛ وأشار إلى الملالِ من الأشياء وحدوده ، وتعرّض إلى معنى « ذمّ الدّنيا » أمام

الآخرين والافتخار بالحِلم وما ينتج عَنْهُ ؛ وحذّر من اتّباع الهوى ، وختم الباب بالدّعوة إلى ضرورة الرّكون لاستحكام العقل .

وفي الباب السّادس من الكتاب بسط المؤلّف مثالب صاحب السّوء وقابله بالصّاحب الفاضل وحذّر من مجالسة أصحاب الصّنائع الخسيسة ؛ وانتقل إلى عرض أساليب اختبار الأصحاب ومستلزمات الصّداقة والأخلاق التي يجب أن يجابَه بها عامّة النّاس .

أمّا الباب السّابع فقد حلّل فيه المُرادي صفات « الكتّاب والحجّاب والأعوان » ، وخصّص الباب الثامن لمناسبات الحجبة عن النّاس وكذلك الظهور لهم . وفي الباب التّاسع فصّل المؤلّف الحديث عن سلوك التّعامل مع النّاس ، خاصّةً وعامّةً ، فأبرز قيم التواضع والحذر والفطنة والهيبة والوقار ... أمّا الباب العاشر فقد تعرّض لخصال الجنديّ المراد للحرْبِ ، وكذلك مهمّة الوالي والسّلطان مع الجُند ؛ وفي الباب الحادي عشر تعرّض الكاتب لمسألة دور السّلطان في توزيع مهامّ الجُند وتكليف الصّاحب الكفء المهمّة الجديرة به ؛ وتوجّه الباب الثاني عشر بالمخاطبة لأصحاب السّلطان وكشف عن خصال معاشرتهم له ؛ وفي الباب الثالث عشر صنّف المرادي أنواع السّلاطين وخصالهم ، وحلّل خصال العدل ومساوىء الجور ودعائم السيّاسة مع تفضيل لِخيْر السّلاطين وتعريف لمهامّ الوالي .

وانفرد الباب الرّابع عشر بتقديم أصناف النّاس فاتّبع تقسيم « الحكماء والملوك المتقدّمين » الذين رأوا النّاس « ثلاثة أجناس : كريمٌ فاضل ، ولئيم سافل ، ومتوسّط بينهما صار اللّؤم إليه من أحد أبويْه أوْ من أصحابه ومُعاشِريه ، أو من عمل من الأعمال التي تقتضيه » (26) . وحلّل المرادي هذه الأصناف ونبّه إلى الأساليب المحبّذة في التّعامل معها . وفي الباب الخامس

(26) الإشارة ص 155 .

عشر توقف الكاتب لدى « الأدلّة التي يُستدلّ بها على أهل الفضل والنّقصة والتوسّط » ؛ وانفرد الباب السّادس عشر بمعالجة مسألة « الكلام والصّمت » لدى العاقل والسّلطان .

وبسط البابان السّابع عشر والثامن عشر شروط الحِلم والصّبر ووجوب ترك الحِلم إذا أدّى إلى الفساد . ومع الأبواب الموالية حتى الخامس والعشرين نجد تحليلا لمجموعٍ من الخصال الاخلاقيّة كالغضب والرّضا والتجبّر والخضوع والحزم والتفريط والكتمان والإذاعة والعجلة والتواني والتوسّط والنّفاق والجود والإمساك والشجاعة والجُبن .

وأبان المؤلّف شروط كلّ هذه القيم الاخلاقيّة والظروف المناسبة للتحلّي بها أو التخلّي عنها ؛ وفي الباب السّادس والعشرين يعالج المؤلّف مسألة تصرّف السلطان زمن الحروب والمسالمة وما يتطلّبه ذلك من فطنة وحزم ؛ ثمّ يحلّل في الباب الموالي سلوك « التجنّب والمواصلة » وينبّه إلى ضرورة التصرّف مع النّاس باللّين والرّفق عوض الشدّة والتصلّب .

وخصّص الكاتب الباب الثامن والعشرين لطرح موضوع الحيلة والمكْر والخَديعة ، وتوقّف خاصّة لدى المكْر في الحروب ، أمّا الباب التّاسع والعشرون فقد تعرّض فيه المؤلّف إلى مسألة « التّداهي والتّغافل » .

وفي الباب الثلاثين يختم المرادي بعرض حِكمٍ وأمثالٍ تلتقي جُلها مع أغراض الأبواب السّابقة .

ويتجلّى ، من خلال هذا التّبويب، اختلاف المرادي مع « سرّ الأسرار » المنسوب لأرسطاطاليس الذي اعتبر المحقّق « كتاب الإشارة .. » مدينا له في التّصميم (27) ؛ فالخلاف الأوّل ينعكس في الجانب الكمّي بين الأثريْن إذْ يتوزّع « سرّ الأسرار » على عشر مقالات و« كتاب الإشارة » على ثلاثين

(27) مقدمة« كتاب لإشارة » ص 21 .

بابا ؛ وقد صدّر الفيلسوف اليونانيّ أثره بمعالجة مسألة « أصناف الملوك » ، وهي من المواضيع الهامّة في التفكير السيّاسي بينما أخّر المرادي تحليلها إلى الباب السّادس عشر ؛ ويبرز الخلاف أيضا في تركيز أرسطاطاليس ظاهرة الحكم السيّاسي على الجانب التنظيمي للسّلطة في مستوى أجهزة الدولة خاصّة ثم مستلزمات الهيكلة العسكريّة كما يبدو في الأبواب الرّابع والخامس والسّادس والسّابع والثامن والتّاسع بينما نلاحظ أنّ المرادي لا يلحّ كثيرا على التّنظيم المادّي للسّلطة بقدر ما يؤكّد على الجانب الأخلاقي في سلوك السّلطان خاصّة ثمّ أهمّ أعوانه ؛ ولا شكّ أنّ هذه الخلافات مع أحد أقطاب التفكير السيّاسي اليوناني (28) تؤكّد عدم اقتصار المرادي على النّقل من غيره ، بل إنّه يخضع ثقافته ومراجعه التي أشار إليها بصفة عامّة في المقدّمة إلى تصوّر شخصي يأخذ بعين الاعتبار المجتمع البدوي القبلي للمرابطين الذي يتأثّر بقيم روحيّة وأخلاقيّة أكثر من التنظيم المادّي لشؤونه .

ثمّ إنّ المرادي يبتعد أيضا عن جوانب شكليّة عديدة من التفكير السّياسي الفارسي الذي نقل عنه ابن المقفّع ، خاصّة كتب « كليلة ودمنة » و« سير ملوك العجم » و« كتاب الايين » و« كتاب التّاج » (29) ، إلاّ أن المرادي تأثّر خاصّة « بالأدب الكبير » وهو من وضع ابن المقفّع ... وقد كان المثل السياسي الأعلى عند المفكّرين السيّاسيين الفرس ضمان وفرة « العدل » ودوام الاستقرار السيّاسي بفضله . إلاّ أنّ المُرادي يثير هذه المسألة عرَضًا ويركّز على مسألة الاحتفاظ بالسّلطة عن طريق الخصال الأخلاقيّة المتعدّدة للسّلطان وأعوانه .

---

(28) نشر « سر الأسرار » في كتاب « الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام » ج 1 .
(29) أنظر مقدمة « الأصول اليونانية للنظريات السياسية » ص 5 .

إنّ هذه الجوانب المختلفة تدلّ على أنّ « كتاب الإشارة » ، وإن ورد موجَزا مختصرًا ، فإنّه يمثّل حلقة هامّة من حلقات التفكير السّياسي عند العرب عامّة والمغاربة خاصّة ؛ ولا شكّ أنّ ظهور هذا الكتاب بعد ركودٍ يستوجِبُ الثّنـاء على محقّقـه وتقديـر مجهـوده العلمـي في تقديمـه وتحقيقـه .

الحشيشيـــة (*)
الارهــاب والسياســة في الاســلام الوسيــط

تأليف : برنــار لويــس **Bernard Lewis**
ترجمة : أنيـك بيليســي **Annick Pélissier**
تصدير : مكسيم رودنسون **Maxime Rodinson**

باريس ـ افريل 1982 (212 ص)

بقلم : الصــادق الميســاوي

يعد كتاب « برنار لويس » ـ رغم قدمه (1) ـ محاولة هامّة لتَدَبّر تاريخ « الدعوة الاسماعيلية الجديدة » التي رفض أتباعها مبايعة الخليفة الفاطمي « المُسْتَعْلي بالله » (487 ـ 495هـ) وقالوا بإمامة أخيه الأكبر « نزار » فعرفوا بـ« النزاريّة » وسُمّوا ـ في الشّام ـ بـ« الحشيشيّة » وتحتوى الترجمة

(*) اسم أطلق على أتباع الدعوة الاسماعيلية الجديدة في الشام . ولا تذكر المصادر العربية القديمة غيره . ومنه وضعت الفرنسية والانجليزية كلمة (Assassin) . انظر كتاب لويس ص 45 .
ويمكن الرجوع إلى :
(S. de Lacy : Mémoire sur la dynastie des assassins. in Mémoires de l'Institut Royal, IV, 1818 p. 1-85

(1) ظهر النص الإنجليزي سنة 1967 بعنوان : (The Assassins. A Radical Sect in Islam)
ونقل الكتاب إلى العربية سنة 1971 بعنوان : ـ الدعوة الاسماعيلية الجديدة ـ ترجمة سهيل زكار ـ دار الفكر .

الفرنسية لهذا الكتاب على تصدير وضعه « مكسيم رودنسون » (2) (من صفحة 7 إلى صفحة 34) وستّة فصول هي :

1) اكتشاف الحشيشيّة (من صفحة 35 إلى صفحة 54)
2) الاسماعيليّـون (من صفحة 55 إلى صفحة 73)
3) الدعـوة الجديـدة (من صفحة 75 إلى صفحة 102)
4) الدعـوة في فـارس (من صفحة 103 إلى صفحة 137)
5) شيـخ الجبـل (من صفحة 139 إلى صفحة 167)
6) غايـات ووسائـل (من صفحة 169 إلى صفحة 186)

ولقد اقترح « رودنسون » في تصديره للكتاب مشروعا لكتابة تاريخ الاسماعيليّة بعيدا عن النظريات التي تهمل دراسة المجتمع وأحواله . وهو يرى أنّ بعض حواضر العالم الاسلاميّ قد شهدت في القرن الثالث ظهور فئات اجتماعيّة نشيطة ورثت ثقافة الفرس وعاداتهم وأقبلت على تراث اليونان وفلسفتهم حتّى أنّها لم تعد تقنع بالنّقل والرّواية وقد ضمّت هذه الطّوائف أصنافا من السّاخطين على السّلطان النّاقمين على السّلطة ممّن وجدوا في تعاليم الشيعة وعقائدها ملاذا للتعبير عن غضبهم والتّصريح بمعارضتهم فنشأت الاسماعيليّة تيارا عنيفا يرفض ما انتهت إليه « الاثنا عشرية » من مسالمة ومهادنة وسكينة

وخصّص المؤلف (3) الفصل الأوّل من كتابه للحديث عن « الحشيشية في مؤلفات المسيحيّين . ويعود اهتمام الغربيّين بهذه الفرقة إلى القرن الثاني عشر . فقد عجّت تواريخ الصليبيّين بذكرها ساعة أصابت خناجر « الفدائيين » «كونراد دو منفرات » Conrad de Monferrat صاحب مملكة

(2) مستشرق فرنسي ، مدير البحوث في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا .
(3) مستشرق انجليزي . مدرس بجامعة « برنستون » .

القدس اللاتينيّة فتحدّث عنهم الرّاهب « بروكاردوس » Brocardus وذكرهم « أرنولد دو لوبك » Arnold Lübeck وأشار إليهم الرّاهب « ايف لوبروطون » Yves le Breton وغيرهم ولكنّ العداء الدّينيّ والجهل بعقائد الاسماعيليّة جعلا من مقالات الصليبيّين حديث هوى وتعصّب . وقد استمرّت الحال حتّى القرن السّابع عشر حين نشر « برتلمي دو هربلو » Bartholomé d'Herbelot سنة 1697 مكتبته الشرقيّة التي تعدّ بحقّ أوّل محاولة هامّة لفكّ « لغز الحشيشيّة » ومنذ أن قرأ « سلفستر دو ساسي » Silvestre de Sacy « مذكّرة عن الأسر الحاكمة للحشيشيّة » سنة 1809 أمام المجمع الفرنسي زاد اهتمام الغربيّين بهذه الفرقة الإسلاميّة فوضع المستشرق النّمساوي « فان هامر » كتابا بعنوان « تاريخ الحشيشيّين » (4) لكنّه تعصّب عليهم حتّى أسرف فاعتبرهم « قتلة مجرمين » ولعلّ الفضل الأكبر في دراسة الاسماعيلية النزاريّة يعود إلى بعض المستشرقين الروس من أمثال « زربين » Zarubin و« سمينوف » Semionov

ثمّ إن المؤلّف حاول في الفصل الثاني دراسة نشأة الاسماعيلية . وهو يشير إلى أنّ الحديث عن « دور السّتر » (من 148ه سنة وفاة جعفر الصادق إلى أواخر القرن الثالث هجري) عسير شاق . فلا يعرف التاريخ شيئا يقينيا عن الاسماعيليّة في هذه الفترة . ويرى أن هذه الفرقة الاسلاميّة قد نشأت في عهود غلب عليها الاضطراب الاجتماعي والقلق الثّقافي : ففي الرّيف انتشرت المزارع الكبرى ممّا سبّب فقر الفلاحين والمستأجرين . وفي المدن نمت التجارة والصناعة نموّا هائلا أغرى الفقراء والمنبتّين بالنزوح . فغدت حواضر الاسلام بلادا فيها يُجاور البؤسُ والعوزُ ألوانا من التّرف ولين العيش . ثمّ أن هذه الفترة شهدت أزمة ثقافية حادّة فقد واجه الفكر الإسلامي معضلات شتّى

(4) ظهر الكتاب بالالمانية سنة 1818 ثم ترجم إلى الفرنسية سنة 1833 .

ولّدتها فلسفة اليونان وحكمة الفرس وحقائق التاريخ . وفي هذا الاطار بدت الاسماعيلية قادرة على حلّ هذه المشاكل . فقدّم دُعاتُها للمثقّفين نظاما فكريا رفيعا يقوم على الفلسفة الافلاطونية وأغْروْا الأتْقياء من المسلمين بِد فوْق من الايمان العاطفيّ تدعّمه شواهد من مِحَن الأيمّة وفَتَنُوا الحانقين بسحر حركتهم المنظّمة تنظيما مُحكما . وهكذا نمت الاسماعيليّة حتى كان « دور الظهور » فجاهرت بالدعوة وأسّست دولتها في افريقيّة . وحين فتحت عساكر الفاطميين مصر غدت الاسماعيلية أكبر قوة إسلاميّة ولكنها فشلت في القضاء على الخلافة العبّاسيّة واستطاعت السّنةُ أن تصمد بفضل جهود « الاتراك » وكانوا أقواما حديثي عهد بالاسلام متحمّسين في الدفاع عن عقائد الأمّةِ . ولعلّ السبب الأساسي لهذا الفشل يعود إلى ما أصاب الدعوة الاسماعيلية من ضعف ووهنٍ . فقد واجه الخليفة الرابع صعوبات كثيرة أثناء فتحه لمصر حتّى أنّه دُفع إلى قتال « القرامطة » وعندما اختفى الخليفة السادس الحاكم بأمر الله سنة (411هـ) 1021م خرج « الدّروز » عن عقائد الفاطميين وقالوا إنّ الامام ربّاني لا يموت .

وعرف الفاطميّون في منتصف القرن الخامس صعوبات شتّى (5) : فقد عمّ الوباء والقحط وعدمت الأقوات وقامت الفتن والثورات فاستدعى « المُسْتَنْصِرُ » (427 — 487هـ) أمير الجيوش « بدرا الجَمَالي » من « عَكّا » فتمهّدت الأمور ولكنّه استولى على التدبير ولم يبق للخليفة أمر ولا نهي إلا الركوب في العيدين (6) وغدا الخلفاء منذ ذلك العهد ألعوبة في أيدي قوّادهم ، حتّى انّ الوزير « الأفضل » بايع « المستعلي » خليفة بعد أبيه الذي نصّ على

(5) جاء في « النجوم الزاهرة » لابن تغري بردي ج 5 ص 2 ما يلي :
« وحدث في أيام المستنصر بمصر الغلاء الذي ما عهد بمثله ... ودام سبع سنين حتى أكل الناس بعضهم بعضا وحتى قيل أنه بيع رغيف واحد بخمسين دينارا » .

(6) « ودام في الخلافة وهو كالمحجور عليه مع بدر الجمالي ثم من بعده مع ولده الأفضل » المرجع السابق ، ص 23 .

إمامة « نِزار » فكان الانشقاق الأكبر في الدعوة الاسماعيلية . ثمّ كان انشقاق آخر بعد مقتل « الآمِر بأحكام الله » (495 — 524هـ) فقد رفض بعض الأتباع مبايعة « الحافظ لدين الله » (524 — 544هـ) وقالوا بامامة « الطّيب بن الآمر » وهكذا انقسمت الدعوة الاسماعيلية إلى « مستعلية » و« طيّبية » كما انقسمت من قبل إلى « مُسْتعلية » و« نِزاريّة » .

وفي الفصل الثالث ترجم للمؤلف « للحسن الصبّاح » الذي قام بأمر الدعوة النزارية في فارس . فقد طوّف الرجل في البلدان كثيرا وزار مصر وفيها أقام قبل أن يستقرّ في « الدَّيْلم » ينشر الدعـوة ويمتلك الحصون والقلاع فبعـد أن أخـذ « ألـَمُـوت » بالحيلـة والمكر سنة (483هـ) 1090م استولى على « لَمَسْر » سنة (495هـ) 1102م فـَ« زوْزن » و« قَايِن » و« طَبَس » و« تُون » و« جِرْدكُوه » و« ملك شَاه دِز » ، وردَّ عساكر « مَلِك شاه » السّلطان الأكبر وجيوش « سَنْجَر » وصمد أمَام حملات السلطان « محمّد تَبَر » وهو في كلّ ذلك يرسل « فدائيّيه » لاغتيال أعدائه : فقتل « نِظَام المُلْك سنة (485هـ) 1092م والوزير « الأفْضل » سنة (515هـ) 1121 وغيرهما .

وتحدّث المؤلف في الفصل الرابع عن الدّعـوة في فارس بعد وفاةِ « الحسن الصبّاح » سنة (518هـ) 1124م . فقد تولى السّلطةَ في قلعة « ألـَمُوتَ » « كِـيَا بزْرَكْ أمِـيد » ثمّ ولده « محمّد » من بعده . فانصرفا إلى تدعيم أركـان الدّولـة الجديـدة وتوسيع أراضيها . ويبـدو أنّ علاقـة « النزاريين » بالسّلاجقـة أخذت تميـل إلى المسالمـة تشهـد على ذلك عمليات الاغتيال التي أصبحت توجّه إلى أعداء السلطان السلجوقي ومنافسيـه كالخليفـة العباسـي « المسترشد » وولده « الرّاشد » . وحين توفّي « محمّد بن كِـيَا بزْرَك أميد » سنة (557هـ) 1162 خلفه ابنه « الحَسَن الثاني على ذكْرِه السّلام » فأحْدَث سنة (559هـ) 1164م في الاسماعيلية بِدَعًا إذ وضع المنبر قبالة القبلة وكانت العادة تقضي بوضعه على يسار المحراب وادّعى أنّه من سلالة « نزار » وبشّر

بـ« قيامة القيامات » معلنا أنّ دولة الشريعة قد دالت وأنّ الأسرار قد كُشفت فما على « المؤمنين » بأس في ترك العبادات . ولكنّ بعض الأتباع لم يرضوا عن هذه البدع فقتل « الحسن » مطعونا سنة (561هـ) 1166م وخلفه ولده « محمد الثاني » الذي مات مسموما سنة (607هـ) 1210م . وحين آلت الدولة إلى ولده « جَلاَل الدّين حَسَن » أبدى امتعاضا من عقائد « القيامة » وسعى جاهدا حتّى يُقبل في حظيرة الاسلام الكبرى فراسل خليفة بغداد و« خوارزم شاه » وتبرّأ من اراء أبيه وجدّه حتى سمّي بـ« المسلم الجديد » . وقد اختلف الناس في تفسير أعمال « جلال الدين » ، فالجويني لا يشك في صدق الرّجل . في حين يرى « فان هامر » أن الأمر لا يعدو أن يكون محاولة كاذبة لحماية نظام النزاريّة الذي غدا معرّضا للعنة المسلمين (7) وقد ساءت أحوال الدولة حين تولّى أمرها « محمّد الثّالث » سنة (618هـ) 1221م فقد كان صبيا اعتكف في قصره واعتزل الحياة العامّة ثمّ أصيب بالماليخوليا وقتل سنة (651هـ) 1254م فخلفه ولده « رُكْن الدين خُورْ شَاه » الذي كان عليه أن يُوَاجِه خَطَر « المَغُول » الزاحف . فقد عبرت جيوشهم نهر « جـيحُـون » سنة (618هـ) 1221م واستولت على « بَلْخ » و« مَرْو » و« نِيسَابُور » بَعْد أن قهرت « سَمَرْقند » و« بُخَارَى » . وفضّل « رُكْن الدين » الاستسلام سنة (654هـ) 1256م فَأُعْدِم وأبيد النزاريون في « الدَّيْلَم » و« قُومِس » و« قُومِسْتَان » .

وخصّص المؤلف الفصل الخامس من كتابه لدراسة تاريخ « النزاريّة » في الشّام . فقد اختار الاسماعيليون هذه الأرض لنشر دعوتهم لان سوريا كانت تضمّ فرقا متعددة من المسلمين . ففيها يُقيم « الدّروز » و« النُّصَيْريّة » (العَلَويّة) و« الاثنا عشرية » وقد شجّعتهم الظروف السياسيّة على الاستقرار فيها فبعد مَقْتل « تُتُش » أخي السلطان الأكبر « ملك شاه » انقسمت سوريا إلى دويلات يحكمها أمراء السلاجقة وقوّادهم . وكان الصليبيّون قد ظهروا

---

(7) ص 121 من الكتاب .

في تلك الأنحــاء وأسّســوا ممــالك جعلت من « الرهــا » و« أنْطـاكـيـا » و« طرابلس » و« القُــدْس » قواعـد لها . ورغـم أن قُوّاد « الحشيشيّة » الأوّلين فشلوا فشلا ذريعا في اتّخاذ الشام مركزا لهم فإنّ رئيسهم « سِنَانا » المعروف بـ« راشِـد الدّيـن » استطـاع بدهائـه وحنكتـه أن يمْتلك حِصْنَي « الرصافَة » و« الخوابـِي » بعد أن اسْتولَى عَلَى « العُلَيْقَة » . ويذكر التاريخ أن « راشد الدين » حاول مرّتين قتل « صلاح الدين الأيوبي » الذي يبدو أنه صالح الحشيشيّة وسَالَمَهم . ولعَلّ أشْهـَر الأعمال التي قام بها « شيخ الجبل الرهيب » هي قتله للمركيز « كونراد دو منفرات » ملك القُدْس سنة (588هـ) 1192م . وبعد وفاة راشد الدين (سنة 588هـ) أخذ أمر « الحشيشية » يضعف وذكرها يَخْمُدُ . فقد سقطت قلاعهم في فارس فاتحدّوا مع بقيّة المسلمين لردّ الخطر المغولي . وحين أدرك « بَيْبرس » أنْ لا خطر عليه منهم فتح قلاعهم وامتلاك حصونهم فانتهى أمرهم سنة (668هـ) 1273م .

وختم المؤلف كتابه بفصل جمع فيه بعض الاستنتاجات التي توحي بها دراســة النزاريــة فأكّــد أنّ « الاغتيــال السياســي قـديـم قدم الانسانية فالاسماعيليون لم يبْتدعوا « الارهاب » وإنّما استخدموه كسلاح سياسي ذي شأن فلقد أدرك « الحسن الصبّاح » أنّ دعوته لا تستطيع قَهْر السّنة وفَطِن إلى أن « فدائييه » لا يقدرون على مغالبة عساكر السّلاجقة فأحدث قوّة منظّمة قادرة على التخلّص من بعض الأعداء الخطيرين واستند إلى سياسة امتلاك الحصون والقلاع يتّخذها قواعد آمنة لأتباعه : منها ينطلقون لقتل القادة والأمراء والوزراء أو القضاة والعلماء . وذكر المؤلف أن الدارس لتاريخ هذه الفرقة لابدّ أن يقف على مسائل أربع هي :

1) أنّ النزارية كانت خطرا حقيقيا هدّد النظام السّني طيلة أحقاب كثيرة .

2) أنّ هذه الفرقة كانت حركة من حركات ثورية كثيرة آمنت بظهور « المهدي » .

3) أن الحسن الصبّاح نجح في توجيه « الغضب الأعمى » و« الرغبات المُبهمة » إلى هدف سياسي محدّد .

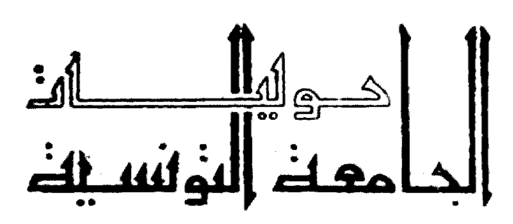
4) أن هذه الحركة الثورية قد انتهى أمرها إلى الفشل لأنّها لم تنجح في القضاء على السّنة وعقائدها .

الصادق الميساوي

دكتـورا دولـة (تـابـع)

اسماء الزملاء المدرسين بكلية الآداب والعلوم الانسانية ، الذين ناقشوا أطروحـة « دكتورا دولة » ، وذلك منذ صدور « حوليات الجامعة التونسية » سنة 1964 .

الاسـم	المـوضـوع	الجامعـة	تاريخ المناقشة
محمد صالح المراكشي	تفكير رشيد رضا من خلال مجلة المنار (1898 ـ 1935)	الجامعة التونسية	8 جوان 1983



مجلـة للبحث العلمي
تصدرهـا كلية الآداب والعلوم الانسانية

حوليـات الجامعة التونسية 1983/22

شـارك في هـذا العـدد

ابراهيم بن مـراد	تـونس
محمد رشـاد الحمزاوي	»
يوسف الحنـاشي	»
حمـادي الساحلي	»
محمد سويسي	»
المنصف عاشور	»
محمد الهادي عيسى	»
عبد القادر المهيري	»
الصادق الميساوي	»

Ḥawliyyât al-Ǧâmiʿa at-tûnisiyya (Annales de l'Université de Tunis)

Nº 22/1983

ANNALES DE L'UNIVERSITÉ DE TUNIS

REVUE DE RECHERCHE SCIENTIFIQUE

publiée par la Faculté des Lettres et Sciences Humaines

Abonnement :

Tunisie, Pays du Maghreb, France	**1 D,000**
Etranger	**1 D,200**
Prix du numéro simple	**1 D,000**

— La correspondance relative à la rédaction est à adresser au

Directeur des « Annales de l'Université de Tunis » Faculté des Lettres et Sciences Humaines 94, Boulevard du 9 Avril 1938 — Tunis.

— Les commandes, demandes d'abonnement ou d'échange sont à adresser au :

Service des Publications et Echanges
Faculté des Lettres et Sciences Humaines
94, Boulevard du 9 Avril 1938-Tunis (TUNISIE)

Imprimerie Officielle

المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية